الكنز المفقود

THE LOST TREASURE

مصطفى حسني

سلسلة بناء العبد الرباني





العنوان:

الكنز المفقود

تأليف:

مصطفى حسني

إشراف عام:

داليا محمد إبراهيم



مُقَدَّمَةٌ

بسم **الله** الرحمن الرحيم والحمد **لله** رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم، صلى **الله** عليه وعلى آله وصحبه وسلم. (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)) [طه: 25-28]، (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)) [البقرة:32].

كل عام وأنتم والأمة الإسلامية جميعا بخير وإلى الله أقرب وأحب، وأسعد في الدنيا. فنحن الآن في شهر القرآن: شهر إصلاح القلوب ومحاربة



شهوات النفس، حتى تنطلق الروح من سجن النفس إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، وتشعر بقربه جل في علاه.

قبل أن أحدثكم عن «الكنز المفقود» أود أن أخبركم بأني كتبت جزءا منه في مصر وجزءا آخر في الروضة العطرة بجوار القبر الشريف، عند النبي صلى الله عليه وسلم - فأنا أسعد بهذا وأفخر به كما كان البخاري رحمه الله يفخر بتأليفه بعض كتبه بجوار بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقبره - كذلك ألفت جزءًا منه أمام الكعبة الشريفة أردِّدُ النظر إليها أثناء الكتابة. وهذا ما أسعد قلبي وبث فيه البشرى ، فأردت أن تشاركوني هذا الشعورالمبهج.

- **ما معنى الكنز المفقود؟**



تعرفون جيدًا أن أحب شيء إلى القلب أن يرى المحب حبيبه، وأن يشعر أنه قريب منه جدًا، وكذا الحال مع ربنا عز وجل، فهو حبيبنا جميعا، فنحب أنه نراه، ونشعر بقربه منا وقربنا منه، لكن رؤيتنا إياه سبحانه وتعالى لا تكون بالعين إلا في الآخرة في جنته عندما يتكرم علينا برؤية وجهه الكريم، فكيف نراه في الدنيا؟!

علينا أن نفرق أولاً بين نوعين من الرؤية: رؤية الذات ورؤية الصفات، فأما رؤية الذات بالنسبة لله عز وجل فتكون في الجنة بإذنه ورحمته وتفضله علينا، وأما رؤية الصفات فهي ممكنة في حياتنا الدنيا، فالله عز وجل يظهر في الدنيا ظهور صفات لا ظهور ذات، ومن خلال ظهور صفاته نستطيع أن نعيش معه في الدنيا، فنرى ربنا في كل موقف يمر بناء، وكل الأحداث حولنا، فنرى صفة من صفاته



سبحانه، ونرى آفعاله معنا، ونرى حكمته و قدره و عظمته، فننشغل به عز وجل عن الكون وما فيه، نرى المكون لا الكون فحسب، ترى عيوننا الأشياء وترى قلوبنا عظمته وحكمته فيها، وهذا دأب الصالحين في ماضينا وحاضرنا، فهم يرون قدرته في صنعته، وحكمته في ابتلائه، وكرمه في نعمته سبحانه وتعالى، وتلك جنة الدنيا التي يعيشها المؤمن قبل الفوز بجنة الآخرة.

يا له من فارق عظيم بين من يعيش مع الأحداث والناس والنعم، ومن يعيش مع الله عز وجل رب ذلك كله، فإنك تجد الأول غير راضٍ بكل ما لديه، لأنه لم ير فيه حب ربه أما الآخر فإنه راضٍ وسعيد لأنه يعلم أن كل ذلك من عند **الله**، ومن عند حبيبه، يرى ربه في كل شيء، وهذا معنى الكلمة التي يُدخل بها في الإسلام: « أشهد



أن لا إله إلا لله » فالشهادة - كما يقول العلماء - عكس الغيب، فكيف إذا تشهد الله وأنت لم تزل في الدنيا ولم تدخل بعد جنة الآخرة؟!! يمكنك ذلك بأن ترى صفاته في كل ما حولك، بأن تراه عز وجل في أفعاله معك، فتكون بذلك في جنة الدنيا.

ورؤية **الله** عز وجل بهذه الطريقة هي معنى أن تعبد الله كأنك تراه، وهذا هو الإحسان الذي أراده الله عز وجل من عباده، فقد قال سبحانه: **(بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ** (١١٢)) [البقرة:112] وهو بذلك طلب منا الإحسان، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فاصبر حتى تراه في الآخرة بذاته عز وجل، رزقنا الله وإياكم هذا الفضل العظيم.



إذا استطعنا تحقيق ذلك فسنقفز قفزة كبيرة على طريق القرب من الله سبحانه وتعالى، فنتعامل مع كل مواقفنا بصورة مختلفة؛ ونعيش مع خالقها، الفاعل الحقيقي لها والمدبر الحقيقي؛ فليس لأحد في هذه الدنيا مشيئة سوى **الله** عز وجل (**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**) (الإنسان: 30) وبالتالي فإن علينا ألا ننشغل بالنعم عن المنعم، ولا بالابتلاء عن المبتلي سبحانه وتعالى: فهو موجود في كل ذلك بصفاته، قريب منا عز وجل، ألا ترى أنه سبحانه قال في كتابه العزيز: (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**) [البقرة:186] فأثبت القرب لنفسه لا لعباده؟! وذلك لأنه قريب من كل الناس لكن لا يراه إلا القليل ممن أنعم الله عليهم برؤية القلوب، نعم إن للقلب عينا ترى كعينيك اللتين برأسك، وينبغي أن تحافظ



على سلامتها كما تحافظ على سلامتهما، فكما أنك تعرف نفعهما لك وأنهما تريانك الجمال الذي حولك والأحباب والأصحاب وتهرع إلى الأطباء كي تعالجهما متى مسهما شيء من الأذى فلتعرف نفع عين القلب لك - فإن الصالحين كانوا إذا مسهم شيء من العُجب أو الكبر أو الحسد أو غير ذلك من أمراض القلب كانوا يهرعون إلى أطباء القلوب، وهم العلماء، حتى لا تتعطل عن رؤية الله عز وجل لأنهم يعلمون أنها «البصيرة» التي يعرفون بها ربهم سبحانه الذي قال في القرآن الكريم: (**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** (41)) [الحج: 46] لذلك قيل: «إلهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك» أي أنك يا رب قريب جدًا لكني لا أشعر بهذا القرب لأني لا أستطيع رؤيتك.



يمكنك أن تلمس الرؤية القلبية وأثرها في الإنسان من خلال مواقف الصالحين، فإنك تجدهم في الصدقة مثلاً يعرفون أنها لله عز وجل حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا كان إنما يضعها في كف الرحمن يربِّيها كما يُربي أحدكم فَلُوَّه أو فصيلَهُ حتى تكون مثل الجبل»[1] فالمتصدق إنما يعيد المال إلى الله عز وجل، ولذا كانت عائشة رضي الله عنها تعطر الدنانير وتقول: لأنها تسقط في يد الله أولا. ويذكر أن رجلا أراد أن يعلم الناس هذا المعنى فأعطى سائلاً صدقة وقال له: «خذ، لا لك» يعني أن هذه الصدقة إنما هي الله عز وجل لا لك أنت أيها السائل، فقال له السائل: «هات، لا منك» يعني أن الذي أعطاني هذه الصدقة إنما هو الله عز وجل لا أنت أيها

المتصدق، فإن الله أجرى الصدقة عليك من ماله. فإذا عرف المتصدق أن صدقته ذاهبة إلى ربه لم يتكبر ولم يمن على الفقير، بل تواضع لأنه يقدمها لله عز وجل، وآخذ الصدقة يعلم أنه إنما أخذها من الله عز وجل فلا يشعر بالمذلة ولا بالخزي.

لقد عاش هؤلاء مع الله سبحانه وتعالى:

وثمة بَوْن شاسع بين من عاش مع الخالق ومن عاش مع المخلوقات؟ يمكننا فهم ذلك من تدبر قول الله عز وجل: (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** (٢٩)) [الزمر: 29] فمثل الرجل الأول من يعيش قلقا يخشى ألا يرفع مديره أجره؛ فقد غاب عنه أن الله هو الرَزاق ذو القوة المتين. ولم ير الرزاق في



الرزق، لكن رأى الرزق فقط ويخشى «كلام الناس» فقد ظن أن العز بيد الناس، لكنه بيد الله عز وجل، وينقم من حكومته غلاء الأسعار وشظف العيش، فقد انصرف عن أن هذا قد يكون ابتلاء له من الله، فكل ذلك يتخطفه من كل جانب، كأنه عبد لدى أربعة من السادة، هم شركاء فيه، كل منهم يأمره بأمر في آن واحد وهم فوق ذلك مختلفون فيما بينهم، متعاركون، وعليه أن يرضيهم جميعا، فهو في حيرة وتشئتروكرب في دنياه. أما العبد الذي ليس له غير سيد واحد فإنه يفهمه بالإشارة، فكذا المثل الذي ضربته الآية، ولله المثل الأعلى.

فالذي يرى الله عز وجل في كل شيء وينشغل به وحده يسلم، ويرضى، ولذلك لا تجد كثيرا من الناس يتحمل قدر الله خاصة في المصائب، ولا تجد كثيرًا منهم يقدر نعمه، إلا من رأى الله في كل



شيء، فعرف أنه المبتلي، وأنه المنعم الذي أنعم بهذه النعمة، حتى وإن كانت تبدو قليلة، تماما كالذي أعطته محبوبته وردة ففرح بها كثيرًا وداوم النظر إليها وبالغ في حفظها، فإذا جفت حفظها في كتابه مع أن قيمتها المادية قليلة قد لا تصل إلى جنيه أو درهم واحد؛ وذلك لأنه رأى فيها محبوبته التي أعطته إياها، رأى المعطي، وكذا الحال في نعم الله عز وجل، فينبغي أن نرى المنعم في النعمة فلا نزدري نعمة وإن بدت للناس قليلة، بل علينا أن نجلها، إجلالاً للمنعم سبحانه وتعالى، فكل ما يطرأ ويحدث ويأتي ويذهب إنما هو من عند الله جل وعلا القائل: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا » [النساء: 78] فالفاعل الوحيد لكل شيء هو الله سبحانه وتعالى.



أذكر أنني كنت عائدا من العمرة ذات مرة عبر طائرة، فقابلني أحد مسئولي الشركة التي تتبعها طائرتي، وذكر أنه يعرفني من خلال التليفزيون وأصرّ أن يجلسني في مكان مخصوص بالطائرة، يسمى «الفرست كلاسى»، فعند ما جلست ذكرت الله عز وجل: لأنه هو المنعم الحقيقي الذي أنعم علي بهذا المكان ويسر لي الذهاب والإياب، فمن عرف ربه في النعمة لم يتكبر بها على الناس؛ لأن النعمة من المنعم، والرزق من الرزاق، وهذا يورثك الرضا والفرح بنعم الله عز وجل ورحمته، يقول تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» [آل عمران: 58].

الكنز المفقود إذا رؤية ربنا سبحانه وتعالى في كل شيء، إنها جنة يعيش بها الصالحون، فهم يعيشون في هذه الدنيا مع المدبر الرزاق الخالق،



ويرون أن كل ما هم فيه إنما هو من عند اللّٰه فلا ينشغلون بغيره، وبالتالي فهم يراعونه في كل أمورهم، ويرضونه في كل أحوالهم، فتجدهم في النعمة شاكرين، وفي البلية صابرين، وفي أمور الرزق مجتهدين.

وأنت عزيزي القارى عندما تقرأً هذا الكتاب عليك أن ترى اللّٰه عز وجل ومراده فلا تستغرق في القول ولا في القائل، ولكن اصرف نفسك إلى أن اللّٰه عز وجل قدّر أن تقرأً هذه الصفحات لكاتب ما هو إلا عبارة عن مجموعة من التراب اجتمعت إلى بعضها لذكرك اللّٰه بشيء عن طريقها، نعيش مع الخالق لا مع المخلوق، يقول عز وجل: (**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**) [الحديد: 4]، ويقول سبحانه: (نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)) [ق: 16] إنه قرب



رحمة وعون وإحاطة وإنعام، وهذا كنز كبير ينبغي ألا نفقده.

ومن فوائد هذا الكنز العظيم في حياة المؤمن أنه يساعد على الخشوع في الصلاة، لأن صعوبة الخشوع تكمن في انصرافنا عن الصلاة إلى مشاكل الدنيا بما فيها العمل والبيت والأبناء والجيران وغيرها، ولا نشعر بتدبير الله عز وجل في حياتناء فلكي يتحقق الخشوع لا بد أن نخلع عباءة الدنيا ونلبس عباءة الخاشعين المستحضرين قرب الله، وهذا ما يسيمه ابن تيمية وابن القيم بـ «الحضرة الإلهية» ولا يكون ذلك إلا بالشعور بتدبير الله وحكمته وقدرته وعظمته وسبحانه ربنا القائل: (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**) [فصلت: 53]. فينبغي أن نرى الله في كل ما تقع عليه أعيننناء نراه بقلبناء



لذلك ويُخ الله عز وجل الذين يرون الدنيا بأعينهم لا بقلبهم: (**وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ** (105)) [يوسف: 105] فهم لا يرون بقلوبهم حكمة الله ولا صفاته.

لذلك أيها القارئ الكريم تلاحظ أن عين الوجه تقع على الأحداث والمخلوقات في هذه الدنيا أما عين القلب فإنها ترى الله في كل لحظة، وتلك الرؤية القلبية هي التي تحدد عمرك، فإن العمر لا يبدأ بمجيئك إلى الدنيا بل من اللحظة التي رأيت فيها ربك بقلبك وشعرت بقربه، **وهذا هو الكنز المفقود، رؤية الله في كل شيء، وقبل آي شيء، ويعد كل شيء.**



ومحاولة للوصول إلى هذا الكنز سنتناول مجموعة من الأحاديث القدسية لا من حيث معاني الكلمات فحسب، بل من حيث مراد الله عز وجل من خلقه في كل حديث، فإنه سبحانه يحدثنا في تلك الأحاديث عن نفسه وعن حكمته وأفعاله ومراده من خلقه، فكأنه في كل حديث يقول: أحب من عبدي كذا ولا أحب كذا لحكمة عندي: فيعلمنا كيف نشعر بقربه عز وجل وكيف نصل إلى رؤيته في كل أفعالنا وأحوالنا.

كما علَّم موسى عليه السلام عندما سأله رؤيته: (**رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**) [الأعراف: 143] فعلمه الله وعلمنا معه أن النظر في الأفعال طريق لرؤية القلب خالق الأفعال (انظر أفعالي يرني قلبك فتزداد إيمانا) حيث قال تعالى: (**لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**



فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا) [الأعراف: 143] فإن موسى عليه السلام، قد رأى الحدث، وهو اندكاك الجبل، فرأى عظمة الله، رأى بعينه الحدث فرأى بقلبه العظمة، رأى الفعل فرأى الفاعل، فلما أفاق قال: (سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)) [لاعراف:143] فموسى عليه السلام لم ير ربه رؤية عين في الدنيا لكن رآه بالقلب، فاصبروا حتى تروه رؤية عين في الجنة التي تحدث عنها ابن تيمية، ألا وهي معرفة الله عز وجل بأن نعيش معه في قرب منه سبحانه، فما أحلى ذلك!

---

[1] موطأ مالك، باب الترغيب في الصدقة رقم (1581)، والسنن الكبرى للنسائي 413/4.



الحديث الأول

صفة



صفة النبي في التوراة

هذا كلام ربنا عن النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة، وقد أورده البخاري في صحيحه، قال:

«قال: يا أيها النبي صلى الله عليه وسلم إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وأنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى



يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله يفتح بها أعيتا عميا وآذانا صمّا وقلوبا غلفا»[2].

هكذا وصف ربنا للنبي صلى الله عليه وسلم ومدحه في التوراة فلنقف عليه لنفهم مراد الله عز وجل.

« سميتك المتوكل » : لم كان النبي صلى الله عليه وسلم متوكلاً؟ ماذا رأى بقلبه ليكون كذلك؟ إن معنى التوكل اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب، والتوكل مطلوب في حياتنا، خاصة في الرزق، فلا رزاق إلا الله فلا أحد بيده أن يرزقك ولا أحد بيده أن يمنعك، لا تخش مديرك، ولا زميلك ولا عميلك، فكل هؤلاء ليس لهم من الأمر شيء، بل لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا، وكذا كل البشر، ألا ترى أن الله عز وجل قال لرسوله الكريم: **(لَيْسَ**



لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) [آل عمران: 128] فكيف يكون لهؤلاء؟!

فعلى المؤمن أن يرى ربه في مسألة الرزق، فلا شيء ينفعه إلا وهو من الله عز وجل، هو القائل: (**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** (31)) [يونس: 31] فما دام الله وحده هو الفاعل لكل ذلك فعليك أن تعتمد عليه بقلبك، وتعرف ما عليك في مسألة الرزق، وهو الاجتهاد وتقديم أفضل ما في وسعك، وأن يكون قلبك موصولا بالله سبحانه وتعالى ولو كانت جوارحك منغمسه في أسباب الرزق، وبهذا تكون متوكلاً حق التوكل.



« **ليس بفظ ولا غليظ**»: نسي أن الناس هم الذين جعلوه شديدًا معهم كما نسي أغلبنا أن الناس فتنة، فقد يبتليك الله عز وجل بالناس ليعالجك، تماما كما يعالجك الطبيب بالميكروب؛ لأنه يعلم أن جسمك سيفرز مضادًا له، فكذلك الابتلاء بالناس. يقول الله عز وجل: (**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ**) [الفرقان: 20] فقد لا أعرف أني سريع الغضب، فيبتليني الله عز وجل بمن يستثيرني حتى أغضب، فأعرف ذلك من نفسي، وقد أظن أن أفعالي كلها الله فيبتليني الله عز وجل بمن ينكر الجميل، فإذا غضبت أو ندمت على المعروف الذي أسديته إليه علمت من نفسي أنها فعلت ذلك للبشر لا لوجه الله عز وجل، وبالتالي؛ فإني لست مخلصا تمام الإخلاص لله سبحانه وتعالى فمنكر الجميل إذا قد قدم إلي



خدمة جليلة لأنه عرفني تلك الحقيقة عن نفسي.

إذا فلم أكون فظا أو غليظا على الناس؟ ولم أدفع السيئة بالسيئة؟ إن صبري سيكون في ميزان حسناتي، فلعل الله سبحانه وتعالى يكتب لي الحسنات فأجدها يوم القيامة، فمن كان يرى الله بقلبه لم يضرهالناس يؤذونه ام ينفعونه، فلن يكون فظا ولا غليظا، ولن يدفع السيئة بالسيئة، وليس بحاجة لأن يصخب في الأسواق، لأن الصخب والصياح وعدم السماحة وغير ذلك مما يدفع إليه الحرص على الدنيا لا يأتي بالرزق، بل الله هو الرزاق ذو القوة المتين، فلعلنا عرفنا لم عاش النبي صلى الله عليه وسلم متوكلا: لأنه رأى أنه لا نافع ولا ضار إلا الله عز وجل، لذا عاش متوكلا، لا يدفع السيئة بالسيئة.



«ولا صخاب في الأسواق»: السوق تعني - هنا - أغلب ما في حياتنا من أمور الدنيا والشغل والمال والرزق والسعادة.

«ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء»: لقد صدق الله سبحانه وتعالى فإن بعثة الرسول غيرت وجه الحياة فأصبح بها مسلمون يحبون الله عز وجل، فالحمد لله رب العالمين علي تلك المنة.

---

[2]صحيح البخاري، باب كراهية الصخب في السوق 7/321 رقم (1981).



الحديث الثاني

جزاء الصيام



"وأنا أجزي به"



جزاء الصيام «وأنا أجزي به»

إنه حديث مرتبط جدًا بشهر رمضان الكريم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة سبحانه وتعالى: «كل حسنة يعملها ابن آدم تضاعف عشرًا إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فهو



لي وأنا أجزي به يدع شهوته من أجلي **ويدع طعامه من أجلي، فرحتان للصائم فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه عز وجل والخلوف فما الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»**[3]هذا نص الحديث القدسي وفي نهايته كلمة للرسول.

«كل حسنة يعملها ابن آدم فهي له إلا الصيام فإنه لي » : يقول ربنا عز وجل إن كل حسنة تأتونها لكم، وستجازون عليها أما الصوم فهو لي، لاحظ لكم فيه ولا شهوة. **«وأنا أجزي به »** : فإن الله عز وجل لم يذكر جزاء الصوم، فلم يجعل له مثلا عشر حسنات أو مائة أو ألفا، فقد قال العلماء إن ما يجازي الله به عباده الصائمين لا يُقدّر، فهو أكبر من عقول البشر، فسنعرف الجزاء يوم القيامة، ولذلك قال ربنا سبحانه وتعالى في نهاية الحديث:



«للصائم فرحتان: فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه» فسيرى في الآخرة ما لم يتوقع من الأجر الذي أعده الله لعباده الصائمين.

« يدع طعامه من أجلي، ويدع شرابه من أجلي، ويدع شهوته من أجلي»: لقد تركتم طعامكم فلم تأكلوا، وشرابكم فلم تشربوا، بل تركتم شهواتكم، كل ذلك من أجلي وطاعة لي. سبحان الله، كيف تقول ذلك يارب؟! ماذا يكون ترك الطعام والشراب والزوجة الحلال لأجلك وأنت الرب العظيم ملك الأكوان؟! لقد قلت في كتابك: **﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾** [الإسراء: 44]: فالدنيا كلها تسبح بحمدك ليل نهار، لقد قلت في كتابك: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ**



وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) [الحج: 18] فكل هذا يسجد لك يارب ثم تشكر لنا صيامنا؟! أهكذا مقامنا كبير عندك يارب؟! أهكذا تقدرنا يارب؟؟ ربنا الذي أخبر عن نفسه بأنه هو العظيم: **(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)** [الأنعام: 59] وسع علمه ورقة الشجر التي تسقط في أي مكان، فانظركم من الملايين بل المليارات من الأشجار، بل انظر كم حبة رمل، يعرف كل شيء، وهو مسيطر على كل الأمور، لا تتحرك رملة واحدة إلا بإذنه سبحانه وتعالى: **(قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ**



السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [المؤمنون: 84-87]، اللّٰه المسيطر: (**قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**) (٨٨)) [المؤمنون: 88] أي يحمي، ولا أحد يحميه، بل لا أحد يستطيع أن يحمي نفسه من ربنا: (**سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ**) (٨٩)) [المؤمنون: 189]

إنه الرب العظيم يقول فعلتم كل ذلك من أجلي، إنه يقدرنا أعظم تقدير فهو يقبل أقل عمل منا ويجازي عليه أحسن الجزاء. هب أنك تهادي زعيمًا من الزعماء أو ملكا من الملوك، فإنك لابد ستقدم هدية تليق بمقامه الرفيع، فماذا إن قدمت له قطعة من الحلوى بربع جنيه مثلا؟! المفاجأة أن تجد الملك قد انبهر بها، وفرح، وشكرك عليها، وقال: أكل ذلك لي؟! فتقول أنت: إنها هدية



متواضعة جدًا، على قدر حالي، فيقول الملك: ليست الهدية بقيمتها المادية، يكفي أنها منك، فأقل شيء منك يرضيني! فكذلك الله ولله المثل الأعلى يقول: « **يدع طعامه من أجلي، ويدع شرابه من أجلي ويدع شهوته من أجلي**» ولم يذكر الثواب لأن الصوم عظيم جدًا عند رب العالمين؛ وذلك لأنه يقلل من شهوات النفس فتنطلق الروح من سجنها داخل النفس وشهواتها إلى الله عز وجل، ولذا كان للصيام روحانية عالية جدًا.

سأسوق لكم في بعض الأحاديث نماذج لبعض أناس لهم حال مع ربنا لقوا الكنز المفقود أحسوا بربنا سبحانه وتعالى ورأوه في كل شيء فحافظوا على هذا الكنز.



فمن المحافظين على كنز الصيام مثلاً، والدة من أمهاتنا كبرت في السن لكنها تحافظ على الصيام: الإحساسها بقربها من ربها في الصيام وقبوله الصائمين لا أقدّم هذا النموذج لأهلينا وأجدادنا الكبار والذين لا يطيقون الصوم فقد رخص ربنا عز وجل للمريض أن يفطر لكن أقدّمه للشباب الذين يفطرون في رمضان ويجاهرون بالطعام والشراب، بل يدخنون السجائر علنا ولا يشتخفون وأقول لهم لقد فقد تم آحلى كنز وهو الشعور بقرب رينا عزوجل في رمضان.

تقول والدتنا الكريمة:

«أنا سعاد يوسف أحمد سني ثمانون سنة بدأت الصيام في سن صغيرة في حدود ثماني سنوات تقريبًا ذلك بتشجيع والدي ووالدتي على أن



الصيام بالنسبة لي جائز، وفعلاً كانت تجربة طيبة، فقد كنت أصوم بعض الأيام إلى ما قبل المغرب بساعتين أو ثلاث مثلاً حتى أتعود على الصيام، فتعودت ولم تزل سني صغيرة. رمضان شهر كريم ولم أكن أشعر به وأنا صغيرة، بل كنت أفرح به لأجل الفانوس ولأن العيد يعقبه ولما كبرت قليلا عرفت أن رمضان شهر الكرم وشهر العبادة وشهر الصوم وشهر العمل الصالح وشهر قراءة القرآن وحتى لو كنت مريضة فقد كنت أحاول قدر استطاعتي أن أصوم لأنه شهر واحد في السنة كلها، وكان الله يعينني على أن أصوم الشهر بالرغم من أن أحفادي مثلاً كانوا يشيرون علي بالإفطار لكني أصر على الصوم ما دمت قادرة، فلا بد أن أصوم الشهر كله بإذن الله، وطبقا يمر اليوم بالرغم مما به من مواعيد أدوية وعلاج ولكن أحاول على



قدر استطاعتي أن أكمل شهر الصيام تعبدًا لله عز وجل، إنني أجتمع في هذا الشهر أنا وأولادي وأحفادي وأكون سعيدة جدًا، إن الصغار يصومون لأنهم يرون الكبار يصومون، وقد علمناهم أن شهر رمضان شهر الصيام ورغم صغر سنهم فإنهم يحاولون الصيام فنحن قدوة لهم، ومن المفترض أن نكون قدوة حسنة. وهم يحافظون كذلك على الصلاة فقد علمناهم أن شهر رمضان هو شهر الصيام وشهر العبادة وشهر الصلاة وشهر الكرم وشهر الطيبات كلها؛ فاللهم أعني على صيام شهر رمضان ولا تحرمني منه أبدًا».

إننا نتعلم من هذا الحديث أن الصوم جزاؤه عظيم عند رب العالمين، بل في رواية أخرى لهذا الحديث: «........ **الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي......** »



فالثواب على الصوم أعظم من السبعمائة ضعف رغم أن الله عز وجل فرضه لعدة ساعات من اليوم لا اليوم كله.

«**ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك** » : يقول العلماء: إن الصائم تتصاعد من بطنه أبخرة؛ نظرًا لتركه الأكل والشراب لعدة ساعات تغير رائحة الفم فلا تكون مقبولة عند الناس، لكنها عند الله مقبولة، بل هي أفضل من ريح المسك؛ لأن الصائم إنما ترك طعامه وشرابه مراقبة لله عز وجل، فلقد رأى ربه بقلبه فراقبه فكانت ريح فمه أطيب عند الله - عز وجل - من ريح المسك، بل يرى بعض العلماء أن ريح فم الصائم أطيب عند الله من دم المجاهد، فالنبي يقول عن هذا الدم: «اللون لون دم والريح ريح المسك »، وخلوف فم الصائم - حسب نص



الحديث - أطيب من ريح المسك، فهي إذا أطيب من دم المجاهد، وهذه بشرى لمن لم يستطع أن يجاهد في سبيل الله، فأنت مقرب من الله عز وجل.

ونتعلم كذلك من هذا الحديث أن الله عز وجل كريم يقبل القليل ويثيب عليه ثوابا عظيما، فإنه سبحانه وتعالى يشكر للصائم أنه يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجله عز وجل، ويثيب على ذلك ثوابا أكبر من أن يذكر أو يقدّر، بل ورد في حديث رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن الرسول الكريم قال: «**أربعون خصلة أعلاهن متيحة العنز ما من عامل يعمل بخَصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة**»[4]. ومعنى منيحة العنز أن تشلف أخاك المسلم عنزك ليوم أو يومين مثلاً يحلب لبنها



ويشربه ويسقي أولاده ثم يعيدها إليك كما هي، فعدّ الصحابة من الأربعين خمس عشرة خصلة: منها تشميت العاطس ورد السلام. فتشميت العاطس أن تقول لمن عطس إن حمد الله عز وجل: يرحمك الله، فما أيسر ذلك! ورد السلام لمن قالى: السلام عليكم فتقول: و عليكم السلام ورحمة الله وبركاته - أرأيت ؟! إن الله عز وجل يقبل القليل ويثيب عليه بالكثير من الثواب والجزيل من الجزاء! وما دام الله عز وجل يثيب على عمل بسيط؛ فإنه بلا شك يثيب على كل عمل أكبر منه فهذا الكتاب - مثلاً - الذي تقضي في قراءته وقتا طويلاً، كذلك صلاة السنة والتراويح مثلاً، أعلى بكثير من منيحة العنز، وكذا زيارة أهلك وبر والديك إلى غير ذلك من أعمال.



إنه كنز فقدناه، أن تشعر بقبول أعمالك عند الله، أن تشعر بقربه منك فيما تقوم به من أعمال، فتشعر أنك تقوم به لوجهه سبحانه، فإذا صليت استشعرت أنك تصلي لله، وإذا صمت كنت تصوم له، وتكون على يقين أنك ستلقى ثواب ما أخلصت فيه، فهو يكافى على العمل وإن كان صغيرًا، فماذا لو وقفت - مثلاً - بين يديه ساعة بالليل تصلي وتتهجد والناس نيام؟! إن سنة الفجر مثلاً لها أجر عظيم عندالله سبحانه وتعالى، يقول: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**» [5] رغم يسرهما فهما قد تؤديان في خمس دقائق، ولكنهما أحب عند ربنا من هذه الدنيا كلها، فما بالك بالفرض؟

فما رأيك أخي المسلم أن تقوم بالعمل لا لمجرد فرضيته، بل لتشعر من خلاله بالقرب من الله عز وجل، فأنت تصوم – مثلاً - لا لمجرد أن الصوم



فرض، بل لتشعر بقربك من الله وقربه عز وجل منك، لتراه فيما تقوم به من أفعال وفيما حولك من أحوال، فهو يفرح بعبده المطيع، ولو بأبسط الطاعات، يقول: « **بينما رجل يمشي في الطريق إذ وجد غصن شوك فنحاه جانبا فشكر الله له؛ فأدخله الجنة» ، وفي رواية أخرى: «فشكر الله له فغفر له»** [6] فإذا نحيت برجلك خشبة بها مسمار، أو زجاجة، أو قشرة موز فرح الله عز وجل بك وأثابك عليها، وكأني به يقول: «أزلت الأذى عن طريق عبادي حتى لا يؤذوا؟! فعلت ذلك من أجلي؟!» إنه يرضى بالقليل مناسبحانه و تعالى، فلا بد آن نخلص و نستشعر قربه عزوجل منا حتى لا يضيع عملنا، فمن الناس من يصوم لأن الصوم فرض، فيصوم عن الحلال نهارا ويعصي الله ليلا، فيصبح وقلبه لا يشعر بالقرب ولا المراقبة فيخسر



كنزا عظيمًا خاصة أن الله عز وجل يساعدنا علي الصيام بحبس الشياطين، فلابد أن نلاحظ أنفسنا جيدًا قبل الإفطار وبعده؛ فلنحذر من الأفلام والمسلسلات وما إلى ذلك، مما يضم المناظر الرومانسية وقصص الحب، وأريد أن أنبه على أن هناك أعمالاً فنية لها مضمون وقصة وتهدف إلى تبليغ رسالة محترمة، فأنا أحذر منها أشد التحذير، فلا يقل قائل إن الغاية تبرر الوسيلة، صحيح أنني عرفت في نهاية الفيلم أن الحق انتصر، لكن قلبي قد مات، عرفت أن لكل ظالم نهاية لكن استعذبت رؤية مشاهد الحب والرومانسية وما إليها مما ابتلينا به في إعلامنا.

إن **الله** يقبل منا القليل، فلا نضيع هذه الفرص العظيمة بذنوب نعتقد أنها صغيرة، لأن هذه الفرص تنجينا من مهلكات وموبقات، فقد جاء في



الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رجلاً جاء إلى رسول الله فقال: لقد أذنبت يا رسول **الله** صلى الله عيه وسلم فطبق علي الحد؟ فأجله النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما بعد الصلاة، فأقام الصلاة بلال رضي الله عنه وصلوا، فلما فرغوا سأل النبي: «أين السائل ؟» فقال الرجل: أنا يا رسول الله، لقد أذنبت فطبق علي الحد، فقال النبي: «هل صليت معنا؟» فقال: نعم. قال: «قد غفر ذنبك»[7].

أرأيت أخي الكريم؟! قد يغفر الله لك ذنوبك لمجرد الصلاة في جماعة، فلا تظن أن قوله عز وجل في الحديث القدسي الذي بين أيدينا: « **يدع طعامه من أجلي، ويدع شرابه من أجلي، ويدع شهوته من أجلي**» إن هذا عمل عظيم وإننا قمنا به لأننا عظماء، بل هو عمل يسير وقليل وسهل،



ولكن الله الرءوف الرحيم يحبنا ويقدر كل عمل نقوم به أحسن تقدير، لكن علينا أن نحذر من أنفسنا؛ فالنفس كما قالوا متى شبعت جاعت ومتى جاعت شبعت، متى أشبعتها بمرادها من المعاصي جاعت وطلبت المزيد، ومتى جوّعتها عن المعاصي شبعت وارتجعت، شبعت **بالله** وبإحساسها بقربه عز وجل: لأن الشهوات تعمي رؤية النفس فلا ترى ربها ولا تشعر بقربه، لذلك تجد من يصوم صياما حقيقيًا على نحو ما يحب ربنا عز وجل - بحيث يحقق صيام كل الجوارح عن المحرمات لا عن الطعام والشراب والشهوة فحسب - قد ركزت نفسه واطمأنت، كأنها قد ماتت، وعند موت النفس يدخل صاحبها جنة الدنيا، جنة رؤية ربنا والقرب منه، لذلك يحصل ثواب الصيام كاملاً، جزيلاً كما وعد به ربنا: «**فإنه لي**... » أي اتركوا ثوابه علي



فلن تصور عظم الثواب ولنقسه على عظم مالك الملوك سبحانه وتعالى.

وأخيرًا نتعلم من هذا الحديث أن نقابل رضا الله بالقليل بأن نقدم له الكثير، وأن نقتدي به في معاملاتنا مع الناس فنقبل منهم القليل فترضينا ابتسامة حانية، كلمة «شكرا»، نرضى باعتذار المسيء تقربا إلى الله عز وجل. أخي المسلم، اقبل القليل من الناس وقدّم الكثير لمالك الملك سبحانه وتعالى.

---

[3] مسند أحمد (مسند أبي هريرة رضي الله عنه) 15/330، ورواه البخاري بنحوه رقم (1944).

[4] صحيح البخاري باب (فضل المنيحة) رقم 2438، سنن أبي داود



باب (في المنيحة) رقم 1433.

[5] صحيح مسلم باب (استحباب ركعتي سنة) رقم (1193)، سنن الترمذي باب (ما جاء في ركعتي الفجر) رقم (381).

[6] سنن أبي داود بنحوه باب (في إماطة الأذى عن الطريق) رقم (4565)، والبخاري باب (من أخذ الغصن وما يؤذي) رقم (2292) بلفظ: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره فشكر الله له فاغفر له».

[7]سنن أبي داود باب (في الرجل يعترف يحد) رقم (3808)، مسند



أحمد رقم (21255) بلفظ «أن رجلاً أتى النبي فقال يا رسول اللّٰه إني أصبت حدًا فأقمه علي قال: توضأت حين أقبلت؟ قال: نعم. قال: هل صليت معنا حين صلينا؟ قال: نعم. قال: اذهب فإن اللّٰه تعالى قد عفا عنك»، وهو من حديث أبي أمامة.



الحديث الثالث

حديث البطاقة



حديث البطاقة

قال صلى الله عليه وسلم عن رب العزة: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً مثل مدّ البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عند، فيقول لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا



إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول احضر وزنك فيقول يا ربّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء»[8].

لعله قال لا إله إلا الله يوما بصدق، رآها وأحسها، وعرف أن الله هو مالك هذا الكون؟ فقالها فكانت سببا في أن تطيش سيئاته، فلا شيء يثقل مع اسم الله عز وجل، كأنك تضع مثقالاً واحدًا في كفة وفي الأخرى مائة مثقال، فتطيش كفة المثقال الواحد، لثقل الكفة الأخرى.

إنها صورة من صور رحمة ربنا بعباده يوم القيامة، إنه سبحانه يرحم من يشاء ويعذب من



يشاء.

لعله عبد شعر يوما أن المعطي المانع هو الله وأنه هو الضار النافع، وأنه هو الذي أضحك وأبكى؛ فامتلأ بذلك قلبه نورا، فقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكتبت له في بطاقة، وقد نسي ذلك، فلما لقي **الله** عز وجل هو مذنب مسيء ضعيف أمام شهواته، أدرك أنه هالك، فأخرج الله سبحانه وتعالى هذه البطاقة ووضعها في ميزان العبد فعرف قيمة تلك اللحظة التي ذكر الله فيها وحده وشهد لنبيه بالرسالة.

ما أحوجنا لأن نعيش هذه اللحظة لحظة إدراك أن المالك هو الله، وأن صاحب التصريف هو **الله**، أن نرى **الله** بقلوبناء أن نراه في كل شيء، ألا تذكر أخي المسلم أنك رأيت شيئا ما ذات يوم، فتذكرت



صاحبه على الفور وقلت: إنه لفلان؟! فكن كذلك مع الله عز وجل، فمتى وقعت عينك على شيء، أو واجهك موقف، أو حدث أمامك حدث فتذكر رب العالمين سبحانه وتعالى، فذلك كنز عظيم، ما أجمل أن نعرف الله، وأنه الفاعل الحقيقي في هذا الكون، ليس لأحد سواه فعل ولا تدبير، وأنه هو الوحيد الذي يلجأ إليه ويتذلل إليه، ويؤخذ منه، صحيح أننا قد نطلب من الناس وقد نأخذ من الناس، وقد نستعين ببعض الناس، لكن علينا في ذلك كله أن نوقن أن هؤلاء الناس ما هم سوى أداة سخرها الله لك بقدرته ورحمته سبحانه، وكما يقول ابن قدامة المقدسي في كتابه «مختصر منهاج القاصدين»، لو أن ملكا أمسك قلمًا ووقع على عطاء أو جائزة لأحد الناس، فهل يقبل ذلك الممنوح على القلم يشكره ؟! إن القلم لا قيمة له،



بل هو مجرد أداة، لكن الذي منح هو الملك، فكذلك الأمر مع الله عز وجل، ولله المثل الأعلى. فلا بأس من التعامل مع الناس ما دام القلب متعلقا **بالله** عز وجل، واحذر أن يغيب ذلك المعنى عنك فتركن إلى الناس فيكلك الله إليهم، لأنه يغار سبحانه وتعالى، يغار على قلبك من الشرك، فأصل العبادة قمة الحب وقمة الخضوع والتذلل إلى **الله** عز وجل فهو مصرف الكون وهو الحقيق بكلمة «لا إله إلا الله» التي جاء من أجلها الأنبياء كلهم (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** (25)) [الأنبياء: 25]، فإنها ليست مجرد كلمة، بل هي رؤية، رؤية قلبية، ولذلك أجاب النبي صلى الله عليه وسلم من سأله: ما الإحسان؟ بقوله: «... الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...» [9]، و



اذكر قوله عزوجل : **(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا** (١٢٥)) [النساء:125] فقد ذكر الله سيدنا إبراهيم في موضوع حسن الإسلام؛ وذلك لأنه لم يكن يرى غير الله عز وجل فقد رئاه الله على ذلك، كما ربى سيدنا موسى أيضا، فسيدنا إبراهيم لم يكن معه من المسلمين غير زوجته سارة، كما يخبرنا الحديث الشريف: «... **قال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك** » [10]، واجتمع عليه قومه ليحرقوه انتقاما لأصنامهم التي كسرها فقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» أي ليس لي غير **الله**، هو الفاعل الحقيقي والنافع والضار، إنها كلمة قالها إبراهيم عليه السلام في النار وقالها محمد حين قيل له وللمسلمين **(إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**



فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)) [آل عمران: 173]، فلا يهمه جيش مهما كان عدده ومهما كانت قوته، فالنبي حارب في غزوة مؤتة - بثلاثة آلاف مسلم - جيشا يبلغ مائتي ألف، فإن الله إذا أراد أن تقتل قتلنا بأقل حشرة أو فيروس، ولو أراد أن يحفظنا حفظنا مهما كانت الجيوش التي تقاتلنا، وكذا الحال مع سيدنا إبراهيم عندما اجتمع عليه قومه و (**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**(68)) [الأنبياء: 86] فأنجاه الله سبحانه وتعالى، يقول: (**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** (70)) [الأنبياء: 69 -70] لذلك كان جواب سيدنا إبراهيم عندما جاءه جبريل سائلاً: ألك حاجة؟ «أما منك فلا، وأما من الله فعلمه بحالي يغني عن سؤالي»، فهو يدرك أن



جبريل عليه السلام لا يملك له ضرًا ولا نفعا، رغم أنه صاحب ستمائة جناح ورغم أنه قلب قرية لوط بريشة من جناحه، فرفعها بأمر من اللّٰه عز وجل إلى السماء وأعادها، فهو لا يستطيع فعل شيءٍ إلا بأمر **اللّٰه** وقدرته سبحانه، وهذا ما أدركه سيدنا إبراهيم، لذلك قال **اللّٰه** عز وجل: **(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ)** [النساء: 125] فقد كان عليه السلام لا يرى غير **اللّٰه** عز وجل.

قد لا يشعر بعضنا بقيمة «لا إله إلا اللّٰه» لأنه تعودها، فأهلنا ينطقونها، وندرسها في المدارس، لكن يشعر بها من كان محروما منها.



أسوق إليكم نموذجا لمن عرف قيمتها من غير المسلمين فأسلم:

سيدة هولندية تقول: «أنا أم عبد **الله**، وبفضل **الله** أسلمت منذ 26 سنة، قابلت زوجي في هولندا حيث كان يعمل هناك وتزوجنا والحمد لله، ثم أردت أن أعرف كل شيء عن دين الإسلام؛ فاشترى لي زوجي كتبًا عن سيدنا محمد وعن دين الإسلام لم أكن مقتنعة بما كنا ندرسه في هولندا؛ وبما يقوله الإسلام من أنه: «لا إله إلا الله» فلما أعملت عقلي أدركت أنه لا يوجد غير إله واحد كما أدركت ذلك بالقلب أيضا؛ فأسلمت لله رب العالمين وعرفت أني كنت في ظلمة والآن قد تركتها إلى النور، فالحمد لله الذي أنقذني من النار، وها أنا الآن أصلي وأصوم وأرتدي الحجاب.



وقد اتفقت مع زوجي على المجيء إلى مصر حتى يتربى أولادي في وسط المسلمين ومع أهلهم من المسلمين هنا سيكونون أفضل فهم والحمد لله يحفظون القرآن ويتعلمونه، فولداي عبد الله وأحمد قد أتما الحفظ، وعمر يحفظ ستة وعشرين جزءا، أما حفيدي عبد الرحمن فيحفظ نصف جزء عم، وعمره خمس سنوات ونصف، وأعلمه كلمة لا إله إلا الله حتى يعرف معناها، فإن الهولنديين

والدنماركيين الذين أساءوا إلى الرسول الكريم محمد بنية لم يعرفوا معنى لا إله إلا الله لأنهم يخافون دين الإسلام؛ لأن عدد المسلمين يرتفع كل سنة بصورة مدهشة والحمد **لله** رب العالمين».

نتعلم من هذا الحديث أهمية تحقيق «لا إله إلا الله» في كل أحوالناء فلا يكفي مجرد القول، أو



مجرد العلم بأن هناك إلها واحدًا، فالكفار كانوا يعلمون بوجود الله، بل يقرون أنه خالقهم، يقول المولى عز وجل: (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**) [الزخرف: 87] فكل مشكلتهم أنهم كانوا يعتقدون في نفع غير الله وضره، يرون أن هبل ومناة واللات والعزى تملك ضرًا ونفعا، لذلك كان سبب دخول سيدنا عكرمة في دين الله أنه لما فرّ من محمد بعد فتح مكة راكبا البحر وأتت موجة عاتية، فقال ربان السفينة (وكان كافرًا) أيها الناس إن آلهتكم لن تنفعكم ها هنا، فالجئوا إلى رب السموات، - انتبه عكرمة رضي **الله** عنه وقال: لئن لم ينجني في البحر إلا رب السماء فلن ينجيني في البر إلا هو، فأسرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه، ومات بعد ذلك شهيدًا.



الفارق إذًا بين المسلمين والكافرين أن المسلمين يعرفون أن الله هو المدبر لكل لحظة في الكون، وبالتالي، فإنهم مع ربهم رب الأكوان، يقول عطاء: أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون. فإذا شهدت المكون كانت الأكوان معك.

والمعنى أنك إذا لم تتحقق «لا إله إلا الله» بأن تعرف الله وتشهده في كل شيء فتعبده حق عبادته انشغلت عنه بما سواه فصرت عبدا لكل شيء فيه نفع لك، فتتعس كما قال: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة إن أعطى رضى وإن منع سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**» [11]، المنقاش هو (الملقاط) التي يلتقط به الشوكة والشعرة من الجسد.



كيف لا نعرف «لا إله إلا اللّٰه» وقد عرفها الهدهد ذلك الطائر الضعيف، فعندما تفقد سيدنا سليمان مملكته ولم يجد الهدهد...... قال: **(مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (21)** [النمل: 20، 21] فلما جاءه الهدهد قال: **(أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** [النمل: 22-25] أرأيت كيف ينظر الهدهد إلى ربه؟! ارايت كيف عرف ربه ؟ انه يعرف ربه في رزقه، لم ير الزارع الذي زراع



وحصد، بل رأى الله المسبب المدبر الرزاق المعطي، فهو متوكل عليه وحده لذلك يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصتا وتروح بطانا**» [12]، فالعصفور الضعيف يعرف ربه، لأنه لن يموت جوعا، ما دام الله هو الرزاق ذو القوة المتين، فالهدهد يعرف من يخرج الخباء، بل يصرح لسليمان عليه السلام منكرا على البشر الذين لم يعرفوا ربهم فسجدوا لغيره: (**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**» [النمل: 25] والخبء أي الحبة المختفية تحت الأرض، وكذلك فهو يعلم ما تخفيه الصدور، فمن يصلي لوجه الله لا ينتظر الجزاء إلا من الله، كذلك كل الأعمال إنه لا ينتظر ثناء، فثناء البشر لا قيمة له، بل ثناء الله هو الباقي، وهو الجائزة، يُروى أن

رجلاً دخل على رسول الله فقال له: لعظماؤكم أهون على الله من الجعلان التي تدفع الخرء بآنافها، قال: فاستأذن رجل فقال إن حمدي زين، وذمي شين، فقال: « **كذبت ذلك الله تبارك وتعالى**» [13]، أي أرفع من أمدحه وأخفض من أذمه فيكون ذمي عارا ملازما إياه. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم «إن الله هو الذي يرفع مدحه الناس في الدنيا والآخرة، وذمه ينزلهم يقول تعالى: (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**) [التين: 4] فهذا مدح للإنسان عامة ثم يأتي الذم لمن كان عاصيّا: (**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)**) [التين: 5] ومدح المؤمنين من خلال الاستثناء من الذم السابق: (**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**) [التين: 6].



فمتى عرفنا هذه الحقيقة وآمنا بالله عز وجل حق الإيمان عرفناه ووجدناه، ووضع ذلك لنا في بطاقة كنز السعادة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سأل الرسول قائلاً: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يزية: «**لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك مما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه**»[14].

ينبهنا العلماء إلى أن اللسان لا يقول شيئا إلا إذا كان مستقرا في القلب، تماما كما يقول العوام: (اللي في قلبي على لساني)، فمن يقول «لا إله إلا الله» مخلصا يكون قد أخلص بقلب، لأن الإخلاص



لا يكون من اللسان، بل لانه رأى ربه فلم ير غيره أخلص في القلب فظهر القول على اللسان.

إن من يحقق معنى هذه الكلمة يعزه الله عن خلقه، لأنه لا يرى له ربًا غير الله عز وجل وبالتالي؛ فإنه يستغني عن كل الخلق، فيعيش في عزة، كأنه ملك، وهذا ما شعر به الإمام الشافعي رحمه الله عندما توكل على الله في أمره كله فرآه سبحانه وتعالى رؤية القلب فتحقق ذلك في أفعاله وأحواله يقول رحمه الله:

رأيـــت القــناعــة كــنــز الــفــتــى

فـــصــرت بــأمــثــالــهــا أتــمــســك

فــلا ذا ايــرانــي عــلــى بــابــه ولا ذا

يــرانــي بــه مــنــهــمــك



فصرت غنيّا بلا درهم أمر
على الناس شبه الملك

وإذا كان كل شيء بيد الله عز وجل وحده فيجب ألا نقع في المحظور كالزنا والسرقة وغيرهما ابتغاء شهوة أو نفوذ وما شابه ذلك، لأن كل شيء مما نبتغيه ونظن فيه السعادة إنما هو بيد الله عز وجل وحده، فعلينا أن نترك المنكرات لله وحده وأن نأتي الطاعات مخلصين لله عز وجل فيها وإذا كان فعل الطاعة بإخلاص يعطينا بطاقة في ميزاننا، فتعدد الأفعال يعدد البطاقات فيزيد رصيدنا منها فتطيش سيئاتنا بإذن الله.

وأخيرًا ما دام الله عز وجل هو وحده النافع الضار المعطي المانع، فلتعامله وحده، ولا تكافى الناس، فأعط من منعك وصيل من قطعك وأكرم



وسامح الله عز وجل، وصلى الله على سيدنا محمد الذي جاء رحمة للعالمين بهديه وأخلاقه صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين.

---

[8] سنن الترمذي، باب (ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله)، رقم (2563)، المستدرك على الصحيحين رقم (9)، المعجم الكبير للطبراني رقم (1490).

[9] صحيح البخاري ج 1، باب سؤال جبريل النبي.

[10] صحيح البخاري حـ11 حديث 3108 باب: قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلا}.



[11] الطبراني - المعجم الكبير والأوسط.

[12] سنن الترمذي ج8، باب في التوكل على الله.

[13] المطالب العالية للحافظ ابن حجره حديث 2781 باب ذم الكبر ومدح التواضع

[14] صحيح البخاري ج1، رقم الحديث 97، باب الحرص على الحديث.



الحديث الرابع

(مرضت فلم تعدني)



(مرضت فلم تعدني)

قال رسول **الله** صلى الله عليه وسلم: «**قال الله** تعالى: عبدي مرضت فلم تغذني، فقال العبد: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! فقال: مرض عبدي فلان أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟! استطعمتك فلم تطعمني. فقال: فكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمك



عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟!» [15]

إن هذا الحديث يضع يدنا على كنز عظيم، ألا وهو معية الله للمرضى والفقراء، والأصل أن **الله** سبحانه وتعالى قريب من العبد، وكلما كان العبد عبدًا حقا كان **الله** أقرب منه، هناك فارق كبير بين كون العبد عبد العارض ألم به كأن يمرض فيقول يا رب؛ وأن يكون العبدُ عبدًا في كل الأحوال، حتى لو كان صحيحا معافى ثرياء فهو يشعر بالفقر إلى الله ويتذلل إليه سبحانه وتعالى.

و الحديث يسوق بشرى للمرضى والمحتاجين، و للقادرين على الزيارة والإنفاق، فالله سبحانه وتعالى يتكلم عن المريض والمحتاج، يكفيهما أن يتكلم، بل يعد القادرين وعدًا عظيما وهو أن من



زار هؤلاء وأعانهم وجد ذلك عند الله محفوظا كأنه زاره هو، فعلى ذلك القادر أن يتواضع لله عز وجل فكما أنه يسجد حانيا جسده كاسرًا نفسه، فليزر المريض وليعط المحتاج، لأن كلاً من المريض والمحتاج يشعران بانكسار كالذي يشعر به الساجد **لله**، لذلك جعل **الله** للساجد اقترابا، يقول الله عز وجل (**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب** (19)) [العلق: 19] لما في السجود من انكسار يذكر بانكسار المريض والمحتاج، وأخشى أن يكون المريض أو المحتاج معترضا على قدر الله عز وجل، فليس من البشر من يحوز كل شيء، فإذا فقدت شيئا، فإن الله أعطاك أشياء سبحانه وتعالى، فإياك والشكوى، لأن الله عز وجل عندما يسمعها يقول: «**يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم يا**



خيبة الدهر، فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما» [16].

إنك عندما تشكو الزمان والأحوال، فإنما تشكو الله عز وجل، فأقصر، وتأدب بأدب حضورك مع الله عز وجل، فهو عندك، يسمع منك ما تقول، وأعلم أن الله يمرض الناس لحكمة، ليطهرهم ويرفع مكانتهم، وكذا المحتاجون.

أما المعافون من المرض والأغنياء عن الحاجة فعليهم المبادرة بالزيارة؛ لأن **الله** هناك، عند المريض والمحتاج، فهو في معية كل منهما وهذا فضل كبير لهما ولزائريهما وبالتالي، فإن المرض والحاجة أصبحا نعمة أو ينطويان على نعمة كبيرة ألا وهي معية **الله** عز وجل.



واقرأ معي أيها المبتلى حكمة ابن عطاء **الله** السكندري ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط «لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا». ولعلك أخي المعافى تستطيع أن ترى **الله** عز وجل عند المريض والمحتاج بصفاته، فتراه برحمته وكرمه وعفوه ومغفرته وإحسانه وجوده. ولتعلم أن كل وقتك ومالك ونفسك لله عز وجل، يقول سبحانه: **(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)** [التوبة: 111] فاحرص على هذا الفضل العظيم، فاسأل **الله** القبول.

نتعلم من هذا الحديث أن رحمة ربنا عز وجل بنا أن يقذف في قلبنا فكرة ما فتكون سببًا في إطعام آلاف المحتاجين، ويعيننا على الاعتراف بنعمه علينا، ويشعرنا بضرورة رد شيء من هذه



النعمة على عباد **الله**، فنكرم الناس لوجه **الله**، لا نرى غيره سبحانه وتعالى. ومن تلك الأفكار - مثلاً - بنك الطعام الذي يشترك فيه رجال الأعمال من أجل خير المساكين والمحتاجين.

وإليكم نموذجين من المشاركين في بنك الطعام من الشباب:

«أنا مصطفى أبلغ من العمر سبعا وعشرين سنة، عرفت بنك الطعام منذ ثلاثة أشهر، وكنت تعرّفت ما يمكن أن أقوم به، فقررت المشاركة في جمع التبرعات حتى يكون لي دور فعال وأنال ثوابا من الله عز وجل».

«اسمي منار طالبة بالفرقة الثالثة بكلية الآداب قسم النقد المسرحي، تطوعت منذ سنة ونصف، وقد عرفت البنك عن طريق أحد المنتديات على



شبكة الإنترنت، وعن طريق الحملات الخيرية الشبابية التي قمنا بها عرف الكثيرون بنك الطعام ونشرنا الفكرة والحمد لله، وكان الأساس الذي دعونا الآخرين من خلاله هو الحديث الشريف: **«كان الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »**[17] **فالله** عز وجل عندما خلق الناس وجعلهم طبقات كان لحكمة، وهي ترسيخ التعاون والتواصل بين هؤلاء البشر وأستمتع في هذا النشاط بكوني أدخل السرور على أسرة بحاجة فعلية إلى هذا المجهود المبذول والمال المتفق والتنسيق غير العادي».

هكذا يمكننا أن نتعلم من هذا الحديث التعاون، ولا ننسى أن الله عز وجل أثاب امرأة زانية سقت كلباء فشكر لها سبحانه وتعالى فغفر لها، فما بالك بجزائك عندما تسقي أخاك العطشان أو تطعمه؟!.



وأود أن أركز على أن الأقربين أولى بالمعروف، فلا تنس المرضى من أهلك وجيرانك وأصحابك، واعلم أخي المسلم أن ما تنفقه سينميه الله لك، ويرد إليك أضعافه، فضلاً عن أنه يأخذه بيمينه عز وجل، يقول: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب وإن الله لا يقبل إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها له كما يربي أحدكم فلوه حتى تصير في الميزان مثل جبل أحد أو مثل الجبل** »[18]. والفلو هو الحصان.

ولا يكون هذا العمل الصالح مقتصرًا على المريض والمحتاج، بل له صور عديدة كأن تساعد امرأة عجوزا أو شيخا كبيرًا أو طفلا صغيرًا أثناء مروره بالشارع، أو تحمل شيئا عن مسن أو من لا يستطيع، أو تساعد من تعطلت سيارته بأن تدفعها معه إلى الأمام أو تقدم له ما تستطيع من عون،



وهكذا يقول تعالى: (**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**) [المزمل: 20] فأنت تعطي وتتصدق الوجه **الله والله** يتصدق عليك برحمته عز وجل، فإياك أن تبخل يقول عز وجل: (**هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**) [محمد: 38] فتحرم نعمة معرفة أن هناك مريضا أو محتاجا، وستصير هذه النعمة إلى من يسارع في الخيرات، فتكون قد حرمت الخير الكثير يقول تعالى: (**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم**) [محمد: 38].

من الأخبار التي ساءتني ما طالعتنا به إحدى الصحف من أن امرأة مرضت مرضا عقليًا أو نفسيًا



مكثت بالمستشفى ستًا وخمسين سنة منذ 1952 ولم يزرها أحد حتى توفيت ودفنت في مقابر الصدقة، ترى ماذا سيكون بينها وبين أقاربها يوم القيامة؟ ماذا سيكون عتاب الله عز وجل إياهم: «مرضت فلم تعد في»؟ اللهم لا تحرمنا زيارة المرضى، ولا فعل الخيرات والطاعات.

وإياك والمكافأة فتزور من زارك وتعطي من أعطاك فحسب، كن كريما مع الجميع؛ لأن ذلك لوجه الله سبحانه وتعالى، يقول الحسن البصري: «لأن أمشي في حاجة المسلم فأقضيها له أحب عندي من أن أصلي ألف ركعة» لك أن تتصور جزاء ألف ركعة، فالمساعدة أفضل عنده من جزاء هذه الألف»، ولك البشرى بحديث رسول **الله**: « **الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في**



سبيل الله أو كالذي يقوم الليل ويصوم النهار»[19].

لا تنس أن حاجتك إلى المريض والمحتاج أشد من حاجتهما إليك، لأن الله عز وجل عندهما بصفاته من رحمة وكرم وعون وما إلى ذلك مما يكرم الله به عباده الطائعين، واذكر سؤال موسى الله عز وجل: «**يارب أين أجدك؟ قال: تجدني عند المنكسرة قلوبهم، فكن مسكينا، وكن مع المساكين»**[20]، ولا تبخل على المريض وذي الحاجة، لأن ذلك كله محفوظ لك عند الله ربنا سبحانه وتعالى وستجد حلاوته في الدنيا وعظيم ثوابه في الآخرة، عندما تدخل الجنة برحمة الله ومنه، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.



---

[15]صحيح مسلم، باب فضلا عيادة المريض، رقم الحديث: 4661.

[16]صحيح مسلم، باب النهي عن سبب الدهر، رقم الحديث: 4167.

[17]صحيح مسلم، رقم الحديث 4867، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.

[18]صحيح البخاري، رقم الحديث 1321، باب الصدقة من كسب طيب.

[19] مسند أحمد، رقم الحديث 8377، مسند أبي هريرة

[20] الزهد لـ «أحمد بن حنبل» رقم الحديث 397، باب ايغني عند المنكسرة قلويهم.



الحديث الخامس

مَن عادى لي





مَن عادى لي وليًّا

قال صلى الله عليه وسلم: « قال اللّه: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه: فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن



شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[21].

ما أجمل هذا الحديث، فهو يحدثنا عن أولياء **الله** عز وجل، والولي هو الذي يلجأ إلى **الله** ويطلب منه أن يتولاه فيوفقه إلى عمل الطاعات وترك المنكرات، ويسلم إلى **الله** عز وجل أموره كلها في الدنيا والدين، فكأنه يقول: يارب ليس لي سواك يعينني على الخشوع في الصلاة، ليس لي سواك يرزقني، لا يكرمني غيرك. لا يرزقني بزوجة صالحة إلا أنت، لا يوقظني لصلاة الفجر أحد سواك، ومن غيرك يحميني من الأمراض؟ من غيرك يشفيني إن مرضت؟ لن يساعدني غيرك في تربية أولادي، أنت تضحكني وأنت تبكيني، فهذا الإنسان يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يتولاه.



ويكون ذلك لثقته بالله سبحانه وتعالى، تماما كما تذهب إلى محام ليتولى قضيتك، فعلى قدر ثقتك فيه تطلب ولايته، وتكون فخورًا بأن المحامي الذي وكلته هو فلان الثقة، **ولله** المثل الأعلى، فهو يتولى عباده المؤمنين به حق الإيمان، ويطمئنهم: **(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)** [يونس: 62]. بل يعينهم وينجيهم من المهالك والظلمات يقول تعالى: **(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ)** [البقرة: 257] يخرجهم من ظلمات المعاصي والكفر والبعد عن الله عز وجل إلى نور القرب منه والشعور بحلاوة تولي **الله** لكل أمورهم وشئونهم.



«من عاد لي وليًا فقد آذنته بالحرب» يتوعد **الله** عز وجل من يعادي أحد أوليائه وأحبابه بحرب منه، فالويل كل الويل لمن يحاربه **الله**، فمن ينصره ؟! ومن يعاده **الله** فمن يواليه؟! ومن يكن عليه **الله** فمن يكون معه؟ إنها بشارة من **الله** عز وجل للذين توكلوا عليه **(اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا)** [محمد: 11].

فما أرفع مقام الأولياء وشأنهم !

في البداية أود أن أذكرك أخي الكريم بأول ولاية لله عز وجل لك، فإنه تولاك قبل أن تخلق، بل قبل أن يخلق البشر كلهم، بل قبل أن تخلق الدنيا، تولاك الله بأن جعلك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فأمر القلم أن يكتب ذلك كما يقول: «**لما خلق الله الخلق خلق القلم فقال**



الكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»[22] فكتب القلم أنك من المسلمين بفضل الله عز وجل وحده لا دخل لأحد غيره ولا فضل لأحد سواه فقد تولاك قبل أن تأتي إلى هذه الدنيا.

واعلم أن **الله** تولاك في كل نعمه تنزل إليك، بل في كل ابتلاء. لأن له فيه حكمة هي في صالحك لا شك. ومما تولاك **الله** فيه أخي المسلم أن عفا عنك في كل خاطر جال بصدرك ما لم يخرج إلى حيز الفعل أو الكلام، يقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم** »[23]. ونفهم من قوله قية: «أن **الله** أكرمنا بذلك من أجل النبي صلى الله عليه وسلم ، لذلك



فلنفرح بأننا من أمته صبلى اللّه عليه وسلم، وأن اللّه أمر القلم أن يكتبنا في أمته ، فلنحسن إلى كل من آمن به ووالى ربه عز وجل. ومثل ذلك ما اختص اللّه به النبي صلى اللّه عليه وسلم بأن جعل له الأرض مسجدًا وطهورًا، يقول النبي صلى اللّه عليه وسلم يزية: «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي...** »[24]، ومن هذه الخمسة: « **جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا** ». فما أجملها من نعمة أن تصلي في أي مكان، بل على الأرض مباشرة لأنها طاهرة، كما يقول علماء القلوب إن معنى هذا أنك تدخل في لقاء مع **اللّه** في أي مكان، وبكلمة «**اللّه** أكبر» مع أنه رب العالمين وملك الملوك، ودون أن تطلب موعدًا أو تنتظر في «السكرتارية» حتى يؤذن لك، كما هو الحال مع العظماء من البشر.



كل هذه الولايات تدل على أهميتك وقدرك عند **الله** عز جل، وهذا يذكرنا بشهوة أخرى غير شهوة الطعام والشراب، ألا وهي شهوة الشعور بالأهمية، فلتتصور أني أعطيتك مالاً كثيرًا لكن بازدراء، فهل تكون مسرورًا بالمال؟!! بالطبع لا، أما لو أعطيتك هدية بسيطة أو مالاً قليلاً بأهمية بالغة وحفاوة عظيمة بشخصك، فأنت لا شك مسرور، لأنك شعرت بأهميتك عندي، فكذلك الأمر مع **الله** عز وجل و**لله** المثل الأعلى؛ فأنت مهم جدًا عند رب العالمين، عزيز عليه، لذلك تولاك في كل ذلك الذي ذكرنا بل تولاك في كل أمورك برحمته سبحانه وتعالى، فلتكن في أمان معه، ولا تقلق من غد، ولا تحزن لأي شيء لأنك مع **الله** عز وجل.

يقول الإمام الطحاوي في كتابه العقيدة الطحاوية إن كل المؤمنين أولياء **لله** عز وجل،



وذلك لأن **الله** سبحانه وتعالى قال: **﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾** [محمد: 11] فكل المؤمنين أولياء بنص هذه الأية، إذ ليس ضروريا أن تكون في المسجد طوال اليوم، لكن أن تكون منشغلاً بطاعة **الله** عز وجل ورضاه في كل الأمور مع أهلك، مع والديك مع زملائك، في كل أمورك أنت تراقب **الله** عز وجل فأنت من أوليائه، لذلك احذر أشد الحذر أن تعادي أحدًا من المؤمنين، لأنه ببساطة قد يكون وليًا، زوجتك قد يكون لها حال مع **الله** عز وجل فتكون من أوليائه، زميلك في العمل، كل من تعرفهم من المؤمنين قد يكونون أولياء، أنت نفسك قد تكون وليًا دون أن تدري.

ولاية الابتلاء:



قد يكون في الابتلاء ولاية كما أن في النعمة ولاية. ولك في قصة علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه عبرة في ذلك، فإنه لما ألمت بأبي طالب ضائقة مالية وزع أبناءه على أقاربه، فكان الإمام عليٌّ رضي **اللّٰه** عنه من نصيب سيدنا محمد r، فكان بسبب ذلك أول الأطفال إسلاما، ثم صهر النبي r، ثم رابع الخلفاء الراشدين، فقد تولاه ربنا عز وجل، وكانت الضائقة المالية رعاية من **اللّٰه** عز وجل لسيدنا علي، فقد تولاه بذلك حتى صار من أفضل خلقه سبحانه.

ونتعلم من ذلك أن نطمئن إلى **اللّٰه** عز وجل، وأن نرضى بكل أحوالنا.

ومثل آخر في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، الذي أخرجه إخوته من بيت أبيه طفلاً، وألقوه في



بئر، ثم دخل السجن، فكانت كل هذه المحن والابتلاءات ولاية من **الله** عز وجل، لأنه خرج من السجن إلى العرش، أصبح عزيز مصر، أسجد **الله** له إخوته، وتحققت رؤياه التي رآها في طفولته، ثم وفقه **الله** إلى أن يسأله تمام الولاية وذلك بأن يموت مسلماء فقال سيدنا يوسف عليه السلام كما أخبرنا القرآن الكريم: (**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**) [يوسف: 101].

فأكمل الولاية أن تموت على الإسلام وتحشر مع الصالحين، فقد تولاك **الله** قديما عندما أمر القلم أن يكتبك في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تولاك طوال حياتك، فلتسأله أن



يتولاك عند موتك فيتوفاك مسلمًا ثم يحشرك مع الصالحين.

كل ابن آدم خطاء:

لا يحزنك أنك تخطئ فكل ابن آدم خطاء، لكن **الله** عزوجل يغفر لنا ذنوبنا ويمحو أخطاءنا ليرقينا في الدرجات، وللعلماء كلمة في غاية الجمال يقولون: «ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه» أي ليس كل إنسان له مقام وخصوصية عند **الله** قد تخلص من كل عيوبه إذ أن **الله** يرضى بنا على نقصنا وعيوبنا ونحن نحاول أن نصلحها.

إن هذا معناه أن الولي قد يكون صاحب ذنوب، وهنا أحذرك ثانية أن تبغض مسلما أو تؤذيه، فقد يكون وليًا **لله** عز وجل، لكنه لم يتخلص بعد من هذا الذنب أو ذاك العيب، فاحترم كل المسلمين،



تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «... **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**... »[25].

إنك إذا أسلمت **لله** عز وجل في كل أمورك؛ اختار لك الأفضل ورضي عنك وأرضاك بهذا الاختيار، ولك في رسول **الله** أسوة حسنة، ففي صلح الحديبية كان النبي صلى الله عليه وسلم متجها إلى مكة لأداء العمرة، فاعترض أهل مكة وأبدوا الحرب، فقرر النبي صلى الله عليه وسلم الحرب، فأوحى **الله** إلى ناقته فجلست في مكان قبل مكة، فتعجب الصحابة، فقال: «**ما خلأت، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**» [26]، يعني أقعدها **الله** الذي أقعد فيل أبرهة حتى لا



يحدث القتال والتدمير فكان ذلك وحيا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بناية بأن يعدل عن فكرة الحرب ثم يأتي خبر بقتل عثمان بن عفان إلى رسول **الله** بنية فغضب وقرر محاربة قاتليه ثم تبين له كذب الخبر فعدل عن الحرب، وهكذا ظل النبي صلى الله عليه وسلم بين حرب وسلام مسلما لأوامر **الله** عز وجل حتى يأتي سعيد بن عمرو ويعرض الصلح على النبي، فقد سلم النبي صلى الله عليه وسلم **لله** عز وجل فتولاه، ورفع به الدنيا والآخرة، وأكرمه حتى إن الحساب لن يبدأ حتى يشفع النبي صلى الله عليه وسلم.

تنبه لتعرف ولايته إياك:

ما أكثر المواضع التي تولاك **الله** عز وجل فيها لكن عليك أن تتنبه إليها، فمن مظاهر ولاية **الله** لك



- أخي المسلم - أن صبّرك عند المصائب والابتلاءات وأجرى على لسانك الشكر وعلى قلبك الصبر، فوجدت نفسك تقول: (**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**) [البقرة: 156] و(**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا**) [التوبة: 51] لقد تولانا ربنا سبحانه وتعالى، فرزقنا الرضا وعلمنا أن له ما أعطى وله ما أخذ، نرضى بقدرك يارب، نحبك يارب، صابرون على بلائك، شاكرون لنعمائك، راضون بقضائك.

كذلك توفيقه إياك لقراءة كتاب مفيد أو مشاهدة برنامج ديني أو غير ذلك من المصارف الصالحة للوقت، فهذا من توفيقه عز وجل إياك، وهذا من ولايته على وقتك فاشكره، فإذا عصيت فارجع نادماً ولا تظن أنه جعلك تعصي فتقول كما ادعى إبليس الذي قال: (**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ**



لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) [الحجر، 16] ولكن اصنع ما صنع آدم عليه السلام، اعترف بأنك أخطأت، قال: **(وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ)** [الأعراف: 23] الجأ إلى **الله** سبحانه، قل: تولني يارب، فإذا تولاك جعل المعصية غمًا وضنكا وزاد ندمك عليها على عكس المجاهرين الذين يفرحون بالمعصية ثم يحدثون الناس عنها، ولا يندمون.

دع الغضب والانتقام:

وحتى تكون وليًا وقريبًا من **الله** عز وجل عليك بترك الانتصار للنفس فلا تنتقم لشخصك، يذكر أن سيدنا علي بن أبي طالب رضي **الله** عنه كان يقاتل أحد المشركين، فلما صرعه سيدنا علي وكاد ينزل عليه بسيفه إذا بهذا المشرك يبصق في وجهه،



فيتركه سيدنا علي وينصرف، فيلحق به المشرك، ويسأله: لم لم تقتلني وقد أوشكت على ذلك؟ فقال له سيدنا عليّ رضي الله عنه: إنني كنت أقاتلك انتصارًا للاسلام فلما بصقت في وجهي اختلطت نيتي فلم أدر أقاتلك انتصارًا للدين أم لنفسي؟ فتركتك. فأسلم هذا المشرك وصار في ميزان سيدنا عليّ كرم **الله** وجهه، لقد ترك الانتصار لنفسه، لأن وليه **الله** عز وجل سينتصر له، فكان من الله سبحانه وتعالى أن هدى هذا المشرك، وأدخله الإسلام، وجعله في صحيفة سيدنا علي رضي الله عنه، فما أعظم أن تترك الانتصار للنفس وترضى **بالله** عز وجل وكيلاً ونصيرًا!

لقد كان لعليٍّ أسوة حسنة في رسول **الله** صلى الله عليه وسلم، فإن السيدة عائشة تقول: «**ما ضرب رسول الله شيئا قط بيده ولا امرأة ولا**



خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل» [27]، فلقد صبر على من آذاه وزمي عليه التراب وضرب بالحجارة، بل كان يدعو لهم: «**اللهم اهدر قومي فإنهم لا يعلمون**». فاترك كل أمورك لله، واعلم تماما أنه يدافع عنك، فهو الذي قال في كتابه الكريم: (**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**) [الحج: 38] اللهم اجعلنا من عبادك المؤمنين الأولياء الصادقين وكل أمة محمد.

---

[21] صحيح البخاري، رقم الحديث 6021، باب التواضع.

[22] مسند الشاميين للطبراني، رقم الحديث 1542.



[23] صحيح البخاري، رقم الحديث 2343، باب الخطأ والنسيان في العتاقة. (3) صحيح البخاري، رقم الحديث 419، باب قوله تعالى: (فلم تجدوا ماء».

[24] صحيح البخاري، رقم الحديث 419، باب قوله تعالى: (فلم تجدوا ماء».

[25]صحيح البخاري 66، 102، 1623، وصحيح مسلم (3179).

[26]صحيح البخاري (2529).

[27] صحيح مسلم (4696).



الحديث

السادس

أين أشكرك؟



أين شكرك؟

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي **الله** عنه قال: قالوا يا رسول **الله** هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « **هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وآذرك ترأس وتربع ؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي. فيقول: لا، فيقول إني أنساك كما نسيتني...»**



[28]. وفي رواية أخرى: «**يقول الله: أين شكرك؟ فيقول: يارب نسيت. فيقول: فاليوم أنساك كما نسيتني**». أي فل، نداء من الله لذلك الرجل، وكلمة «فل» تصغير «فلان».

يذكرنا هذا الحديث بأن الله سبحانه وتعالى أتى بنا إلى هذه الدنيا حتى يعرفنا به، فقد هيأ لنا أسباب الوجود، ثم هيأ لنا الأرض والعيش عليها قبل أن يخلقنا، يقول سبحانه: (**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**) [البقرة: 29] ثم يقول بعد هذه الآية بآية واحد: (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**) [البقرة:30] فخلق الأرض أولاً ثم خلقنا، أعدها لنا أولاً برحمته وكرمه ويسر لك والدين قذف محبتك في قلبهما، أعد بدنك بتفاصيله العجيبة، فقلبك يدق مائة ألف دقة في اليوم، وعيناك بهما ماء يحفظهما لم يتجمد



قط لعلك ترى أن سكان البلاد الباردة يغطون كل جسدهم ويتركون العينين دون غطاء، فلا يمكن أن تتجمد العينان، لأنه سبحانه لم ينس أن الإنسان يرى بهما ويحاجة إليهما، يقول

عز وجل: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64)) [مريم:64].

بل من رحمة ربك عز وجل أن خلق كل الصفات التي نستهجنها ونراها سيئة في الحيوانات والحشرات حتى يشعرك بأنك مكرم وحتى يدعوك إلى الترقي فتقول: لا أريد أن أكون مكارًا كالثعلب، ولا خبيثا كالحية ولا دنيئا أفعل الخبائث والمستقذر من الأفعال كالحشرات التي تأكل من فضلات الناس، فاعرف فضل ربك ولا تكن ناكراً للجميل.



الرسول نعمة:

فإن **الله** عز وجل خلقك وهيأ لك كل سبل الحياة في الدنيا ثم وعدك النعيم في الآخرة وأرسل إليك الرسول صلى الله عليه وسلم ليهديك سواء السبيل.

وأضرب لك مثلاً على هذه النعمة وتخيل أنك لا تعمل لعدة شهور، ثم اتصل بك صديق وأخبرك أن صاحب شركة كبيرة يريد أن يوظف عددًا من العمال، وأن اليوم المخصص للقاءات غداء وعليك أن تعدّ ما تقوله له في هذا اللقاء، ثم أنهى الاتصال. فأصبحت في حيرة من أمرك: ترى ماذا سأقول له عندما أقف أمامه؟ هل سأنجح في الاختبار واللقاء غدا؟ وفجأة اتصل بك صاحب الشركة نفسه، وأخبرك بأنه سيسألك غدًا في أمور



معينة وحددها لك، وأنه سيرسل إليك أحب الناس عنده ليعلمك الإجابة المطلوبة، وما يرضيه وما لا يرضيه، ترى أتكون ناكرًا لهذا الجميل؟ وكذا الأمر مع **الله** عز وجل **ولله** المثل الأعلى، فقد أرسل إليك محمدًا صلى الله عليه وسلم ليعلمك ما هو مطلوب منك وما يحبه ربك وما لا يحب وما يرضيه وما لا يرضيه، بل يكفيك شرفا أن الذي يعلمك هو محمد صلى الله عليه وسلم.

ألا ترى أن الذي علم قابيل - وهو ولد سيدنا آدم – عليه السلام - الدفن هو الغراب؟ (**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ**) [المائدة: 31] وأن الذي علمك الدفن هو محمد خير الأنبياء والمرسلين؟!

اعرف حق سيدك:



إننا نتعلم من هذا الحديث ضرورة شكر المنعم عز وجل وحسن جوار نعمته ومراعاة حقه فيها، لأننا مسئولون أمامه غذاء ومثلنا في هذا كمثل راع مستأجر يرعى الغنم ثم يأوي آخر الليل إلى صاحبها فيسأله ماذا فعلت بها؟ هل أحسنت أكلها وشربها؟ هل حافظت عليها أو تركتها للذئاب تنهشها؟ فكذلك يسألنا الله عز وجل عن جوارحنا، ونعمه علينا، ماذا فعلنا بها؟ وهل حفظناها وراعينا حقه فيها أو أهلكناها فيما لا يرضي **الله**؟ **ولله** المثل الأعلى.

إنه لسيى جدًا أن ينسى العبد سيده الذي أنعم عليه وأعطاه وكساه وأطعمه وسقاه فينسى كل ذلك ولا يشكر سيده مجرد الشكر، وينشغل بكل هذا عنه، فكذلك نحن عندما تُشغل بالدنيا عن ربنا عز وجل، ننشغل بالنعمة عن المنعم. بالأموال



والأولاد وعرض الدنيا الزائفة وننسى أن نشكره عليها، مع أنه صاحبها الوحيد وهو الذي تكرم علينا بها، يقول عز وجل: **﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾** [إبراهيم: 34] ويقول: **﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾** [النحل: 53] لذلك فهو يسأل يوم القيامة: «أين شكرك؟» ، لقد ورد في كتاب مدارج السالكين أن الشكر هو أن ترى المنعم لا النعمة **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾** (٥٨)) [يونس: 58] فالكنز المفقود هنا أن نرى المنعم في النعمة ولا ننشغل بها عنه سبحانه وتعالى.

وإليكم نموذجًا للعبد الذي يرى أنه أسرف على نفسه، ثم أكرمه الله فأعاده إليه: «أنا أشرف - أبلغ من العمر إحدى وأربعين سنة، رجل أعمال ناجح ولدي شركتان والحمد **الله**، انغمست في نعم



الله عز وجل حتى نسيت المنعم، كان يومي بين لقاءات عمل وفسح وما إلى ذلك، كنت أعتمر أحيانا، بل كنت أحج أيضاء وكنت أصلي لكن دون اهتمام، فأجمع الصلوات إلى بعضها، أو أؤجل الصلاة حتى تنتهي المباراة، أصلي لكن يغيب عن قلبي رؤية **الله** عز وجل، حتى فوجئت أنني في بعض الأيام كنت أنسى الصلاة رغم أنني زبيت في بيت إسلامي يعرف الصلاة ومعناها وضرورة الاهتمام بهاء ثم كان أن من **الله** علي برحمته وكرمه ووفقني إليه، وأجاب دعائي عندما سألته: اللهم قربني منك، فكان أن هداني سبحانه وتعالى، وتبدلت أفعالي إلى الأفضل، وتبدلت صحبتي التي كانت تؤثر بالسلب على تصرفاتي، إنها هدية **الله** عز وجل أن هداني وأعادني إليه، واختار لي الخير، فما أحسن اختياره عز وجل !».



حتى تكون شاكرًا:

لتعرف **الله** وتراه أخي المسلم فتشكر نعمه لا بد أن تتخلص من مشكلتين هما اللتان تصرفان العبد عن هذا الكنز العظيم:

الأولى: استحقار النعمة:

لا تنظر إلى النعمة التي لديك على أنها حقيرة بالنسبة لغيرك، بل اعرف أن **الله** سبحانه وتعالى اختارها لك، لأنها الأفضل بالنسبة إليك فهو يعلم كل شيء عن حياتك، عن حاضرك ومستقبلك، فلا تنظر إلى من هو أعلى منك في الدنيا وانظر إلى من هو دونك، ولك أسوة حسنة في رسول **الله** صلى الله عليه وسلم الذي كان يرضى بالقليل دائمًا، فعندما فتح مكة منتصرًا على رأس جيش بلغ عشرة آلاف بعد أن كان أخرج منها وحيدًا ليس



معه غير أبي بكر الصديق رضي **الله** عنه – دخل إلى بيت أم هانى إحدى الصحابيات لأنه بلغ به الجوع مبلغا عظيمًا، فماذا قدمت له أم هانى؟ قدمت له كسارة خبز من طعام الصبية مع شيء من الخل، فماذا قال ؟ قال: « **نعم الإدام الخل**» [29] فلم يحتقر الطعام، ولم يقل إني نبي، فاتح، منتصر بل كان يرى المنعم في النعمة، يرى أنها من عند الله ربه الكريم الرءوف الرحيم الذي يتولاه في كل أموره.

الثانية: نسيانك أنك في أفضل حال:

نعم أخي الحبيب أنت في حالك التي أنت عليها في أحسن حال بالنسبة لك، لأن الذي قدرها لك هو **الله** عز وجل الذي يعلم السر وأخفى، هو سبحانه بعلمه وحكمته واختياره، يخلق ما يشاء ويختار



(**مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**) [القصص: 68] فثق باختيار **الله** عز وجل لك حتى ترضى بكل ما أنت فيه، وهذا معنى «رضيت بالله ربًا» أي بكل أفعاله عز وجل واختياراته سبحانه وتعالى، فهو الذي يدبر أمرك، ويعطيك سولك. {**وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ**» [إبراهيم: 34]، (**وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**) [لقمان: 20] أي جعل نعمه زائدة عظيمة، ظاهرها وباطنها، فاعرف ذلك واشكره عز وجل.

شدة قربه حجبته:

يقول العلماء: «ما حجب **الله** عنك إلا شدة قربه منك» أي أن **الله** سبحانه وتعالى يدبر لك كل تفاصيل حياتك ما دق وجل، حتى نسيته، والدليل أنك تتذكر ربك عندما يضطرب شيء في حياتك



فتسأله وتلجأ إليه، ليرفع الابتلاء، الذي دبره لك لينفعك فهو قريب منك سبحانه، وهو راحمك من حيث لا تدري فقد يكون ما تراه ابتلاء هو في حقيقته نعمة من **الله** عز وجل، الذي قال في كتابه العزيز (**فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** (19)) [النساء: 19]، وقال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** (44)) [ليونس: 44] نعم، راجع أفعالك راجع أخلاقك، لعلك فعلت سيئة، أو نظرت إلى حرام، أو أسأت معاملة والديك، أو قصرت في حق من حقوق **الله** عز وجل أو حقوق الناس الذين هم عباده، وأنت مأمور بالإحسان إليهم وعدم ظلمهم والتعدي على حقوقهم، فلا تكن غافلا عنها فإن الغفلة هي التي تنسيك أن كل نعمة من **الله** عز جل، فتحجب عنك رؤية المنعم سبحانه، إن الغفلة



كالخمر، واذكر قوم صالح ـ عليه السلام ـ وما صنعوا معه، لقد طلبوا منه اية، وشددوا في وصفها، فطلبوا ناقة حمراء عشراء تخرج من صخرة، فسأل صالح عليه السلام ربه فكان أن خرجت الناقة كما طلبوا. **(فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩))** [القمر: 29] «فتعاطى» أي شرب الخمر، سكر فقتل الناقة التي هي آية من **الله** لهم ونعمة منه تذكرهم به سبحانه.

يعني لم يقدر على هذا الفعل الشنيع إلا بعد أن سكر بالخمر.

إذا عرفت المنعم فقد شكرته:

اعلم أخي الكريم أنك متى وفقت إلى طاعة أو إلى معرفة نعمة فإن ذلك إنما هو من الله عز وجل، فاشكره سبحانه وحده فإذا تعددت النعم تعدد



الشكر وكثر، فكيف تؤديه؟!، لقد سأل موسى عليه السلام ربه عن آدم عليه السلام وشكره فهو يرى أن آدم عليه السلام قد أنعم **الله** عليه بنعم كثيرة يعجز الإنسان عن القيام بشكرها، قال موسى عليه السلام: «يا رب خلقت آدم بيدك وأسجدت له الملائكة وعلمته أسماء كل شيء، كيف استطاع أن يشكرك؟» فقال عز وجل له: «**يا موسى، علم أن كل ذلك مني فكان ذلك شكره**». فاعرف نعمة **الله** ولا تحقرها فذلك شكرك إياه. وصلى الله على سيدنا محمد سيد الشاكرين وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[28] صحيح مسلم رقم 5270 كتاب الزهد والرقائق.



[29] سنن الترمذي رقم الحديث 1762 باب ما جاء في الخل، سنن أبي داود رقم 3324 باب في الخل.



الحديث السابع

يا عبادي





عبـــــادي

قال النبي صلى الله عليه وسلم : قال **الله** عز وجل: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني اهد كم، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكشكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي إنكم تذنبون بالليل والنهار**



وانا اغفر الذنوب فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخر كم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخر كم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد في لحظة واحدة ثم سألوني لأعطيت كل واحد منكم مسألته لا ينقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها يوم القيامة فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[30].



يعلمنا هذا الحديث العظيم أننا لن نهتدي إلا إن هدانا **الله** عز وجل، فهدايته إيانا رحمة منه سبحانه، وهذا معناه أن الاهتداء إنما هو خير لنا فلا ينفعه عز وجل: لذلك قال سبحانه وتعالى : **«لو أن أولكم وآخر كم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئا»**.

فاهتداؤنا وضلالنا لا يصل إليه منهما لا نفع ولا ضرر، فهو غني عنا سبحانه وتعالى، بل إن أعطانا كل ما نسأل لم يتأثر ملكه ولم ينقص، فما أعظمه سبحانه وتعالى وما أغناه عنا!

نرى في هذا الحديث صفات من صفات **الله** عز وجل كالعدل والرحمة، فهو يعتني بنا سبحانه وتعالى، فقد حرم **الله** الظلم بيننا، وطمأننا بأنه



حرمه على نفسه حتى يعم العدل ويستحسن، ويتراجع الظلم ويستقبح، فمن عدله ورحمته سبحانه أن جعلنا جميعا سواء أمامه، يقول: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

فنحن جميعًا سواء، ولا يتميز أحدنا عن الآخر إلا بما كسب قلبه من خير، ولا يتضع أحد إلا بما كسب قلبه من شر. ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** (38)﴾ [المدثر: 38] لذا علينا أن نطهر قلوبنا؛ لأنها محل نظر **الله** عز وجل. تصور أخي الكريم أن الله نظر إلى قلب إنسان فوجد فيه سخطاء وجده لا يرضى عن **الله** سبحانه، ومعتقدًا أن الله لم يعطه ما يستحقه، لم يرزقه رزقا واسعا لم يسكنه مسكنا يليق به، إلى آخر ما نقع فيه إلا من رحم ربي، لا يعتقد العبد في ربه أنه ظلمه؛ لأنه حرم الظلم على



نفسه ولا يصنع شيئا إلا بحكمة، لكن العبد يجهل هذه الحكمة فمتى عرفها رجع واعتذر وعرف أنه أخطأ خطأ عظيما.

مثالان يدلان على خطأ من حكم دون علم:

الأول: حكت لي زوجتي أن شابة دخلت إلى «الكوافير» فإذا بها تطلب قص شعرها وتقصيره كما يقصر المعتمر، فانتقدتها النسوة الموجودات، وظننها متشابهة بالرجال، فسألن العاملة التي قصت لها شعرها فأخبرتهن أن تلك الشابة مريضة بمرض يسبب تساقط الشعر، وأنها تعالج منه، فأسف النسوة

جميعا واعتذرن بجهلهن ودعون الله عز وجل أن يشفيها.



الثاني: كان في « سوبر ماركت» حيث دخل رجل ومعه أولاده، فأخذ الأولاد يلعبون وهو ذاهل عنهم غير منتبه لما أحدثوه من خروج عن الأدب والنظام، فهم به صاحب السوبر ماركت، يعنفه على إهماله أولاده، فإذا بالرجل يقول: أنا آسف، إن أمهم ماتت صباحا، ولم أخبرهم بعد، فخرجت بهم ليلعبوا وينسوا أمهم فلا يسألوا عنها، فاعتذر له شديد اعتذار؛ لأنه لم يكن يعرف هذه الظروف الصعبة، لقد اعتذر

بجهله كما اعتذرت النسوة بجهلهن.

فهكذا العبد الذي يظن بالله أنه ظلمه، فإنما هو جاهل بالحكمة التي أرادها **الله** سبحانه، ومتى عرف عاد واستغفر واعترف بجهله، وليس ضروريًا أن تعرف حكمة كل فعل من أفعاله سبحانه، فمن



الصعب بل ربما من المحال أن يدرك الإنسان حكمة كل فعل من أفعال المولى عز وجل.

من حكم في ماله ما ظلم:

من الأمثلة الجميلة الدائرة على ألسنة الناس: «من حكم في ماله ما ظلم»، والله عز وجل يملك السماوات والأرض وما بينهما، فليحكم ما يشاء، لا معقب لحكمه سبحانه جل شأنه وعظم جاهه، هو مالك كل شيء وخالق كل شيء **(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)** [الأعراف: 54] فهو سبحانه وتعالى يحكم في ملكه، بعلمه، فيقول عز وجل: **(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14))** [الملك: 14] بلى يعلم فيقضي ويحكم، وهو في كل ذلك لطيف رحيم بعباده سبحانه وتعالى.

تخلص من الجهل بالله:



عندما أخبرهم الله بأنه خالق في الأرض بشرًا وجاعله خليفة غابت عنهم الحكمة – فسألوا- غير معترضين-: (**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**) [البقرة:30] يقولون ربنا نحن مسيرون فنسبح ونقدس، أما إذا خلقت إنسانا مختارًا فقد يفسد في الأرض ويسفك الدماء، لكن **الله** سبحانه وتعالى يخبرهم بأن له حكمة لا يعلمونها وأن من البشر من يحب ربه عز وجل ويطيعه، فخلق آدم وعلمه الأسماء كلها ثم سألهم عنها يقول عز وجل: (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)**» [البقرة: 31، 32] فرفع آدم عليهم، وطلب منهم أن يسجدوا له فسجدوا



مقرين بعلم الله وحكمته، مقرين بجهلهم، فالجهل دائما يجعلك متحيرًا، وربما وصل بك إلى السخط و العياذ **بالله**، فاعرف أن ربك يحبك ويختار لك ما هو أصلح دائماء فارض بقضائه سبحانه، واشكره على كلى حالى.

إن **الله** عز وجل لم يظلم الكافر، فكيف يظلم الموحد الذي يصلي ويسجد ويقول سبحان ربي الأعلى، إنك إذا راجعت دعوة سيدنا إبراهيم عندما جاء إلى مكة أدركت هذا المعنى جيدًا، حيث قال كما يذكر القرآن الكريم: ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [البقرة: 126] فيجيبه **الله** عز وجل: ﴿**وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ**﴾ [البقرة: 126] فهو يمتع الكافر في الدنيا؛ لأنه لا يريد غيرها، ليس له في الآخرة نصيب ﴿**مَّن**



كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ) [الإسراء: 18]، وقال عز وجل: **(مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15))** [هود: 15] فإنه سبحانه وتعالى حرم على نفسه الظلم رأفة بالخلق جميعا، وحرمه بيننا حتى لا نتظالم، فتلك رحمة عظيمة بنا من **الله** سبحانه وتعالى.

هو النماذج الراضية في حياتنا كثيرة، وإليكم واحدا منها يتحدث عن محنته ورضاه بالله فيها:

«اسمي محمود السيد إبراهيم، بلغت من العمر إحدى وعشرين سنة، أعيش بمفردي، فقد جئت إلى الدنيا يتيماء كنت بجمعية دار الأورمان منذ عشر سنوات، وكنت قبلها في إحدى الجمعيات بطنطا، بدأت علاقتي بربنا عندما كبرت وفهمت



فأخذت أسأل عن الوضوء والصلاة، وكنت أسأل الله ما شئت ويعطيني سبحانه، وكنت أحمده وأشكره، مع أن بعض الناس كانوا يسخرون مني، ولكني لم أكن ألتفت إليهم. ثم بدأت في الاعتماد على **الله** سبحانه وتعالى في العمل، بعد أن كنت عاملا بإحدى الشركات، فرزقني الله بمحل بسيط فشعرت بالسعادة والرضا، كما أكون سعيدًا جدًا بإخوتي يتامى الدار عندما يزورونني فيه، ويلعبون، وأحمد الله أن جعلني سببا في سعادتهم، كما أعلمهم الصوم والصلاة والاعتماد

على الله، فهو أكبر من كل الناس».

اعرف رحمة الله بنا حتى ترضى:

إن رحمة **الله** وسعت كل شيء، حتى لقد عاتب نبيًا قرصته نملة فأحرق جحرًا للنمل، فأوحى له



ربنا سبحانه وتعالى: **كيف تحرق أمة من النمل تسبح لأن نملة واحدة قرصتك؟!** أي رحمة هذه، ترى من هذه رحمته أيظلم البشر؟! أيظلم أمة محمد ؟! بل من رحمته سبحانه أن خلق لك الأرض وهيأها قبل أن تخلق بآلاف السنين، ثم لما قدّر أن يخلقك أرسل الرسل، ثم جعل العلماء ليعلموك، بل أكثر من ذلك لم يكلفك قبل البلوغ (10–12 سنة وربما إلى 15) ثم لا يحاسبك فترة نومك، فإذا كان عمرك ستين سنة، وكنت تنام ثماني ساعات فأنت قد نمت ثلث عمرك، قد نمت في الستين عشرين، فإذا أضفتها إلى فترة ما قبل البلوغ (15 سنة) كان الناتج خمسا وثلاثين سنة لا تحاسب عنها، فقد أصبح عمرك خمسا وعشرين

سنة فحسب، فما أرحمه عز وجل بعباده.



عدم الرضا يورث الظلم:

من ظلم العبد لنفسه ولإخوانه ما نجده من حالات الغش في الامتحانات؛ ظنًا من الطالب أنه بذلك سيدخل كلية أعلى كالطب مثلا، بينما الذي لم يغش يدخل كلية التجارة مثلاً، ولكن **الله** سبحانه وتعالى قد يضيق على الذي غش ويبسط الرزق للذي وثق به عز وجل ويكرمه بزوجة عطوف ترحمه وتهون عليه، فإنه يغش؛ لأنه لا يريد أن يظلم. فثق بالله عز وجل وبرحمته؛ حتى لا تقع في الظلم، فرحمته واسعة، يكفي أنه سبحانه فرض علينا خمس صلوات فحسب، لكنها خمسون في الأجر لعلمه بحالنا وضعفناء وأننا لا نستطيع أن نصلي في كل ساعة فرضين، فلو فرض خمسين لما نهضنا بما افترض علينا ، فذلك تخفيف منه، ولو شاء أن يرهقنا لأرهقنا، يقول عز



وجل: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** (٢٢٥)﴾ [البقرة: 220] «الأعنتكم» أي لأعجزكم، لكنه من عدله ورحمته لا يأمرنا فوق طاقتنا **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** [البقرة: 286].

فإذا كان **الله** سبحانه وتعالى حرم على نفسه الظلم، فهذا معناه أننا أولى بألا نظلم، لأنه سبحانه - والملك ملكه - لا يظلم، فكيف بنا نحن؟! فضلاً عن أن **الله** سبحانه وتعالى لا يهدي الظالمين إلا إذا تركوا الظلم، إذ يقول تعالى: **﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (51)﴾ [البقرة: 258] أي: المصرين على الظلم، ولا يحبهم، يقول عز و جل: **﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** (57)﴾ [آل عمران: 57] ومن مات ظالما فقد باء بغضب من **الله** عز وجل فتتوفاه الملائكة بالضرب والإهانة: **﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا**



أنفسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٢)) [الأنعام: 93] فكيف يقول الظالم على ربه غير الحق. إنه يصنع ذلك بظلمه، لأنه عندما يأخذ حق غيره فكأنه يقول: هذا حقي الذي اختاره **الله** لي، فيكون بذلك قد

قال على **الله** غير الحق.

ورغم ذلك فإن **الله** عز وجل يفتح باب الرحمة حتى يتوب إليه من ظلم، يقول عز من قائل: (**فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٩)**) [المائدة: 39]. فإذا رجع الظالم نادما وأعاد الحق إلى أصحابه فإن الله يتوب عليه؛ ذلك لأنه تواب رحيم، يحب أن يتوب



ويرحم ويعفو ويقبل من أناب.. فلتعجل بالتوبة أخي الكريم.

« ... **يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسُكم»**[31].

نتعلم من هذه الفقرة أن كل طريق إلى الهداية إنما يكون بإذن **الله** عز وجل، وأننا ضالون إن لم يتكرم علينا بالهداية، فإنها السعادة الحقيقية التي ينشدها كل منا، قد نجد مظاهر حياتية توحي بأن أصحابها سعداء، لكنهم في الحقيقة لا يشعرون بالسعادة، فقد نزعت البركة من كل هذه المظاهر و**الله** على كل شيء قدير، فهو الذي نزع خاصية الإحراق من النار عندما ألقي فيها الخليل إبراهيم



عليه السلام، وهو الذي نزع خاصية القطع من السكين عندما وضعت على رقبة إسماعيل عليه السلام، فالسعادة ليست في تلك المظاهر، بل هي في رضا **الله** عز وجل ومعرفته في الدنيا، ثم هي في الآخرة بلقائه في الجنة ولقاء سيدنا وحبيبنا محمد ، وتلك السعادة العظمى التي من وجدها وجد كل سعادة: لأنها نابعة من **الله** ومعرفته، فمن وجد الله وجد كل شيء ومن فقده فقد كل شيء، وقديما قالوا: ماذا وجد من فقد **الله** ؟! وماذا فقد من وجد **الله**؟!

إنك تجد الله إذا عرفت من هو، وإذا عرفت من هو عرفت من أنت، أنت الضال إذا لم يهدك، والعاري إذا لم يكشك، والجائع إذا لم يطعمك؛ إنها معادلة يؤدي أحد طرفيها إلى الآخر، فإذا عرفت نفسك عرفته، وإذا عرفته عرفت نفسك.



إنني أعلِّم ابني هذه الأيام أن يقول لي ولمن هو أكبر منه كلمة «حضرتك»؟ حتى يعرف قيمة الكبير واحترامه فيحترم العالم ويحترم النبي صلى الله عليه وسلم ويحترم كلام الله عز وجل ويعرف قدره سبحانه وتعالى، وهذا من أخلاق الإسلام التي ينبغي أن نتخلق بها، يقول الرسول الكريم: « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا**»[32] .

فأنت تعلِّمُ الصغير أن يحترمك ولكن بأن ترحمه، وعلم من هو أكبر منك الرحمة وذلك بأن توقره وتحترمه: إنه دين شامل متكامل؛ ولذلك، أخي الحبيب، تجد خيرات ربنا ورحماته نازلة إلينا في كل لحظة، ليعرفنا به، ليعرفنا قدره فنوقره عز وجل، فانظر إلى نفسك وإلى بدنك، فإنه مكون من أجهزة دقيقة جدًا تعمل كلها بسر من أسرار الله عز



وجل اسمه الروح؟ لذلك فإنني متوقع دخول ملك الموت ليقبض هذا السر، ليقبض الروح التي قال الله عنها عند خلق الإنسان قديما: (**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** (٢٩)) [الحجر: 29] فما آحوجنا الى الله عزوجل في كل لحظة حتى يديم علينا نعمه و طاعته و هدايته!

إن هداية **الله** ليس لها حدود، فهو يهدي العصاة والمشركين بل الكافرين؛ فهو على كل شيء قدير، وكما يحيي الموتى فإنه يحيي القلوب التي ابتعدت عن ذكره عز وجل، ولنا في قصة سيدنا عزير عليه السلام عبرة، فقد مر بقرية خاوية هالكة، وجميع من بها موتى فاستعظم ذلك واستعظم أن تحيا من جديد، فأماته **الله** سبحانه وتعالى ثم بعثه بعد مائة عام فوجد طعامه كما هو ووجد حماره قد أصبح عظاما ثم أحيا **الله** تلك



العظام وهي رميم، وكساها لحمّا ليرى عزير أنه على كل شيء قدير وليرينا أن الهداية لا حدود لها فهو القادر على أن يهدي كل العصاة مهما تبلغ ذنوبهم، ويحكي القرآن الكريم تلك الأحداث (**أَوْ ا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (259)) [البقرة: 259].

فلا تستعجز قدرة **اللّٰه** عز وجل، فمهما تبلغ ذنوبك فإن **اللّٰه** سبحانه قادر على أن يهديك ويغفرها ويبدل سيئاتك حسنات، لكن اسأله الهداية كما طلب منك في هذا الحديث: «... **فاستهدوني أهدكم** ». اللهم اهدنا وجميع المسلمين يا رب العالمين.

إن سبل هداية **اللّٰه** عز وجل متعددة، فقد تسمع برنامجا فتهتدي؛ وقد تقرأ كتابا فتهتدي، وربما



تدخل في صفقة خاسرة فتتوب إلى **الله** عز وجل، ربما ترى الموت بعينيك، فتعزم على التوبة.

هو وأسوق إليكم نموذجا حيًا على ذلك:

«أنا أخوكم علاء وليد، كنت أعمل على عبارة السلام 98 التي غرقت منذ سنتين، وعشت حوالي ثماني عشرة ساعة في الماء؛ رحلة عذاب حقيقي، رأيت فيها الغرق والموت، كنت أرتدي «جاكت نجاة» لكنه للأسف لم يكن سليما، فأخذت أسأل المولى عز وجل لمدة ساعتين أن ينجيني، ثم إذا بقارب نجاة أمامي حاولت أن أشبح إليه، لكني للأسف لا أجيد السباحة لكن **الله** سبحانه أعانني حتى وصلت إليه، مكثت فيه حوالي خمس عشرة ساعة ومعي حوالي سبعة وعشرين فردًا آخرين، كنا نرى الأمواج العاتية كأنها أبراج تتقدم نحونا



في سرعة فندرك الهلاك المحقق، غير أننا كنا ندعو **الله** عز وجل ونسأله عند كل موجة أن تمر على خير، وفجأة ثُقب هذا القارب وأصبحنا متعلقين بحبل فيه، وغرقنا إلى صدورنا في الماء، وكان معنا طفل فمات من شدة الموج والبرودة، لقد رأيته يلفظ أنفاسه الأخيرة، رأيت حيًا يفارق الحياة، وأحياء مؤهلين للحاق به وأنا منهم. لقد كنت عائدًا لأتزوج، فأخذت أكلم نفسي قائلاً ترى يا رب هل سأرى خطيبتي ثانية؟ هل سأرى والدي ووالدتي وإخوتي؟ هل سأعود؟ كنت في حالة صعبة جدًا، أخذت أسأل **الله** أن ينجيني، وأعده عز وجل إن هو هداني أن أكون من الصالحين المهتدين، لن أغضبك بعدها يا رب، لن أعود إلى معصية أبدًا، لقد أثر هذا الموقف في أفعالي وأحوالي إلى درجة لا تتصور، لقد غير حياتي



شكليًا وفعليًا، فالتزمت وتركت ما كنت عليه، والحمد **الله** رب العالمين».

إن **الله** سبحانه وتعالى قد يهديك بأن يضيق عليك فتتنبه إلى ما أنت فيه فتعود إلى صوابك،

كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ

تصورأيها الأخ الكريم أنك تريد أن تذهب إلى الإسكندرية مثلاً، فسألت عن الطريق، فأخبرت أنها جهة الشمال، والصواب أنها جهة اليمين، فأخذت تمشي حتى اعترضك طريق أو جدار أو مجرى مائي فماذا أنت فاعل ؟ إنك عائد إلى حيث جئت، لتبدأ من جديد، فتلك رحمة **الله** عز وجل بك، كذا الأمر في الهداية: قد تجد أن الحياة أصبحت صعبة وأنك تعاني الضيق الشديد، ولا تفريج فتعود إلى الله سبحانه وتلتزم سبيل الهداية فتفوز فوزاً عظيماً.



إنك إذا وصلت إلى جنة الدنيا بأن عرفت ربك، فإنك ستصل إلى جنة الآخرة بإذن **الله**، أما الذين لا يعرفون جنة الدنيا ويضلون طريقها فإنهم لا يستطيعون الوصول إلى جنة الآخرة بسهولة إلا أن يتداركهم **الله** عز وجل برحمة منه.

لعل من العجيب أن يجعل **الله** من عدوك سبباً في هدايتك، نعم، ألا ترى أن الشيطان إذا وسوس إليك لجأت إلى **الله** عز وجل فاستعذت به منه، فتكون استعاذتك سببًا لهدايتك، يقول تعالى: **(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (٢٠٠)) [الأعراف: 200] فإن **الله** سبحانه وتعالى أمرك بالاستعاذة من عدوك، وما دام أمرك فإنه سيهديك إن أنت استعذت، **فالله** عز وجل لا يأمرك فتطيع ثم يتركك بلا هدى فإنه أكرم من ذلك.



إذا أردت أن تهتدي أخي المسلم فسر على درب النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال **الله** تعالى فيه: (**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** (15)) [المائدة: 15]، فقد قال العلماء إن النور هو الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه هو الذي مشينا في طريقه حتى وصلنا إلى ربنا عز وجل، فاتبعه لأن كل المواقف الصعبة مرت به، وكان واسع الصدر صبورًا على الأذى متحملا لما شق من المهام، فقد كان يدعو لقومه وهم يؤذونه، فتمسك بهديه صلى الله عليه وسلم.

فأوصيك أخي الكريم أن تقول يوما: سأتوب إذا هداني الله إليه فتكون مثل من قال فيهم عز وجل: (**تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ**



تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59)) [الزمر: 56-59] فانظر بم ردّ عليهم **الله** عز وجل، لقد كذبوا واستكبروا، فاحذر أن تكون مثلهم والجأ إلى **الله**؛ لأنك أنت المحتاج، قبل أن يأتي يوم القيامة ويقذف العصاة في النار، كما قذف أولئك المكذبون الذين تحدثت عنهم الآيات السابقة، فقد كذبوا الرسل؛ لذلك يدور حوار بين من يدخلون النار وخزنتها: (**كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9)**) [الملك: 8- 9] فكذبوا الرسل وكذلك أهل هذا الزمان يكذبون المتدينين ويسخرون منهم (**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ**



السَّعِيرِ(10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (11)([الملك: 10- 11] إنهم غفلوا عن الكنوز التي أتاحها **الله** عز وجل لهم من هداة وبرامج وكتب وغير ذلك مما أنعم **الله** به، فأوصيك أخي المسلم أن تفقد هذا الكنز وهو أن ترى الهادي في كل لحظة من يومك، وفي كل شيء يمر بك وفي كل موقف يحدث معك، اسأله عز وجل أن يهديك، قل يا رب اهداني، ادغ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»[33].

يا حي أحيٍ قلبي فإنه مات من المعاصي، أدركني يا رب بهدايتك، يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم أدعية للهداية وأدعية تلين القلوب وتعين على التوبة بإذن **الله** عز وجل: منها: «



استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» «قيوم» أي قائم عليَّ، مسئول عني، لا تجعلني من الذين يصدون عن ذكرك ويكرهون هدايتك، لا تجعلني من الذين قلت فيهم: **(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ»** [الزمر: 45].

إن كثيرا من الأفاضل كانوا من المذنبين فهداهم **الله**، فلا تستبعد أن يهديك، ألا تسمع عن الفضيل بن عياض، لقد كان لصا كبيرًا، وذات يوم ذهب إلى بيت ليسرقه، وفي طريقه سمع أحد العباد يصلي، ويقرأ قوله تعالى: **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ»** [الحديد: 16] فقال: آن يا رب، فرجع و آب و آناب، و اجتهد حتى أصبح «عابد الحرمين»، مكة والمدينة، الذي أغرقهما بكاء، وكذلك مالك بن دينار أحد أئمة

التابعين رضي **الله** عنهم أجمعين فقد كان شرطيًا قاسي القلب ظالما سكيرا وبعد أن توفى **الله** ابنته عاد إلى مولاه وصار من أعظم الناس في الإسلام ومن أكابر علماء المسلمين. اللهم ارزقنا السكينة واهدنا وبدل سيئاتنا حسنات وأصلح حالنا وبالنا، فأنت القائل في كتابك: (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2)**) [محمد: 2].

اسأل ربك الهداية دائما حتى ولو كنت عابدًا زاهدًا؛ فإنك لا تدري ما يحدث غدا، فإن من الناس من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به، ثم مات على الكفر، وهو زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان من سادات مكة، سافر إلى بلد لا يعتنق الإسلام، فآمن بدينهم ثم سقط من أعلى جبل



فمات، فعادت أم حبيبة فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بيئية وانظر إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الكريم: «... **يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرًا، ويمسي كافرًا ويصبح مؤمنا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**» [34]، فإنك لا تدري ماذا سيعرض على قلبك من ذنوب، فإن من الناس من كان معتدلاً فزاغ عن الحق فأرداه ذلك، يقول تعالى: (**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**) [الصف: 5]، اللهم ثبت قلوبنا على دينك وارزقنا حق يقينك، اللهم امين.

الله عز وجل يكفيك الناس والرزق:

إن هناك همين كثيرًا ما ينشغل بهما الإنسان؛ هم الناس، وهم الرزق، فكثير منا يكون قلقهم من الناس، قلقهم من نفعهم وضرهم، ويغيب عنهم أن



كل شيء بيد **الله** عز وجل، وأنه هو النافع والضار الذي بيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير سبحانه وتعالى. كذلك هم الرزق الذي يبدل الحال إلى أسوأ، فكم من أغنياء أفقرهم انشغالهم بهم الرزق حتى بالغوا فأورثهم ذلك فقرًا، وكم من أصحاء أمرضهم هم الرزق، وكم من سعداء أشقاهم هم الرزق، فكما قيل: أنت من خوف الفقر في فقر، وأنت من خوف المرض في مرض. عليك أن تؤمن حق الإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين سبحانه وتعالى، استأمنه على حياتك، ثق بأنه رازقك، لا تخف انقطاع الرزق أبدًا، واعلم أنه وحده رازقك، وأن كل من حولك من بشر وأسباب للرزق ما هم إلا أدوات أو قنوات يجري فيها رزق الله سبحانه وتعالى إليك، إن هذا كنز عظيم، رؤية الرزاق في الرزق، والانشغال به سبحانه؛ لأنه هو



الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، يقول تعالى: (**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** (٢٢)) [الذاريات: 22] وبالتالي فإن كل مجهودنا وتعبنا ما هو إلا لأنا أمرنا بذلك - إن مجهودنا لا يأتي بالرزق، بل الرزق مقدر في السماء، ثم انظر مجهودك هذا، فإنه لا قيمة له إلا إذا بارك **الله** عز وجل فيه وأذن أن يكون له فائدة وثمرة، يحدثنا **الله** عز وجل في سورة الواقعة: (**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(67)**) [الواقعة: 63-67].

إن الفلاح يأتي ببذرة جافة يضعها في أرض ميتة ثم يدفنها وكل شيء يدفن يموت كما نعلم، كل شيء يُخفى فإنه يختفي، وانتهت المسألة، لكن



اللّه عز وجل يأذن لها أن تخرج، فهو الذي زرعها سبحانه وتعالى، ولو شاء لجعلها حطاما فظل الفلاح نادما يظن أنه حرم، وهكذا كل أمورك أخي المسلم إنما هي بيد **اللّه** عز وجل، هو الذي يزوج، وهو الذي يعطي الأولاد، وهو الذي يوفقهم في دراستهم، وهو الذي يرزقك الطيبات، وهو الذي يشفيك إن مرضت ويطعمك إذا جعت، وهكذا. لكنك مأمور بالسعي والأخذ بالأسباب، والاجتهاد للوصول إلى كل الطرق المؤدية إلى الرزق، أما توزيع الرزق فلا دخل المخلوق به، بل هو بيد **اللّه** عز وجل، وهو الكريم سبحانه. يقول: «**قال اللّه تبارك وتعالى: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك، وقال: يمين اللّه ملأي- وقال ابن نمير: ملآن - سحاء لا يغيضهما شيء الليل والنهار**» [35]، فلا تشك في الرزق؛ لأن الشك فيه شك في الرزاق عز وجل



الذي تعهد به (وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) [التوبة: 111] إن الله عز وجل أنزل في الكتاب عدة آيات تدل على أن الرزق بيده عز وجل، منها ما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام، معدّدًا أنعم ربه سبحانه وتعالى؛ فقد رأى ربه وعرفه: (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)) [الشعراء: 78-180] فأنت قد تطلب العمل لدى أي إنسان، وقد تطلب مساعدته لكن قلبك معلق **بالله** عز وجل الذي بيده مفاتح كل شيء: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ(٢١) [الحجر: 21]؛ لذلك أمرنا عز وجل بالسعي في الأرض حتى ينزل الرزق من السماء: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ



السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (23) [الذاريات: 22، 23].

فلا تنشغل بالرزق، بل بالرزاق، لأن الانشغال بالرزق يوقعك في المعاصي، فقد تكذب حتى تبيع السلعة ثم يكون ثمنها هما وغما عليك، قد تلجأ الفتاة إلى علاقات و مصاحبة حتى تاتزوج، ثم تكون تعيسة، و تشل في زوجها ويشل فيها، حتى ان سمع أحدهما من الآخر كلمة «أحبك» فإنها تكون مفرغة من محتواها العاطفي، لا بركة فيها، لكن إذا كان ذلك عن طريق الالتزام والاتباع لطريق **الله** عز وجل فإنه يكون في غاية البركة، وتكون به الرحمة التي لا يذهبها أحد من الخلق.

(مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ) [فاطر: 2] فهو الرزاق وحده لا غيره، وهو متكفل بك، يقول



سبحانه في الحديث القدسي: « **يابن آدم كان مني الإيجاد وعلي دوام الإمداد، يابن آدم كان مني الخلق وعلي دوام الرزق، أبرزك إلى كوني وأمنعك عوني؟! أوجدك في وجودي وأمنعك جودي؟!! عليك أنزلت نعمتي وفيك أظهرت رحمتي، وادخرت عندي لك جنتي، ولن أتركك حتى أتحفك برؤيتي، فاخترني ولا تختر علي، أستخدمك في خدمتي ولا أطعمك ؟!» فاللّٰه** سبحانه وتعالى كريم، والكريم هو الذي يعطي فوق ما يُسأل، فهو الرزاق ونحن المرزوقون، نحتاج إليه سبحانه، يقول تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**(415)) [فاطر: 15] فانشغل به سبحانه واسأله، وهو الكريم، سيعطيك فوق الذي سألت ويبارك لك فيه.



*** هناك بعض الناس قد ارتبطت حياتهم ورزقهم بالله تعالى بشكل دائم، وهذه نعمة منه سبحانه، وهذا نموذج من هؤلاء الناس:**

«اسمي محمود شعبان، سني خمسون سنة، صياد، أعمل بهذه المهنة منذ خمس وثلاثين سنة، عالمنا هو هذا البحر الكبير الذي لا ندري ما يخفيه عنا، ولا ما ينتظرنا داخله، لكننا واثقون **بالله** سبحانه، وهو يعطينا من فضله، ولا نصنع سوى أن نصلي الفجر ثم نقول: بسم **الله** الرحمن الرحيم. ونقرأ الفاتحة، ونقول: توكلنا عليك يا رب، ونلقي شباكنا، ونتوكل عليه سبحانه، فإذا تأخر الرزق نسأل الله من فضله، فإذا تأخر أكثر نزلنا إلى الماء لنثير السمك (نطفشه) إلى الشباك حتى يأتي الرزق من **الله** سبحانه وتعالى، ولا نتعجل الرزق، فنحن متأكدون أنه سبحانه سيرزقنا لا محالة



وأولادنا حتى لا يموتوا من الجوع، اللهم أدمها علينا نعمة واحفظها من الزوال، آمين يا رب العالمين».

اطمئن ألى الله عز و جل:

من الكنوز المفقودة أخي الكريم أن تدرك أن كل شيء قد كتب وجفت صحيفته، وأنك تسعى الآن لتحصل ما كتب لك، فهذا يزيدك رضا عن **الله** عز وجل، ويزيدك قربا منه سبحانه فلا تدخل في دائرة هم الرزق التي لا تنتهي، ولا في دائرة الخوف من الناس فإنهم لا شيء بأيديهم، فكل شيء مكتوب في علم الله عز وجل فكن واثقا به، وأخرج ما بيدك واطمئن إلى ما عند **الله** سبحانه.

يُحكي أن عمدة منذ حوالي ثمانين عاما كان يمشي في الشارع يوم العيد وعليه جبة وقفطان



وعمامة، وكان من العلماء، وأخذ يهنى الناس بالعيد ويهنئونه، حتى رآه أحد العوام المساكين فقال له: ما أحسن ثيابك يا عمدة! فقال له: هي من نصيبك، فخلع الجبة والعمامة وألبسهما الرجل المسكين وعاد إلى بيته دونهما، فلما رأته زوجته أنكرت ذلك، فكيف للعمدة العالم أن يمشي هكذا بين الناس؟! فقال لها: دعي هذا الأمر، فكل شيء عند **الله** مكتوب، سأدخل لأنام ساعتين ثم أيقظيني، فلما استيقظ وجد بجواره «كيسا» فيه تسع جبب كالتي كسا الفقير إياها، فنادى زوجته وسألها عن العاشرة، فأخبرته أن هذا الكيس كما هو أتى به أحد المعتمرين، وهو لم يزل عائدًا لتوه من العمرة، فقال لها: أين العاشرة؟ فقالت: بصراحة، لقد أخفيتها؛ لأنك رجل كريم، وقد توزع العشر كلها فلا يبقى لك شيء، لكن كيف عرفت؟



قال: إن **الله** عز وجل وعد أن الحسنة بعشر أمثالها وهذه تسع. فعلمت أن كل شيء مكتوب، وأن مالهم سوف يأتيهم. فهذا هو اليقين والاعتماد على الله عز وجل، فرزقك لا يملكه أحد سوى **الله** سبحانه وتعالى. يعلمنا ذلك الإمام علي كرم **الله** وجهه في أبيات شعرية يقول:

لا تـخـضـعنْ لـمـخـلـوق عـلـى طـمـعِ
فـإن ذلـك ضـعـفٌ مـنـك فـي الـديـن

أمـا تـرى كـل مـن تـرجـو و تـأمـلـه
مـن الـخـلائـق مـسـكـيـن بـن مـسـكـيـن

إن تـسـأل الله فـضـلاً مـن خـزائـنـه
يـكـن جـوابـل بـيـن الـكـاف والـنـون



فلا تتذلل لأحد، واجعل الدنيا في يدك لا في قلبك؟ فهذا يورثك السماحة في البيع والشراء والتعامل فتدخل في رحمته عز وجل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**رحم الله رجلاً سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى** » [36]، فهذا دعاء منه بالرحمة لمن تحلى بالسماحة في معاملاته، وذلك لا يتأتى للعبد إلا إذا وثق **بالله** عز وجل وتخلص من الدنيا، وهذا يعينه بالطبع على ألا يطلب الرزق بالمعصية، وألا ينظر لما في أيدي الناس، لأن ذلك يوقعه في أن يستكثر نعم **الله** على خلقه ويستقل نعمته عز وجل عليه هو، وصدق من قال المثل من أهلنا: «ربك رب عطاء يدي البرد على قد الغطا»، ما أجمل هذا المثل ؛ فإنه يدل على أن أهلنا لديهم ثقة برحمة **الله** عز وجل وحكمته سبحانه، فلا بد أن نحافظ على هذه



المعاني، وأن نترك الأمثال التي تغير من عقيدتنا في ربنا عز وجل. بل علينا أن نسعى دائما نحوه بالاعتقاد السليم حتى ننجو من عذابه وند خلى جنته.

فلنترك همّ الناس وهمّ الرزق، فلا نخاف أحدًا، ولا نقلق بسبب رزقنا، ولنعبد **الله** عز وجل مطمئنين إليه، فقد قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** (4)﴾ [قريش: 3، 4] فالعبادة تكون بعد الشبع. والشبع المطلوب هو الرضا بالمقسوم والاطمئنان إلى **الله** عز وجل في كل حال.. ثبتنا **الله** وإياكم على طاعته، حتى نفوز بجنته في الدنيا والآخرة، اللهم آمين.



---

[30] صحيح مسلم رقم 4674 باب تحريم الظلم.

[31] صحيح مسلم رقم 4674 باب تحريم الظلم.

[32] سنن الترمذي رقم 1843 باب ما جاء في رحمة الصبيان.

[33] المستدرك على الصحيحين رقم 1958، السنن الكبرى للنسائي رقم 10405.

[34] صحيح مسلم رقم 169 باب الحث على المبادرة.

[35] صحيح مسلم رقم 1658 باب الحث على النفقة.



[36] صحيح البخاري رقم 1934

باب السهولة والسماحة.



الحديث الثامن

أنَّى تعجزني



أنَّى تعجزني

عن بُسر بن جحاش القرشي قال: « بزق النبي صلى اللّٰه عليه وسلم في كفه ثم وضع أصبعه السبابة وقال: يقول اللّٰه عز وجل: أنى تعجزني ابن آدم وقد خلقتك من مثل هذه فإذا بلغت نفسك هذه وأشار إلى حلقه، قلت: أتصدق. وأنى أوان الصدقة»[37].

هذا الحديث يعرفنا من نحن، من أنا ومن أنت، فهو يبين لنا أننا مخلوقون من ماء، كما بين القرآن الكريم (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ) [المرسلات:



20] «مهين» أي أنك تخجل أن يظهر على ثوبك، ويذكر القرآن هذا الماء تعريضا لا تصريحا عندما يقول: (**كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ** (٢٩)) [المعارج: 39]، ثم ينقلنا المولى نقلة عظيمة فيقول:(**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (40) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** (41)) [المعارج: 40 - 41]، فالإنسان مخلوق من ماء مهين، أما الله عز وجل فهو رب المشارق والمغارب، القادر على تبديل الخلق بمن هم خير منهم؛ فبإمكانه ذلك من خلال زلزال مدته ستون ثانية فقط، فإنه يقضي على نصف مليون في سرعة خاطفة (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**) [إبراهيم: 19 -20].



يقول تعالى: (**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ** (83)». [الزخرف: 83]. (**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (43) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**) [يس: 43 – 44] فهذا فعل **الله** العظيم القوي بالعبد الضعيف، سيخرج كل العباد من الأجداث أي القبور، عراة، (**كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ**) [المعارج: 43] أى كأنهم يقصدون مكانا واحدًا بعينه، وقد خشعت أبصارهم، وعليهم ذلة أرهقتهم فلا يستطيعون الوقوف، إنه يوم القيامة، (**يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا** (108)) [طه:108]، هذا مقامك أيها الإنسان، أيها العبد الضعيف، سيعيدك كما بدأك، ولقد أخبرك بذلك في كتابه



العزيز: **(وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا(66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا)** [مريم: 66،67]، نعم لم نكن موجودين **(هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ ـِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا** (1)» [الإنسان: 1] لقد كنت عدماء فيا أيها العدم، يا أيها الصفر، اعرف أنك صفر حتى يرفع **الله** مقامك ويتولاك، فتكون طائعا له فتصل إلى درجة الملائكة كما يقول سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: « **شاب يؤمن بكتابي ويرضى برزقي ويحبس شهوته من أجلي هو عندي كبعض ملائكتي»**، ويضرب الله لنا مثلا بسيدنا محمد بنية، فعندما صعد إلى السماء كان بصحبة سيدنا جبريل عليه السلام حتى وصلا إلى موضع معين فتأخر جبريل وقدم النبي، وقال قولته المشهورة: «**إن أنا**



تقدمت احترقت وإن أنت تقدمت اخترقت»؛ فمحمد عظيم البشر أعظم من جبريل عليه السلام عظيم الملائكة، فاعرف قدرك عند ربك سبحانه وتعالى إن أنت أطعت ورضيت وسلمت، يقول تعالى: (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6)**» [الإنسان: 6]، فالعصاة في أسفل سافلين أما المؤمنون الصالحون فلهم أجر عظيم عند ربهم سبحانه وتعالى؛ لذلك تجده عز وجل يوبخ الكافرين: (**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (٢٨)) [البقرة: 28] فهو الذي ابتدأنا من العدم ثم يميتنا ثم يحيينا، ليس لنا في ذلك كله أدنى



اختيار، فعلينا التسليم الكامل له سبحانه وتعالى، فلا يجدك حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك.

يذكرنا هذا الحديث بتلك الحقيقة «أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه» ثم ينكر علينا مع نقع فيه من حب الجمع والمنع، تريد أن تجمع إليك كل شيء ثم تمنع الناس حقوقهم، بل تريد أن تمنع **الله** عز وجل حقه، وأنت العبد الفقير إلى **الله**، الضعيف إلى قوته سبحانه، يقول علي بن أبي طالب - كرم **الله** وجهه: «أعجب من إنسان تقتله شرقة، وتقلقه بقة، علام يتكبر؟». صدق الإمام علي فإنك إن شرقت قد تموت، ولو أن حشرة البق أزعجتك ما استطعت أن تنام، ما أضعفك؛ هكذا شأن الإنسان مركب من ثلاثة: ضعف، وفقر، وجهل: فيحتاج في ضعفه إلى ربه ليقويه، ويحتاج في فقره إلى ربه ليغنيه، ويحتاج في



جهله إلى ربه ليعلمه، كم نحن محتاجون إلى اللّه سبحانه؟! **«ومشيت بين بردين وللأرض منك ونيد،**

حتى إذا بلغت الحلقوم روحك قلت أتصدق وأنى لك أوان الصدقة؟!» [38].

البُرد هو اللبس، ومعنى «للأرض منك وئيد» أنك تمشي مغترًا بنفسك مزهواً حتى إذا قاربت على الموت وأدركك الهلاك فكرت في العودة إلى **اللّه** عز وجل، لكن هيهات، إنه لا يحب المتكبرين ولك في النمرود عبرة، فقد كان من ملوك الدنيا، وجاءه إبراهيم عليه السلام ليعرفه ربه جل وعلا: **(إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)** [البقرة: 258] فجاء باثنين فأمر بقتل أحدهما وترك الآخر، وظن أنه بذلك يحيى



ويميت، فأعجزه إبراهيم عليه السلام بالحجة القاطعة (**قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (٢٥٨)) [البقرة: 258] إنه متكبر على الله عز وجل مع أنه أضعف من ذبابة، والدليل أن **الله** سبحانه وتعالى سلط عليه ذبابة دخلت من أنفه (وقيل من أذنه) فوصلت إلى مخه فمتى تحركت لم يهدأ حتى يضرب بالنعل على رأسه، وذات يوم زادت الذبابة حركتها فاحتاج إلى ضرب النعال، فاجتمع الخدم يضربونه بالنعال حتى مات، أليس أضعف من ذبابة؟!

لقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة: (**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا**



يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73)) [الحج: 73] فأنت ضعيف أيها الإنسان؛ لذلك أرسل **الله** سبحانه وتعالى رسوله ليأخذ بيدك إلى الخير والطاعة والرضا عن **الله** عز وجل، حتى تعرفه في الدنيا، ثم يشفع لك في الآخرة، فلم تتكبر أو تزهو أو تتعالى على الناس، إياك أن تستكبر أن تلتزم أوامر **الله** عز وجل، إياك أن ترى نفسك فتعمى عن خالقك؛ لأن العبد إما أن يرى نفسه وإما أن يرى **الله** عز وجل، دع متطلباتك والزم أوامره هو سبحانه وتعالى، كن له كما يحب، فقديما

قالوا: «من كان **لله** كما يريد كان الله له فوق ما يريد» فيحقق له كل أمنياته وزيادة».

اعرف حقيقتك حتى لا تتكبر:



إن العبد لو عرف حقيقته لأناب إلى ربه، يا أخي الكريم إن الواحد منا – كما قيل - أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وفيما بينهما يحمل في بطنه العذرة، أولنا نطفة مهينة، وآخرنا جيفة منتنة، وفيما بين هاتين المرحلتين نحمل في بطوننا الفضلات. فسبحان الله الذي يقول: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..»[39] ، فهو يكرم هذا العبد صاحب تلك الصفات، إذا كان صالحا، فما ذلك إلا لكونه عز وجل ينظر إلى قلبك ويكرمك إذا كان صالحا، أما إذا تكبرت بجاهك أو مالك وانصرفت عن صلاح القلب فإنك هالك إلا أن يهديك **الله** عز وجل ويتداركك برحمته.

إن جزاء المتكبرين الهلاك دائما، مهما تكن قوتهم، فلنتذكر قوم عاد ذوي القوة والضخامة،



فقد كان طول الواحد منهم مائة متر، وكانوا من القوة ما أعانهم على نحت الجبال، فلما تكبروا كان هلاكهم بالريح، كان الهواء يدخل من أفواههم فيخرج من أدبارهم، يرفع الواحد منهم إلى السماء ويسقطه على الأرض، ما أضعف الإنسان! وقوم ثمود الذين جابوا الصخر بالواد كما ذكر القرآن الكريم، كانوا من القوة كذلك، لكن **الله** عز وجل أهلكهم بنفخة، مجرد نفخة، فما أضعفهم، وقد كانوا يتكبرون على **الله** عز وجل، فأنت ضعيف فقير **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** (15) [فاطر: 15]، أنت محتاج إليه دائما، فارجع من قريب، ولا تقل: أسرفت فكيف الرجوع، فإن **الله** الرحمن الرحيم هو الذي يدعوك ويرغبك في التوبة: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ**



اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (52)) [الزمر: 52].

---

[37] سنن ابن ماجه رقم 2698 باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت

[38]سنن ابن ماجه رقم 2698 باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت.

[39]صحيح البخاري رقم 2005 باب ما جاء في صفة الجنة.



الُحبّ الإلهي

قال صلى الله عليه وسلم: « **إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانا فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض.....** » [40].

تبدأ قصة هذا الحب عندما أراد **الله** أن يخلق الخلق، كما حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب. فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى**



الأبد» [41]، وذلك قبل أن يخلق الله الدنيا بخمسين ألف عام، فكتب أننا من أمة محمد فذلك من حبه عز وجل لنا فقد اختارنا ولم يختر غيرنا من البشر الذين خسروا هذا الفضل العظيم.

ومن حبه كذلك أنه كتب في كتاب عنده: «**إن رحمتي تغلب غضبي** ».

ومظهر آخر من مظاهر حبه تعالى إياك، أنه أعدّ لك الجنة منذ ملايين السنين، فهل رأيت ضيفا يعد له الإكرام قبل مجيئه بسنة مثلاً؟! لم نر ذلك، لكن الله سبحانه أعد الجنة لك وزينها استعدادًا لدخولك إياها، فأنت ضيف الرحمن الذي هيأ لك الجنة وطلب منك شيئا واحدًا هو التقوى، يقول تعالى: (**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**(90)) [الشعراء: 90] أي قربت، فلقد أعدها **الله** سبحانه وتعالى



وجهزها لك، وكلفك بأعمال يسيرة حتى يسهل عليك دخولها (**مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**) [النساء: 147]، (...**وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** [الزمر: 17] لقد كلفكم **الله** يا أمة محمد بأعمال قليلة، صلوا قليلاً: خمس صلوات، صوموا قليلاً شهرًا في السنة، زكوا قليلاً 2,5% من المال الذي حال عليه الحول، حج مرة واحدة متى استطعت.

من رحمته بك وحبه إياك أنه عز وجل سخر لك حملة العرش ليستغفروا لك، يقول تعالى: (**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**) [غافر: 7]، ويقول تعالى: (**وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ**) [الشورى: 5].



تلمس حبه كذلك في أنه يفتح لمن مات فدخل القبر بابا (نافذة) على الجنة ليرى موضعه وملكه فيها إن كان من أهلها، فهو سبحانه يؤنسك في قبرك حتى تقوم الساعة.

إذا جلسنا في مجلس علم حفتنا الملائكة وغشيتنا الرحمة وأنزلت علينا السكينة وذكرنا الله فيمن عنده، أي حب هذا؟! وأي رحمة؟! بل يمنحك الله رضاه إذا أكلت فحمدته وشربت فحمدته، يقول: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**».

وقد يغفر الله لك كل ذنوبك بكلمة آمين خلف الإمام، يقول: «**إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**»، كما قال من حديث أبي هريرة رضي **الله**



عنه: «**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد؛ فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**»، فأي محبة هذه؟! يغفر كل الذنوب بسبب كلمة «آمين» ثم يغفر كل الذنوب بسبب «ربنا ولك الحمد»؟! إنها محبة الله عباده المؤمنين، فكن منهم، وكن على قدر هذا الحب في طاعتك إياه عز وجل.

إن **الله** سبحانه يكرمك بالطاعات وييسرك إلى الخيرات لا لنفع يصله، وكذلك يصرفك عن المعاصي والمنكرات لا لضمر قد يصله، فإنه عز وجل يقول: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**» أي أنكم مهما تعصواني فلن تضروني ومهما تطيعوني فلن تنفعوني، إنما النفع لكم أنتم.



أن نعمته إليه لا إلى غيره:

المهم أن تستغل نعمته للوصول إليه، فلا تكن كعبد تائه في الصحراء كاد يموت عطشًا وجوعًا، وكاد العدو يهلكه، فأبصره ملك في قصره فأرسل اليه زاد اوراحلة حتى يتبلغ إليه، لكنه يعطي كل ذلك للعدو، فيا ترى هل يرسل الملك إليه ثانية، المفاجأة أنه يرسل ثانية وثالثة، والعبد على حاله، فما حكمك عليه؟ فهكذا بعض الناس مع **الله** سبحانه، وله المثل الأعلى، **فالله** يرسل إلينا نعمه ليعرفنا به، لكننا ننصر عدوه وعدونا، ننصر الشيطان، ولا نعود إلى **الله** الرحيم الرحمن !! فهذه خيانة **لله** عز وجل الذي قال: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ)** [الأنفال: 27]



لكننا خناها وخنا ربنا إرضاء للشيطان الذي تحداه أن يغوينا (**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** (٦)) [الأعراف: 16] فأساء أدبه مع الله عز وجل، ومع ذلك فإننا قد ننصره، وقد نفرحه بالمعاصي ونغضب الرحمن عز وجل !!

لكن **الله** ينجيك منه إن أنت آمنت واعتصمت بحبله المتين، فقد قال تعالى: (**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** [الحجر: 42].

إنه كنز كبير ينبغي ألا نفقده، ألا وهو حب **الله** عز وجل الذي نعيش فيه، حتى العصاة، فلم يزل عز وجل يدعوهم، ولم ينكس قلوبهم فيغيروا دينهم، فلنحافظ على حب الله الرحمن، ونترك طريق غواية الشيطان، إن الله يعاتب عباده الذين يتولون عدوهم، يقول تعالى: (**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ**



أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) [الكهف: 50].

إذا أحبك الله أحبك كل شيء:

إن حب **الله** إياك يجعل كل المخلوقات تحبك؛ حتى دابتك، بيتك، أشياءك، كل شيء. يذكر أن سفيان الثوري رحمه **الله** كان في زيارة صديق له، وكان لدى هذا الصديق عصفور جميل في قفص، فأراد أن يهديه إلى سفيان فأبى، وعرض أن يشتريه ليطلقه، فكان ما أراد، فلما أطلقه طار قليلا ثم عاد إلى البيت ثانية، حيث سفيان لم يزل موجودًا، وكان أن توفي سفيان عند صديقه، فتبع العصفور جنازته، وكان الناسى متى زاروا قبره وجد وا العصفور عنده، حتى مات العصفور على قبر سفيان رحمه الله! لقد أحبه العصفور !!



كذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حزنت دابته عليه، فألقت نفسها في بئر فهلكت. لا يتمتع الإنسان بحب كل شيء حوله إلا إذا أحب **الله** فكان حبه أغلى من كل شيء (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** (207)) [البقرة: 207] فإذا بعت نفسك **لله** أعزك وأكرمك ورفعك، وإذا بعت نفسك البشر أو لعرض من الدنيا أذلك وأهانك، فبع نفسك له وحده، وأقام ما أوجب عليك من الطاعات؛ لأنه إنما أوجب عليك الجنة، كذا قال العلماء: أوجب عليك خدمته ليوجب عليك جنته، فإن العبد إذا كان مطيعا كان رفيع القدر عند ربه، أما إذا عصى ووالى الشيطان فإنه يتضع قدره بسبب معصيته، يدل على ذلك أن اليد إن قطعت وجبت ديتها خمسمائة دينار، فإذا سرقت فوق ربع دينار فقط



قطعت؛ وذلك لأنها معصومة غالية ما لم تسرق فإن سرقت قطعت، ويفسر العلماء ذلك بقولهم: «لما كانت أمينة كانت ثمينة فلما خانت هانت» فكذا أنت عزيز على **الله** عز وجل ما كنت طائعا تقيًا؛ لذلك فرض عليك الصلاة والصيام والزكاة والحج إن استطعت إليه سبيلاً حتى يفرض عليك الخير لنفسك سبحانه وتعالى.

ختاماً أود أن أنبهك أخي القارى الكريم إلى أنك لن تستطيع أن تحب **الله** إلا إذا أحبك وإنه يحبك إذا تقربت إليه بالطاعات وتركت المعاصي، يقول تعالى: (**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**) [المائدة:

54]، وقال العلماء: إنهم لم يحبوه حتى احبهم.



ولتتأسَّ **بالله** عز وجل في حبك الناس، فإن أحببت أحدًا فأخبره كما أخبر الله أهل السماء أنه يحب فلانا، ثم دعم حبك بالأفعال كما رأيت من الله سبحانه. وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

[40] موطأ مالك رقم 1502 باب ما جاء في المتحابين في الله، البخاري رقم 2970 باب ذكر الملائكة.

[41] سنن الترمذي 2081 باب ما جاء في الرضا بالقضاء.



الحديث العاشر

حُسن الظن بالله



حُسن الظن بالله

قال صلى الله عليه وسلم عن رب العزة سبحانه وتعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي**». يهدينا هذا الحديث إلى ضرورة حسن الظن **بالله** عز وجل، وأن نكون مطمئنين إلى كل أفعاله واختياراته لنا في الحاضر والمستقبل، وأن نؤمن به إيمان من رأى وشاهد، لا إيمان الشاك في توفيقه أو حسن اختياره سبحانه وتعالى، وأن نستبشر بما عند **الله**



عز وجل من خير لنا، ولنثق بأنه سيعطينا ما طلبناء وأنه سيحقق لنا ما نريده بل فوق ما نريده، فقد قال: «**أنا عند ظن عبدي بي**» أي لا تقلق فمهما تطلب ومهما ترد منه عز وجل أعطاك، لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى؛ فهو الرزاق ذو القوة المتين وهو على كل شيء قدير، بل يحب من عباده أن يسألوه ويحسنوا الظن في **الله** إلا أعطاه ظنه لأن الخير كله بيديه».

إن حسن الظن **بالله** سبحانه وتعالى يساعد العبد على العمل الصالح والتضحية في سبيل **الله** عز وجل، ويكون له خير جزاء أن يؤتى كتابه بيمينه، يقول تعالى: (**فَأَمَّا أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۞{١٩}۞ نِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۞{٢٠}۞**) [الحاقة: 19 - 20] لقد كنت متأكدا أن الله سبحانه وتعالى



سيجازيني خير الجزاء؛ فقد كنت في الدنيا أحسن الظن به، وقد كان ما توقعت وزيادة.

لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل:

ومما يغفل عنه كثير من العباد أن الرجاء وحسن الظن لا بد أن يكونا مشفوعين بالعمل، فإن الرجاء بلا عمل لا يكفي؛ لذا قال سبحانه: (**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**) [الكهف: 110] فالعمل والإخلاص مطلوبان مع الرجاء، وإلا كنا كالقوم الذين عابهم الحسن البصري؛ إذ يقول: إن أقواما يخرجون من الدنيا ولا حسنة لهم يظنون أنهم من خير الناس يوم القيامة، يقولون: نحن أقوام أحسنا الظن **بالله**، ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

مَنْ



وإليك حديثا يبين لك فضل حسن الظن بالله عز وجل وكيف أنه يرفع صاحبه، بل ربما أخرجه من النار إلى الجنة:

روى مسلم في صحيحه أن رسول **الله** قال: « **آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منكو لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول: أي رب أذنني من هذه الشجرة فالأستظل بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله عز وجل: يابن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يارب ويعاهده ألا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فليذنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن**



من الأولى. فيقول: أي رب أدنني من هذه الأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني الأتسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أذنينك منها تسألني غيرها، فيعاهده ألا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب أذنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها. فيقول: يابن آدم ألم تعاهدني ألأ تسألني غيرها، قال: بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها. فيقول: يابن آدم ما يصنريك مني؟



أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟! فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألونني مم أضحكك؟ فقالوا: مم تضحكك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين... ».

فانظر ماذا أدى به حسن الظن، لقد أدخله الجنة، فإن **الله** عز وجل أكرم من أن يظن به عبد خيرًا ثم لا يعطيه الذي ظن وزيادة، وكيف لا وقد جعل من خلقه من يكرم قاصده في كل أحواله فهذا حاتم الطائي قد ذبح حصانه العربي الأصيل لضيفه لأنه لم يجد ما يقدمه له، فكيف يقصده قاصد ولا يضيفه؟! وهذا مجرد إنسان فيه البشرية مستحكمة، فما بالك **بالله** عز وجل الذي علمنا الكرم، بل كل كرم منه، وكل رحمة منه سبحانه،



فلقد قال: «**إن اللّٰه تعالى خلق الرحمة مائة جزء، فأنزل منها جزءًا واحدًا يتراحم به الخلائق كلها حتى إن الدابة لترفع حافرها عن وليدها رحمة به**...». فكل صفة طيبة على الأرض فهي منه عز وجل، فكيف لا يرحم ؟! وكيف لا يكرم ؟ وكيف لا يعطي؟ إنه عند ظن عبده به، فأحسِن الظن بربك، تفز بما عنده من خيرات أعدها لعباده المتقين المخلصين الذين يحسنون الظن به سبحانه وتعالى.

وإليكم نموذجا أحسن الظن باللّٰه عز وجل فأكرمه وبسط له في رزقه:

«أنا محمد رفاعي، سني أربعة وستون عاما، كنت في بداية حياتي أعمل عند بعض الأشخاص في مجال (الكبدة والسجق) ثم أكرمني **اللّٰه**



سبحانه وتعالى وأصبح لدي (عربة كبدة)، فقد كنت دائما أسأل **الله** من فضله، وأهتم بعملي، ولا أستكبر على فعل شيء، فلا أحد كبير على العمل، وأخذت أتوسع بفضل **الله** وتوفيقه، رافضا ما عرض علي من فنادق ومحال سياحية وغيرها، وفضلت أن أبقى في الحارة التي أنا فيها وأجاهد وأنمي العمل وكلي أمل في الله وثقة به أنه سيساعدني ويعينني، وكان ذلك بفضل **الله**، حتى أصبح محلي مشهورًا ويأتي إليه كبار الشخصيات، مثل الإمام الشعراوي رحمه **الله**، والعالم الدكتور أحمد زويل، والدكتور أسامة الباز، وغيرهم من الشخصيات المعروفة، وكل هذا الفضل إنما هو من **الله** عز وجل الذي بلغت ثقتي به أني كنت أسأله كل ما أريد وأحتاج، وكان بفضله يرزقني، فالحمد **لله** رب العالمين».



ولنا في قصة سيدنا موسى عليه السلام مثل على حسن الظن **بالله**، فعندما كذبه فرعون وملؤه وغلب السحرة وآمنوا به، و اتبعوه، فطاردهم فرعون و جنوده حتى اعترضهم البحر، وكان فرعون وراءهم فعندها: (**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61)**) [الشعراء: 61] فطمأنهم بأن **الله** سبحانه وتعالى أقوى من فرعون وجنوده، وأنه ما دام يحسن الظن به فهو هاديه و منجيه (**قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** (62)) [الشعراء: 62] فأنجاه **الله** عز وجل ومن معه، وأغرق فرعون وجنده الظالمين.

يا مولى الزبير اقض دين الزبير:

ومن أمثلة حسن الظن **بالله** أن سيدنا الزبير رضي **الله** عنه كان إذا جاءه من يأتمنه على



شيء قال: اجعله قرضا (سلفاً) لا أمانة، حتى يضمن من نفسه أن يسدده حتى لو سرق من بيته، لأن الأمانة لو سرقت لم يضمنها صاحبها أي ليس عليه سدادها، أما القرض فإنه ملزم بسداده لا محالة، فلما جاءه الموت أوصى ابنه عبد **الله** بأن يقضي دينه مما تركه من أموال. وكان الزبير إن ضاق به الحال قال: يا مولى الزبير اقض دين الزبير، فأخذ عبد **الله** بن الزبير بعد موت أبيه يجمع التركة ويحصي الديون، فكانت التركة مائتي ألف، والديون ألفي ألف (مليونين) فماذا يصنع؟ أخذ يقول: يارب الزبير اقض دين الزبير؟ وعرض التركة للبيع - ولأن الزبير ابن عمة رسول **الله** صلى الله عليه وسلم- فقد أقبل الناس على شراء ممتلكاته في مزاد تبركا بآل البيت، فباع عبد الله الممتلكات التي كانت تساوي مائتي ألف



بخمسين ألف ألف ومائتين (خمسين مليون ومائتي ألف) فقضى الدين الذي قيمته ألفا ألف، وقسمت بقية الخمسين مليونا على مستحقيها؛ إنه أحسن الظن بالله عز وجل.

يا رب رأينا قدرتك فأرنا عفوك:

قصة أخرى بطلها إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه، إذ يُحكى أنه كان على ظهر سفينة في البحر فإذا طوفان عظيم، والناس في فزع وهو نائم وعليه غطاء واحد خفيف، فأيقظه الناس أن قم، الطوفانا الطوفان؛ فلم ينهض من مكانه، غير أنه قال: «يارب رأينا قدرتك فأرنا عفوك» إنه لم ينظر إلى الطوفان ولا إلى السماء ولا إلى المحنة والابتلاء، بل نظر إلى **الله** القادر، رأى قدرة **الله** في الفعل يقولون: فهدأ البحر كأنه الزيت !!



إنه حسن الظن **بالله**، ورؤية **الله** بالقلب، والاطمئنان إليه عز وجل.

نتعلم من هذا الحديث أربعة كنوز:

الأول: حسن الظن **بالله** عند التوبة، فلا نظن أنه لن يقبل، بل علينا أن نوقن أنه سبحانه سيقبلنا ويهدينا ويتوب علينا، لأنه هو التواب الرحيم، وخطورة من يظن هذا الظن أنه يرى رحمة **الله** ضيقة ويرى ذنبه أعظم منها، مع أن الله عز وجل قال في كتابه الكريم: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: 156] ويقول في الحديث القدسي: « **يابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي** ». وقال سبحانه: ﴿**هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** (56)﴾ [المدثر: 56].



الثاني: حسن الظن عند الدعاء: فلا يجوز لك أن تسأله وأنت شاك في إجابته، أو في قدرته، لا تقل: يارب ؛ ثم تقول: لكن كيف؟! لأنه هو مالك الملك وملك الملوك، وهو على كل شيء قدير، إن قلت: يارب! قال: لبيك عبدي. إنه سبحانه القائل: **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)** [البقرة: 186] ليس بحاجة إلى معين، بل هو المعين سبحانه، فلا تقل: كيف؟ لا تقل: «أنى»؟ وإلا وجدته قال «كذلك» كما حدث مع مريم وزكريا عليهما السلام وقالت **(قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ)** [مريم: 20- 21] وأما سيدنا زكريا عليه السلام، فإنه وقال **(قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَٰلِكَ**



قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) [مريم: 8 – 9] ثم إن الله وعد، ووعده الحق: **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)** [الطلاق: 2- 3] وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم الكريم محمد على ضرورة اليقين في الدعاء، حيث قال: « **ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**».

الثالث: حسن الظن عند التضحية: من الأخطاء الشديدة التي يقع فيها كثير من الناس أنهم يسيئون الظن بالله سبحانه عندما يهمون بالتضحية من أجله، ويظنون أنه لن يعوضهم، فلا يضحي بماله الحرام ولا بعمله الحرام خشية الفقر، وهي لا تضحي بتبرجها وأصحابها من الذكور خشية ألا تتزوج، فإذا كان **الله** يرحمنا ونحن عصاة، ويهدينا، فكيف لا يرحمنا ونحن مهتدون



نرجو رحمته ونخشى عذابه؟! بل أقبل على الله وأنت مطمئن إليه فإنك في رعايته وعلمه (**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**) [الطور: 48] نعم قد نجد بعض الصعوبات والابتلاءات عند العودة عن طريق المعصية إلى طريق الطاعة، لكن ذلك يكون على سبيل التمحيص والاختبار، ليطلع **الله** منه على صدق توبتك، فيبارك لك فيها ويعينك ويثبت قدميك برحمته وفضله.

الرابع: حسن الظن عند الموت: ينبغي أن نعلم أولاً أن من عاش على شيء مات عليه، فلنحسن عيشنا حتى تحسن خاتمتنا. أما حسن الظن **بالله** عند الموت فيرتبط بأن الموت عند المسلمين ترقية، خروج من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، إلى جوار رب العالمين، الذي يحب الإكرام والإحسان، فهو الذي أكرمك في الدنيا بالإسلام وبالنبي محمد



صلى الله عليه وسلم، ترى ماذا يفعل معك في الآخرة؟ لاشك أنه مكرمك، وغافر ذنوبك، وراحمك، لكن أحسن الظن به، وحسن الظن يقتضي العمل.

ولقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم الكريم بحسن الظن قبل الموت، يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله** ». واحذر أخي الكريم أن تكره لقاء **الله**، لأنّ من كره لقاء **الله كره الله لقاءه**، ولتتخلص من ذلك اذكر نعم الله عليك، فيُحكى أن أحد الأعراب مرض مرض الموت فإذا به يقول: «الحمد **لله**» فقيل له: أتحمد **الله** على الموت؟**!** قال لهم: «إني مقبل على من لم أرَ الخير إلا في يديه».

اللهم لا تحرمنا حسن الظن بك، حتى تحقق وعدك الذي وعدت: «**أنا عند ظن عبدي بي**»



والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الحديث الحادي عشر

جزاؤه الجنة



جزاؤه الجنة

قال رسول **الله**: « قال الله عز وجل: إذا ابتليت عبدي في حبيبتيه (أو في إحدى حبيبتيه) فصبر فليس له عندي جزاء إلا الجنة».

في هذا الحديث كنز ثمين ألا وهو «شهود حسن الاختيار» أي أن الإيمان بحسن اختيار المولى عز وجل لنا في كل أمر من أمورنا يعتبر كنزا ثميناء وهذا لا يشاهد بالعين فقط، وإنما يشاهد بالقلب أيضا، والذي يؤمن بذلك يكون في جوار الله عز وجل، نريد أن نعيش مع هذا الكنز، بمعنى أنه لو حرم الإنسان من شيء أو فقده، أو



ضيق عليه فيه، ينبغي عليه أن يعلم أن هذا هو اختيار الله له وأن هذا هو أفضل شيء له في هذه اللحظة.

وهذا يتطلب منا تعهد القلب بالتزكية دائما، حيث إن القلب هو الوعاء الذي يستقر فيه الدين وحب الله عز وجل، وكل تجربة يمر بها الإنسان تعلمه وتكون شخصيته وتصب في هذا الوعاء. إن في كل لحظة تمر علينا قدرًا نازلاً من ربنا يعلمنا ويقرب قلوبنا؛ لذلك نحن في حاجة لأن نعيش مع كنز شهود القلب لحسن اختيار ربنا لنا في كل لحظة، ومما يؤكد هذا المعنى قصة سيدنا موسى عليه

السلام، فإن فيها أكثر من موضع لحسن الظن بالله، عز وجل، منها:



1- حُسن ظن أم موسى عليه السلام – عندما وضعته في التابوت فألقته في اليم - بأن **الله** عز وجل

سيرده إليها ولن يفجع قلبها فيه، فرده وجعله نبيًا.

2- حُسن ظن موسى عليه السلام عند ما مكث العدة سنوات غريبا يرعى الغنام، فكان ذلك درية له

أكسبته الهدوء والتفكر وحسن القيادة، فمن رعى الغنم سهل عليه أن يعامل البشر بعد ذلك ويقودهم.

وفي هذه الابتلاءات عبرة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، **فالله** يبتلي الإنسان أحيانا ليهذبه لا ليعذبه، فاشهد حسن الاختيار ولا تعجب فإن هناك



شجرا نحتاج إلى قصه من أجل تهذيبه ليصير جميلاً لكي يصلح أن يكون في حديقة ملك.

إنك تثق بالطبيب الماهر المشهور، فلو قرر لك حقنة تؤلمك أخذتها مطمئنا إلى أن فيها العلاج والراحة، لذا فإنك تصبر، وربما تشكر، بل قد يمنعك الطبيب طعامك وشرابك ولا تعارضه، فما ظنك برب العالمين الخبير اللطيف العليم بكل شيء، الذي لا ينفك لطفه عن قدره، فلتطمئن إلى اختياره لك فإنه أحسن اختياره، وتأمل نعمه حتى ترى خيرها ونفعها فلا تحتقرها، إن بعضنا ليحتقر نعمة الله فيقول:

«إننا نعيش عيشة (الكلاب) ومن عجب أنك لا ترى الكلاب تسخط بل تسبح بحمد ربها عزوجل !!



وعندما يقْدِر **الله** رزق بعض عباده تجدهم يتضرعون: أعد إلينا رزقك وفضلك يا ربنا؛ فإذا رده إليه حمد وشكر وعرف قيمة ما كان بيديه من نعم. بل قد يتجرأ الإنسان ويحاسب ربه **(والعياذ بالله)** فيقول: أنت تعطي فلانا وتمنع فلانا، ومن الناس من يرجع إلى ربه بعد أن كان ناقما ويصبح من الشاكرين بسبب البلاء الذي ابتلي به، فقد كان يدعو أحيانا وقلبه غافل؛ لأنه غير محتاج، فإنه يدعو من أجل أن يقال دعاء ولما ضيق عليه بعض الشيء قال: يارب ليس لي سواك، يارب أعني، يارب الشفني فمنه كل خير ونعمة، يقول عز وجل: **(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ** (53)) [النحل: 53] علمك أن تجار إليه سبحانه وتعالي. واعلم أن المرض أحيانا يفرغ



الوقت ويجعلك تستطيع المذاكرة مثلا والقراءة، والذكر وأن تقرأ المصحف وتختمه.

لقد طرد أحد الفلسطينيين من بلده، فجاء إلى مصر وعاش في مسجد بجوارنا، كان دبلوماسيًا كبيرًا على ما يبدو، وكان ممنوعا من دخول فلسطين، غير أنه لما ارتبط بالمسجد صار مؤذنا، وكان شديد الثراء، ولأنه لم يكن يستطيع الرجوع إلى بلده فلم يفارق المسجد، ولا أنسى أنه أخبرني ذات مرة أنه ختم القرآن حوالي ثلاثمائة مرة، وقد كان من قبل لا يفتح كتاب الله. وقد مات رحمه الله وهو من الذاكرين الله كثيرا.

أما أنت يا أخي فلا تدري ماذا يريد **الله** لك، فلو ضيق عليك فاشهد لطفه الخفي، ولا تنظر أين



وضعك، وتجمل بشهود حسن الاختيار من **الله** عز وجل لك، حتى تسعد بجميع قدره.

وإليكم نموذجا لأسرة تقبلت بثقة بالله وبحسن الظن به ابتلاءه عز وجل وحسن اختياره فكان هذا

سببا لفرارهم ورجوعهم إليه.

«نحن أسرة مكونة من أب وأم وبنتين نهى ونورا، فوجئنا سنة 2000 بنهى الكبيرة - التي كانت في بكالوريوس سياسة واقتصاد - قد أصابها مرض خبيث، وكان ذلك صدمة كبيرة جدًا بالنسبة لنا، فاتجهنا إلى **الله** واقتربنا منه سبحانه، وحضرنا دروسا دينية، وعرفنا معنى الابتلاء، لا أستطيع أن أحكي لكم عن المعاناة التي عانيناها. بدأت نهى تأخذ عقارًا أسقط شعرها كله، فتحجبت وكانت



راضية وصابرة، فالله عز وجل قد أعانها على ما ابتلاها به، ودعونا **الله** سبحانه أن يشفي ابنتنا، لكن قضت مشيئته أن يبتلينا سبحانه وتعالى ابتلاء آخر أقوى؛ حيث توفاها إلى رحمته تعالى. كان وقع صدمة الوفاة شديدًا علينا، لكن **الله** ألهمنا أن نسلم له ونقول: إنا **لله** وإنا إليه راجعون؛ لأن ما رأيناه في سكرات الموت يومها من الثالثة عصرا حتى الثانية صباحا جعلنا نتقبل الموت ونرضى به؛ لأن **الله** جل شأنه رءوف رحيم، ولأنه إذا أحب عبدًا كتب له حسن الخاتمة».

إن **الله** عز وجل إذا أخذ أغلى شيء في حياتك أنزل على قلبك برد الرضا، وهذا لا يعادله كنوز الدنيا والآخرة، فيا من ابتلاه الله عز وجل لا تحزن، فإنما هو الحب من **الله**، فاسأله من فضله واقترب منه، وناجه ولا تيئس ولا تقنط، واذكر



قوله تعالى: (**وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**) [البقرة: 216]، وقوله سبحانه: (**فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** (19)) [النساء: 19].

واعلم أن **لله** سبحانه حكمة فيما يقدره على عباده؛ ولذا قال سبحانه: (**وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** (75)) [المؤمنون: 75] فالإنسان يظل يتمتع بالدنيا ويأكل من خيراتها غير شاكر أنعم الله عز وجل، فينحط عن درجة الأنعام التي تأكل وتشكر، يقول تعالى: (**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا** (44)) [الفرقان: 44] لكن **الله** عز وجل رءوف بهم، فيضيق عليهم شيئا حتى لا يطغوا ويصابوا بالعمى القلبي (عمى البصيرة) حتى يلجئوا إليه ويسألوه التيسير برحمته، وعندها



ينعم **الله** عليهم بالتيسير والهداية، فإذا اهتدوا فلا يتأثرون بمن يتهكم عليهم، ويسخر منهم. وليكن لهم في رسول **الله** أسوة حسنة، فلقد كانت قريش تؤذيه في أول البعثة، وتسخر منه، وتتهمه بالجنون، لكن ذلك كله لم يردّه عن سبيل ربه حتى في أحلك الظروف كموت خديجة رضي **الله** عنها، وموت عمه أبي طالب، فكان صبره وعون **الله** له حافزا على مواصلة الدعوة، فدعا أهل الطائف الذين لم يكونوا أحسن حالاً ولا خلقا من مشركي مكة، فسلطوا عليه صبيانهم، فخرج من محنة إلى محنة، لكن ذلك لم يثن عزمه عن المضي في سبيل ربه الذي هداه وخفف عنه ورزقه دين الإسلام.

والابتلاءات تنزل بالبشر على اختلاف درجاتهم ومراتبهم، فالبخاري - مثلاً - على واسع علمه وعظيم شرفه ابتلي بفتنة آخر حياته؛ حيث تآمر



عليه حساده وتقولوا عليه، حتى انعزل ومات وحيدًا، فلم ينقم ولم يسخطه ولم يفخر بعمله «صحيح البخاري» بل كان راضيا صابرًا، يرى المبتلي في الابتلاء حكمة، أدركها أو لم يدركها.

فتقبل أخي المسلم أمر الله وابتلاءه وعطاءه برضا وصبر، خاصة في مسألة الرزق، واعلم أن تفاوت الأرزاق إنما هو الحكمة، فتصور مثلا أن الله عز وجل أغنى كل البشر ووسع أرزاقهم، ترى ماذا سيكون الحال ؟ لا بد أنهم سيطغون ويستكبرون، يقول عز وجل: (**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ** (٢٧)) [الشورى:27]، ورد في الأثر: « **إن من عبادي من جعلته فقيرًا لأنني لو أغنيته لأفسده الغنى، وإن من عبادي من جعلته غنيًا لأنني لو أفقرته الأفسده الفقر**» فلما جعل من



عباده فقراء وأغنياء تفاوتوا في الرزق والدرجة، وهذا أيضا لحكمة؛ وهي التعاون فيما بينهم حتى تدور الحركة في الأرض، يقول تعالى: (**رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا**) [الزخرف: 32] فالبشر محتاجون لبعضهم البعض.

فالدنيا قائمة على التباينات التي تدفع حركتها، وهذا شأنها، فهي ليست دار مقر، بل هي دار ممر، والعاقل من باع دار الممر ليشتري دار المقر، ألا ترى أنك إذا لبست حلة رخيصة فأصابها شيء من طعام ونحوه لم تكترث ولم تغضب، في حين أن الشيء نفسه إذا وقع على حالة غالية فإنك قد تثور وتغضب ويكون لذلك وقع سيى على نفسك ؟! فكذا الدنيا والآخرة، فإن من أصيب في دنياه وعوفي في آخرته فقد فاز، تماما كمن أصيبت



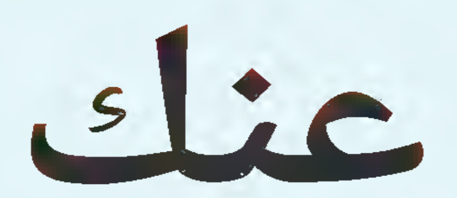
«حلته» الرخيصة وحفظت «حالته» الغالية فكأن الدنيا حلة رخصية والآخرة حالة غالية، فحافظ على الآخرة أيها العاقل واسأل الله ذلك؛ وأكثر من هذا الدعاء: اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وأخرجنا منها سالمين.



الحديث الثاني عشر

تجاوَز يتجاوز




عنك



تتجاوز يَتجاوز عنك

قال صلى الله عليه وسلم: «**إن العبد إذا تجاوز عن أخيه قال الله تعالى له: عبدي، أنا أولى بذلك منك تجاوزت عنك إذا كنت كريما فأنا أكرم الكرماء.. يابن آدم اذكرني حين تغضب اذاكرات حين اغضب...**».

نأخذ من هذا الحديث أن حسن معاملة الناس والرفق بهم والتجاوز عنهم قربة من القربات إلى



الله سبحانه، ومجلبة لتجاوزه عنا وإكرامه إيانا بكرمه وفضله سبحانه. فالإحسان إلى الناس ورحمتهم كنز لا ينبغي التفريط فيه، ولتضع نصب عينيك دائما أن هؤلاء الناس هم عباد **الله** وأنك متى أحسنت معاملتهم أحسن هو إليك ومتى تجاوزت عنهم تجاوز هو عنك، فعاملهم بما تحب أن يعاملك به سبحانه، ولتطمئن فإنه يعاملنا بما هو أهله سبحانه، لا بما نحن أهله، هو أهل التقوى وأهل المغفرة. ولك في رسول **الله** أسوة حسنة؛ فلقد كان رحيما بالمؤمنين، كيف لا وقد مدحه ربه في القرآن الكريم، حيث قال: **«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** (١٢٨)» [التوبة: 128].



واعلم أن حب الناس وإضمار الخير لهم، وعدم إيذائهم بالقول أو الفعل من أحب الخصال إلى **الله** عز وجل، وأنها تجعل صاحبها من خاصته سبحانه، ومجلبة لحب الله ولحب الناس، فعندما سأل موسى عليه السلام ربه: «يا رب دلني على أحب الناس إليك حتى أحبه بحبك، قال: يا موسى أحب عبادي إلي تقي القلب نقي اليدين الذي في قلبه تقوى ويكسب مالاً حلالاً، ولا يمشي بسوء لأحد، أحبني وأحب من أحبني وحببني إلى خلقي، أحبه يا موسى، فلو أحببته فسوف أحبك».

واعلم أن **الله** عز وجل يحب من يحسن إلى عباده ويتجاوز عن خطئهم. ألا ترى أنه عاتب أبا بكر الصديق رضي **الله** عنه عندما أقسم على أن يمنع عطاء أحد أقاربه الذين كان يحسن إليهم؛ لأنه أشاع خبر الإفك عن السيدة عائشة رضي **الله**



عنها، فأنزل قرآنا يعاتبه، ويأمره بأن يصله بعطائه، يقول تعالى: (**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)**) [النور: 22]. فعاود الصدّيق رضي **الله** عنه الإحسان إلى قريبه هذا، وتجاوز عن خطئه: مرضاة الله تعالى و طمعا في تجاوزه عنه و صفحه و مغفرته سبحانه.

فأبو بكر رضي **الله** عنه قابل نكران جميل ذلك الرجل بأن منعه، فكان عتاب **الله** إياه يتضمن معنى عظيما وهو أنك تعامل **الله** وتحفظ جميله سبحانه معك، فلا تلتفت للبشر، وإنما عامله عز وجل بما هو أهله، لا تكافى عباده بأفعالهم؛ لأنك إن عاملت ناكر الجميل بما يستحق فكأنك أنكرت جميل **الله** عز وجل معك ونعمه عليك.



لا تغضب فتظلم:

يصعب مع الغضب أن تحكم نفسك، فقد تقع في الظلم، وإن مظالم الخلق شؤم في الدنيا والآخرة؛ فهي في الدنيا تغضب الناس وتستجلب غضب الرب عز وجل، وفي الآخرة تذهب بالحسنات، وتسوء رسول **الله**، فيروى أن المظلوم يأخذ بخناق ظالمه يوم القيامة يريد أن يدخله النار، فيراهما النبي صلى الله عليه وسلم فيسأل: «**من هؤلاء**» فيخبر أنهما مسلمان تظالماء فيسوءه ذلك، فهل يسرك أن تظلم في الدنيا فتسوء الرسول في الآخرة، وكيف لا تسوءه، وقد حذرك من حقوق المسلمين، وبين أنهم حرام عليك، يقول صلى الله عليه وسلم: «**ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا**»، فحرمة المؤمن



كحرمة يوم عرفة ومكة والشهر الحرام، فلا يجوز أن تؤذيه ولو بمجرد الحقد والحسد والبغضاء التي يكون محلها الصدر، ولو لم يتلفظ بها، فإن من سلم صدره من ناحية الناس فالبشرى له من رسول **الله** بنية أنه من أهل الجنة، فيروى أن الرسول الكريم قال ذات مرة وهو في مجلس له: «يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة» ، فغبطه الصحابة لتبشيره بالجنة، وظنوا أنه يفوقهم في العمل، فرأى سيدنا عبد **الله** بن عمرو بن العاص أن يذهب إليه ويطلب المبيت عنده ثلاث ليالر ليشهد حاله في العبادة، فوجده لا يزيد شيئا عما يفعل الصحابة رضوان **الله** عليهم، فسأله عن فعله مخبرًا إياه بما كان من رسول **الله** فأجابه أنه يبيت وليس في قلبه غلا لأحد؛ لذلك تجد من دعاء المؤمنين ما ذكره القرآن الكريم:



قُلُوبِنَا غِلًّالِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمُ (10)) [الحشر: 10].

كما أن الرحمة بالمسلمين والرفق بهم تدخلك تحت دعاء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: «**اللهم من ولي من أمر المسلمين أمرًا فرفق بهم فارفق به**». واحذر ظلمهم والتشديد عليهم؛ حتى لا تدخل تحت بقية الحديث التي يقول فيها: «... **ومن ولي من أمر المسلمين أمرًا فشق عليهم فاشقق عليه**».

وإن لتفريج الكرب جزاء عظيما في الدنيا والآخرة: حيث يسر الله على من يفرج كرب الناس ويبارك له، يقول: «**من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ينشر على معسر يشر الله عليه في**



الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة».. وأبشر يا من تساعد إخوانك المؤمنين عيال الله، فإن الله يكون معينك على حوائجك **«كان الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»** فإنك ستجد الله في عونك، قريبا منك، فهو القائل سبحانه: **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)** [البقرة: 186] إن هذه الآية كما أنها تذكرنا بسؤال الله وأنه قريب من المؤمنين فإنها تعلمنا التواضع والقرب من كل المسلمين فإذا كان الله عز وجل قريبا من عباده، فلنكن نحن قريبين من إخواننا، تأسيا بالله عز وجل، وطمعا في قربه منا من قبيل الجزاء من جنس العمل. وإن القرب منه سبحانه جائزة كبيرة فهو يهدي إلى صالح الأعمال، فيعينك مثلاً على أن تنظر معسرًا إلى أن ييسر عليه الله عز وجل،



يقول: «**من أنظر معسرًا فله بكل يوم صدقة رَبَّنَا حتى يحل الأجل**». فأعانك الله أخي الكريم على تحصيل هذه الخيرات وأعاننا جميعا على التراحم والتعاون والتجاوز عن بعضنا البعض؛ حتى نكون أهلا لرحمته وإعانته وتجاوزه عنا سبحانه وتعالى، والحمد الله رب العالمين.



الحديث الثالث عشر

آداب الوقوف



بين يدي الله



آداب الوقوف بين يدي الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة: «**قال الله سبحانه وتعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، فإن قال العبد: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)) [الفاتحة: 2] قال الله عز وجل: حمداني عبدي، فإن قال العيد: (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3)) [الفاتحة: 3]، قال الله عز وجل: أثنى علي عبدي، فإن قال العبد: (مَالِكِ**



يَوْمِ الدِّينِ) (4)]الفاتحة: 4**]، قال اللّٰه عز وجل: مجدني عبدي، فإن قال العبد: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [**الفاتحة: 5**]، قال اللّٰه عز وجل: هذا بيني وبين عبدي، فإن قال العبد: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)) [**الفاتحة: 6، 7**]، قال اللّٰه عز وجل: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».**

فهذا الحديث يعطيك كنزا ثمينا، ويعلمك آداب الوقوف بين يدي اللّٰه عز وجل، والتعامل مع ملك الملوك الذي رضي لنا أن نتعامل معه وتكون من الذين رضي عنهم ورضوا عنه.

أرأيت هذا الحوار، تخيل أن كل آية تقولها يجيب اللّٰه سبحانه وتعالى عليك، تخيل أن ربنا



سبحانه وتعالى سمح لك بأن تتكلم معه، ولما تكلمت ردّ عليك، أتعرف ملكا من ملوك الدنيا تستطيع الوقوف أمامه والتحدث معه يجيب عليك في أي وقت وفي أي مكان فحيثما كنت صليت، يقول: «... **وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»؛ أي في أي مكان نستطيع أن نصلي، ونقف أمام اللّٰه عز وجل.

هل سألت نفسك قبل الآن لماذا جعل ربنا سبحانه وتعالى بداية القرآن بأم الكتاب وسماها الفاتحة؟ لماذا افتتح بها القرآن؟ ولماذا علمنا ربنا عز وجل أن نفتتح الصلاة بالفاتحة؟ أسماها حتى الفاتحة كأنك تفتح بابا. فرضها اللّٰه سبحانه وتعالى على المصلين، لا تستطيع الصلاة إلا بقراءة الفاتحة. لنعرف الإجابة تعالوا نعش مع اللّٰه



سبحانه وتعالى نعرف ماذا يعلمنا ربنا في الفاتحة.. ماذا يريد أن نراه بقلوبنا.

قال لنا إن الفاتحة فيها: «**كنز آداب الوقوف بين يدي الله**»؟ هذا الكنز اسمه الانشغال بالحبيب؛ فعندما أقف معك وأنت تحبني، وطوال جلستنا أنت تحدثني عن نفسك وعن أحلامك وطموحاتك، ولم تذكرني في الكلام؛ فإنني وإن جالستك فلن أحب هذه المجالسة، ولكنني لو جالستك ودار الحديث عني أنا، وتشكر لي، فإنني سأحب مجالستك، وكما قال المثل: «كلمني عن نفسك أسمعك، كلمني عني أحبك»؟ فمن آداب الوقوف بين يدي **الله** يجب أن تكون منشغلا به فقط - سبحانه وتعالى - دون غيره؛ فإننا نرى في الفاتحة - أي فاتحة القرآن وفاتحة الصلاة - أننا كلما تحدثنا إلى رب العزة أجاب علينا، فلا يمكن أن



نجد أدبا مثل هذا، والكنز هنا أن ينشغل الإنسان **بالله** - سبحانه - في حياته بدلاً من أن ينشغل بنفسه وطموحاته.

فربنا - سبحانه وتعالى - يعطي الإنسان أشياء أكثر مما كان يرجوها لنفسه. والآن هيا بنا نستعرض معا آيات الفاتحة:

(**بسم الله الرحمن الرّحيم** (1)) (الفاتحة: 1)، البسملة هنا آية من آيات سورة الفاتحة وليست ابتداء كبقية السور، - ما عدا سورة براءة. أنت تتوجه إلى ربنا – سبحانه وتعالى - ولك طلب عنده: هذا الطلب هو (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (1)) (الفاتحة. 6)، لكن، هل يصح التوجه هكذا دون استئذان؟ بالطبع لا، فكيف إذا يكون الاستئذان في حضرة **الله** سبحانه وتعالى؟ هل



تقول أنا فلان الخاشع جئت إليك فارحمني، أو تقول أنا الذي تصدقت عما قريب فاخلف علي كما وعدت، أو تقول أنا المخلص لك فيجب عليك قبولي وإكرامي؟ لا، ما هكذا أدب الاستئذان مع **الله**، فلا يصح أن تتكلم عن نفسك؛ فلو بحثت في إخلاصك الذي تدعي لوجدت نفسك تفكر في أمور كثيرة أثناء الصلاة، فالواجب عليك أن تقول: أنا العاصي جئتك أنت يا رحمن يا رحيم، أطمع في عفوك ورضاك عني، وأن ترحمني برحمتك، أما أن تقول أنا المؤمن الطائع فيجب أن ترضى عني، فهذا لا يليق في التحدث مع **الله** سبحانه وتعالى؛ فالكيس من دان نفسه. تحدث بأدب مع **الله** سبحانه وتعالى فقل له: جئتك متضرعا لأنك من تقبل من جاءك؛ جئتك لما سمعت عن كرمك وأنك لا ترد من وقف على بابك أبداً، فقصدت بابك يا



كريم، وأبدأ بالثناء عليك، (**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)**) [الفاتحة: 2، 13] إنك عندما تحمد **الله** عز وجل تكون قد مهدت لسؤالك بالثناء، والحمد، ولتعلم أن للحمد آيات كثيرة في الكتاب العزيز، منها: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّور**) [الأنعام: 1]، وقال سبحانه: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجًا**(1)) (الكهف: 1). كما أن أول كلمة قالها آدم عليه السلام عندما عطس بعد نفخ الروح: «الحمد **لله**»، بعد أن قالت الملائكة له: «أحمد ربك » فلما حمد قالت: «يرحمك **الله**»، فأول كلمة نطق بها الإنسان: الحمد، وأول ما سمع: الرحمة. فالحمد منذ القدم كائن **الله** عز وجل، وهو تسبيح الملائكة وسائر الكائنات، قال سبحانه وتعالى: (**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا**



يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) (الإسراء: 44) وأول ما يقال عند دخول الجنة: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**) (الأعراف: 43)، وكذلك: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَه**)[الزمر: 74]. بل إن الحمد آخر ما يقال من الكلام يوم القيامة، يقول عز وجل: (**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾**) [الزمر: 75]. ففي أول الخلق قال آدم: «**الحمد لله**» ، وفي يوم القيامة يقول الملائكة «**الحمد لله**». ومن عظم قدر الحمد قال رسول **الله** ﷺ: «.... **والحمد لله تملأ الميزان** ... ». كما قال: « **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم** » .



وبعْدُ، فهل تبدأ الآن في ذكر الطلب الذي جئت من أجله؟

لا، إنني لا أقدر على ذلك، لا أستطيع التوقف عن الكلام عن رب العزة والثناء عليه.. أنا الذي مني الإساءة ومن **الله** الإنعام والكمال، أنا الذي مني التقصير ومن الله العفو. إن **الله** عز وجل هو الوحيد القادر على الثناء على نفسه، فمهما يبالغ العبد في الحمد الله والثناء عليه فإنه لا يصل إلى الدرجة المطلوبة في الثناء على **الله**؛ فنحن يارب لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

ثم تنتقل بنا الفاتحة إلى الآية الرابعة (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** (4)) (الفاتحة:4) فأنت يا **الله** مالك كل شيء.. مالك الدنيا والآخرة.. مالك يوم القيامة.



مالك العالمين.. فأنا مؤمن بيوم القيامة يا رب. وأعلم أنك أنت مالكه..

الكنز المفقود عند أغلب الناس - هنا - أنهم يحبون **الله** سبحانه وتعالى ولكن لا يحسنون الحديث والتأدب معه. فيجب قبل رفع اليد بالدعاء والمسألة أن نثني على **الله** حق الثناء.. أن نشهد له بالوحدانية ونختصه بالعبودية.

نحن بحاجة إلى أن نتعرّف أدب التوجه إلى **الله**؛ أدب الولوج إلى الحضرة الإلهية. فالتوجه إلى **الله** له قانون وهو أنه يجب أن تكون مؤدبًا. فعندما تقول:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)) [الفاتحة: 1، 2] **يقول رب العزة: «حمدني عبدي»**.. وعندما تقول: **(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**



((3)) [الفاتحة3] **يقول رب العزة**. «**أثنى علي عبدي**».. وعندما تقول(**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ((4)) [الفاتحة: 4] **يقول رب العزة:** «**مجدني عبدي**»..

ثم ننتقل إلى الآية الخامسة (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ((5)) [الفاتحة: 5] أيها الإخوة، نحن لا نعبد إلا **الله**، ولن نستطيع عبادة الله إلا بمعاونة منه جل وعلا.. هو الذي يسمح لك أن تقترب منه.. وأن تسجد له.. هو سبحانه من يوفقك إلى ذلك ويشرح صدرك له، يقول عز وجل: (**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**) [الأنعام: 125].

فعندما يقول العبد: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** (٥)) [الفاتحة: 5]. يأتي الرد الإلهي: «**هذا بيني وبين عبدي**»



فالله سبحانه وتعالى من رحمته عندما يقول العبد: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** (5)﴾ [الفاتحة: 5] يقول عز من قائل: «**هذا بيني وبين عبدي**، فلا يفضح العبد رغم علمه – سبحانه - بتقصيره، لا يفضحه عند الملائكة: حتى لا تكرهه الملائكة لأنها تحب **الله** سبحانه وتعالى بصدق.. فالله سبحانه ستير لا يفضح العباد. وأخيرًا يأتي الطلب.. ولكن ما طلبي من **الله**؟

هل أطلب من الله شيئا يغضبه؟! هل أطلب مصلحة دنيوية شخصية؟!

لا. هناك شيء أسمى من ذلك.. هو هدية الفاتحة.. هو لب الأدب مع الله سبحانه وتعالى: أن تطلب منه ما أراده منك.



فالله - تبارك وتعالى – هو أكرم الأكرمين، لو طلبت منه شيئا دنيويا لك فسوف يجيبك، لكن المرتبة الأعلى من ذلك هو أن تطلب منه الهدى والثبات على الطاعة. أن تدعوه قائلاً: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** (1)) (الفاتحة: 6). أهدني يا رب إلى طريقك. إلى صراطك الموصل إلى الجنة؛ لذلك فإن رسول الله ﷺ كان يسأل ربه عز وجل أن يرزقه خير الآخرة. فيروى أن الناس كانوا ينتظرونه لكي يصلي بهم الفجر، لكنه تأخر عليهم، وعندما أتى سأله الناس: أين كنت يا رسول **الله**؟ فقال لهم ﷺ: «**كنت أصلي قيام الليل، ثم قال لهم فيه: كنت أصلي الفجر فنعست حتى استثقلت ونمت وأنا أصلي ثم أتاني ربي في أحسن صورة قال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: الله أعلم، فوضع الله يده على**



كتفي حتى أحسست ببرد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء، فقال: يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: يا رب يختصم الملأ الأعلى في الكفارات. قال: وما الكفارات؟ قلت: مشي الأقدام إلى صلاة الجماعة، وإسباغ الوضوء على المكاره، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. ثم قال عز من قائل: وفيم يا محمد؟ قلت: يا رب في إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام. قال رب العزة: يا محمد سل ما شئت ؟ فقلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون». فلم يسأله ﷺ الدنيا، ولكن الآخرة وصلاحها.



إذا فالمقام الأعلى أن تطلب من الله جل وعلا الشيء الذي يحبه؛ لذلك فإن بداية دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ﷺ في صلاة الوتر: « **اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت**». هيا نجعل نصف دعواتنا بالهداية والطاعة والنصف الآخر لأمور دنيوية. إذا فلندع: (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**) (الفاتحة:6،7)من هم الذين أنعمت عليهم ؟ الذين قال رب العزة فيهم: (**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۚ{٦٩}**) (النساء: 69).

لن أكون نبيًا لكن قد أكون صدّيقا أو شهيدًا أو من الصالحين.



ولنكمل دعاءنا: **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** (7)) [الفاتحة: 7]. من هم المغضوب عليهم ؟ الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه. يقول رب العزة: (**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ**) (فصلت: 17). من هم الضالون؟ الذين لا يعرفون الحق ولا يريدون أن يعرفوه.

نستعيذ **بالله** أن يجعلنا من المغضوب عليهم أو الضالين ونسأله أن يهدينا الصراط المستقيم وأن يجعلنا هداة مهديين.



الحديث الرابع عشر

أدب الرجوع



عن المعصية



أدب الرجوع عن المعصية

قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعًا وتسعين نفسًا، فقال: إني أريد أن أتوب. دلوني على أعلم أهل الأرض، فدلوه على راهب عابد، فقال له: إني قتلت تسعًا وتسعين نفسًا فهل لي من توبة؟ قال: لا، ليس لك توبة، اخرج» (وفي رواية: اخرج لعل اللعنة تنزل عليك فتصيبني معك) فقام فقتله فأكمل به



المائة، ثم قال إني أريد أن أتوب. دلوني على اعلم اهل الارض، فدلوه على راهب عالم. فقال له: إني قتلت مائة نفس فهل لي من توبة؟ قال: نعم. ولكن اخرج من قريتك فإن فيها قوم سوء واذهب إلى أرض صالحة قريبة منا، فإن فيها قومًا صالحين فاعبدِ اللّٰه معهم. فخرج الرجل وفي أثناء رحلته ناء بصدره فمات في الطريق، فجاءت ملائكة الرحمة قالت: يا رب، جاء إليك تائبًا فله الجنة، وجاءت ملائكة العذاب فقالت: يا رب، قتل مائة نفس فجزاؤه النار فأرسل اللّٰه ملكًا يحكم بينهم، فقال: لو كان أقرب إلى الأرض الصالحة فسيدخل الجنة وإن كان أقرب إلى السيئة فسيدخل النار، فأوحى اللّٰه إلى الأرض الصالحة أن اقتربي وللأرض الفاسدة أن تباعدي، فلما بدءوا يقيسون المسافة بين



القريتين وجدوه أقرب بشبر للأرض الصالحة فأخذته ملائكة الرحمة إلى الجنة».

هذا هو الكنز: كنز الرجوع والعودة إلى **الله** عز وجل.. فلو وجد هذا الكنز في قلب العصاة لنجاهم **الله** من كل الشرور وأدخلهم جنته بمَنِّه ورحمته.

■ من هم العصاة؟

كل ابن آدم خطَّاء، فالعصاة ليسوا فقط الذين يشربون الخمر أو يزنون أو يعملون المعاصي الكبيرة فقط، فكلنا عصاة وأحيانًا يكون الذنب الصغير سببًا في الطرد من رحمة **الله** وذلك إذا أصر الإنسان عليه، فالذنب في الظاهر صغير ولكن الشعور الموجود في القلب بان الذنب هين يجعله كبيرة من الكبائر، فالتوبة عن الذنوب لها أثر كبير على قلب المسلم.



فقد كان في بني إسرائيل ممن كان قبلنا قوم يُعرفون بأصحاب السبت وقصتهم في سورة (الأعراف) وهؤلاء القوم أمرهم **الله** ألا يعملوا بالصيد يوم السبت وقد كان ذلك شرعًا عندهم فكانت الحيتان تأتي يوم السبت ظاهرة لهم تلعب على شاطئ البحر ويوم الأحد والإثنين والثلاثاء تبقى داخل البحر - وهذا اختبار لهم من **الله**: لأنهم لم يحسنوا الظن به - فأرادوا أن يحتالوا لصيد هذه الحيتان بربطها وصيدها في غير يوم السبت وكان هذا الابتلاء بسبب ذنب ارتكبوه، قال **الله** تعالى: **(وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ)** [الأعراف: 163] تعدوا حدودهم يوم السبت **(إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)** [الاعراف: 163]، فهذا



الذنب الذي فعلوه أصبح عظيمًا بسبب شعورهم الموجود في القلب وإصرارهم على هذا الذنب.

وإذا قارنا هؤلاء بقاتل المائة نفس وجدنا فارقًا كبيرًا بين من يعصي ويعلم أنه مذنب ويشعر بالحزن، وبين من يفعل الذنب ولا يشعر به ولا يحزن، بل يصر عليه فيتحول الذنب إلى كبيرة. فأصحاب السبت يريدون أن يخدعوا **الله** سبحانه وتعالى أما القاتل فقد تاب وأناب.

فلما أصروا على مخالفة أمر **الله** بربط الحيتان بالحبال ليأخذوها في الأيام التالية غير يوم السبت وقالوا: لا شأن لأحد بما نفعل فهذا هو الصواب، عاقبهم **الله** بإصرارهم، قال تعالى: **(فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166))** [الأعراف: 166] فلما رأى **الله**



عتوهم وخداعهم مسخهم قردة، حيث فسر ابن عباس رضي **الله** عنهما ذلك بقوله: مُسِخوا حقيقة؛ أي صاروا قردة، فالذي قتل مائة نفس كان مقبولاً عند **الله** للشعور الموجود داخل قلبه بأنه مذنب، ولأنه أخذ يبحث عن التوبة. والذي أخذ الأسماك مخالفة لأمر **الله** واحتيالًا وسوء ظن بـ**الله** عوقب عقابًا شديدًا، وهذا راجع أيضًا إلى الشعور الموجود في قلبه بعدم الذنب وأن الذي يفعله هو الصواب.

فالاستغفار والعودة إلى **الله** سبب في نجاة العبد في الدنيا والآخرة، فإن سيدنا يونس عليه السلام لما ذهب مغاضبًا وألقي من السفينة وابتلعه الحوت استغفر وسبح وعاد إلى **الله** عز وجل فتداركه سبحانه وتعالى برحمة منه، وأنجاه.. فلنسارع بالعودة إلى **الله** عز وجل ولنعترف



بذنوبنا، وبأخطائنا في حق العباد؛ ففي ذلك صدق التوبة والنجاة من الهلاك.

■ أقنعني:

ومما يعوق عن الرجوع إلى **الله** ونبذ المعاصي أن يقول العاصي: «أقنعني» مع أن الحق ظاهر، فيكفي أن القرآن قال، أو أن النبي ﷺ حذر، لكن الهوى يجعله يطلب الإقناع، وهو على غير استعداد له، مع ان حال أهل الإيمان بـ**الله** ورسوله غير ذلك، يقول عز وجل: **﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** [النور: 51] ولعل هذا يحتاج إلى عزيمة صادقة قوية، فإن الإنسان يخرج بالعزيمة من الهلاك إلى النجاة، ومن المعصية إلى الطاعة، بل من الشرك إلى التوحيد والإيمان **بالله** عز وجل،



ألا ترى أن سيدنا سلمان الفارسي رضي **الله** عنه لما ترك عبادة النار وعزم على الوصول إلى الحقيقة الأبدية، وهي حقيقة التوحيد، هداه **الله** سبحانه وتعالى إليه، وانجاه من ظلمات الشرك، بل رفعه في الدنيا والآخرة، حتى جعله النبي ﷺ من آل البيت؟ فقال: «سلمان منا آل البيت»؟ فما ذاك إلا بعزيمته على الانصلاح والاهتداء ثم بطاعته المطلقة للنبي ﷺ.

■ حُسن الخاتمة:

بادر بالتوبة ولا تستعظم ذنوبك، فلعل **الله** سبحانه قد قسم لك حُسن الخاتمة؛ فهو القائل في الذين أنابوا إليه:

﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: 70]، ويقول عز من قائل: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا**



عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)

[الزمر: 53]. اللهم ارحمنا ويسِّر توبتنا وثبتنا على دينك وارزقنا حسن الظن بك، وسرعة الرجوع إليك.. وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الحديث
الخامس عشر

له الكبرياء



والعظمة



له الكبرياء والعظمة

قال ﷺ فيما رواه عن ربه أنه قال: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، من نازعني فيهما عذبته**[42] - وفي رواية: **من نازعني فيهما ألقيته في النار**»[43]. والرداء هو شيء يلبس أعلى الجسم، والإزار شيء يلبس أسفل الجسم، هذا عند البشر، لكن عندما يقول ربنا سبحانه وتعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري» نحن



نثبت أن ربنا له رداءٌ وإزار، لكن ماذا عن شكلهما؟ نقول: هما كما ينبغي **لله**، لا نعرف شكلهما؛ لأن ربنا سبحانه وتعالى قال لنا إنه ليس له شبيه، **﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ﴾** [الشورى: 11]؛ فقد علمنا علماء العقيدة أنه عندما يقول عز وجل: **﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾** [طه: 39] ليس معناه أن له عينًا مثل هذه العين، كبيرة مثلًا يرى بها الكون، بل يسمى ذلك عند العلماء تشبيهًا، ونحن لا نشبه ربنا فإنه لا شيء مثله ولا شبيه له، وكل ما خطر ببالك فـ**الله** بخلاف ذلك، كل شيء يخطر ببالك عن ربنا، أو أي شكل تتصوره فـ**الله** خلافه.

الكبرياء والعظمة صفتان من صفات الجلال، يقول ربنا: لا أريد أن ينازعني الكبرياء والعظمة أحد، أريد أن تروا بقلوبكم أن الكبير والوحيد في



الدنيا والآخرة هو **الله**. والعظيم في الدنيا والأخرة هو **الله**.

نحن نعظم الناس في الدنيا، فالنبي ﷺ كان يقول: «**من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم**»[44]، لكن عظمة أي مخلوق مستمدة من عظمة الملك عز وجل.

يعز من يشاء سبحانه ويعظمه عند الخلائق، لكن العظمة الأصلية والكبرياء له تبارك وتعالى، لا يوجد أحد عظيم بنفسه، ولا أحد كبير بنفسه، ولا أحد كبير بإمكانياته، بل كل ما لدينا منه عز وجل، فلو أننا عند ملك من ملوك الدنيا فأجلس أحدنا على كرسي من ذهب، والآخر على كرسي من خشب، فليس للأول أن يفخر ولا للآخر أن يسخط، لأن الكرسيين جميعًا للمَلِك، لا شيء لأحد؟ منهما



وكذا الحال مع **الله** عز وجل، وله المثل الأعلى سبحانه يقول في كتابه: **(تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ)** [آل عمران: 26].

انت عبد؛ الاصل في علاقتنا بـ**الله** عز وجل هو العبودية له سبحانه، وبالتالي فلا ينبغي لاحد من البشر مهما كان ان ينازعه شيئًا من ألوهيته، مهما كبر أو عظم، حتى لو كان نبيًا مرسلًا، فإن **الله** سبحانه أخبرنا أن محمدًا ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين ما هو إلا عبد، يقول سبحانه: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا)** [الكهف: 1] فوصف ربنا النبي ﷺ بأجمل وصف وهو العبودية لله: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ)** [الإسراء: 1] فالنبي



ارتفع عند ربنا لقمة عبوديته، والأصل في العبد ألا يرى عظيمًا ولا كبيرًا إلا **الله**، ولو أن أحدًا منا في يوم من الأيام رأى نفسه كبيرًا أو رأى نفسه عظيمًا فإن **الله** يطرده ويحرمه من القرب منه، من جواره في الجنة؛ لأن الكبر كارثة، وأصل الكبر هو رؤية النفس.

قال العلماء إن ربنا له صفات جمال وصفات كمال، وصفات الجمال هذه يحب **الله** لنا أن نتخلق بها، فالرحيم صفة جمال؛ لأنه يحب الرحماء، هو رحيم كما يليق به سبحانه، ونحن رحماء على قدر يناسبنا، وهو كريم بما يليق به سبحانه، وأيضًا هناك أناس كرماء على قدر ما يناسبهم وعلى تفاوتهم في صفة الكرم، وربنا وله المثل الأعلى على قدره سبحانه وتعالى عفو كريم يحب الذين



يعفون ويسامحون، هو ودود ويحب الذين يتوادون، هو رءوف ويحب الذين يرأفون.

كان النبي ﷺ بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا: فالبشر على قدرهم و**الله** سبحانه وتعالى على قدره. ولكن هذه صفات الجمال.

أما صفات الجلال. كالعظمة والكبرياء، والقهر والعزة، فـ**الله** سبحانه وتعالى لا يحب أن يتخلق أحد بها، ف**الله** لا يحب المتكبرين ولا يحب الذين يجعلون لأنفسهم عزة على الناس فيتكبرون عليهم.

نحن نستمد عزتنا من **الله** عز وجل، ليست عزة بالملك، فمن لديه سيارة جميلة لا تجعله متعاليًا على الناس؛ لأن ربنا لا يحب العبد الذي يقهر الناس. لكنه يحب المؤمن هينًا لينًا سهلًا، فكل



صفة من صفات الجلال والعظمة إذا تخلق العبد بها طرده ربنا وحرمه من الدخول بين يديه ومن الشعور بالقرب منه، فيعيش في الدنيا ذليلًا لمعصيته، أو ذليلًا لنفسه، أو ذليلًا للكبر الذي بداخله، فلو أن أحدًا لم يدْعُه بلقب تعظيم أسخطه ذلك، فكأنما يقول سبحانه: ألا يعرفون من أكون؟!

لأن الإنسان - كما تعرفون يا إخواني - عنده شهوة حب الشعور بالأهمية، حب الشعور بالذات، فهذه أهم عنده من الأكل والشرب، أي من الممكن أن يجالس الإنسان أناسًا يحترمونه ويجلونه، بل يفضل هؤلاء على مجالسة من يمدونه بالطعام والشراب. نحن هكذا، لو أنني أعطيتك «ساندويتش» وأنت جائع جدًا وقلت لك: تفضل ولا اراك ثانية هل هذا أفضل أم أن اقول لك: خذ هذه اللقمة الصغيرة ومعذرة ليس عندي غيرها



وربنا يكرمك ويبقيك لنا، فنحن نحبك؟ شعور بالأهمية وهكذا يكون الشعور بالشكر.

إن هذا الوصف عند كثير من الناس، وهذا ما يجعلهم يتكبرون ليحققوا الشعور بالأهمية بين الآخرين، وقد تكلم العلماء عن هذه الصفة فقالوا: هو الكبير الذي يرى كل شيء بالنسبة له صغيّرا.

سبحانه وتعالى يرى كل شيء بالنسبة له صغيرًا وينظر للناس نظر الملوك للعبيد، **الله** فقط وليس غيره، يقول عز وجل: (**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ** وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ(40)) [مريم: 40] إنه مسيطر على خلقه سبحانه وتعالى، يفعل ما يريد، ألا ترى أنه ينجي عباده الصالحين من شر أطغى الطغاة وفى أقسى الأحوال، فأنجى نوحا عليه السلام ومن آمن معه من الطوفان، ومن المكذبين، وأنجى



إبراهيم عليه السلام من النار التي أشعلها قومه وألقوه فيها، وأنجى موسى عليه السلام من فرعون، وأنجى عيسى عليه السلام من القتل ورفعه إليه، وفي مقابل ذلك يهلك الطاغين من مثل عاد وثمود وقوم فرعون وقوم لوط وغيرهم ممن كذب وطغى، إنها قدرته سبحانه فهو العظيم، فإذا ادركت ذلك عنه عز وجل فهمت معنى قوله سبحانه: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري**»، وقوله في كتابه العزيز (وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [الجاثية: 37]، وإنك إذا نظرت في تفاصيل وقائع النجاة والهلاك التي اشرنا إليها منذ قليل وجدت عجبًا، فالنار التي تحرق تتوقف خاصية الإحراق فيها، بكلمة من **الله** عز وجل: **(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ)** [الأنبياء: 69] إنه كلام إله قادر مسيطر، فالنار



تتحول إلى بردٍ لطيف غير مؤذٍ، وليس ذلك على الإطلاق، بل لا يشعر به إلا إبراهيم عليه السلام، سبحان الملك الفعَّال لما يريد. وكذلك إهلاك قوم نوح، وكيف أن الطوفان اكتسح كل ما في طريقه ثم يكف عن فعله وتدميره لأن **الله** العظيم الملك القدير شاء شيئًا، فقد آن الأوان لترسو السفينة وينجو المؤمنون، فتصدر الأوامر إلى السماء والأرض، لتسوية الموقف بسرعة، لمجرد كلمات من الخالق عز وجل: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** [هود: 44] فالسماوات والارض والشمس والقمر كل ذلك بيده، يدبر امرها بقدرته وحكمته، يقول سبحانه: **(لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ**



يَسْبَحُونَ) [يس: 40] إنها عظمة رب العالمين الملك ذي الكبرياء سبحانه وتعالى فلتدرك ذلك أيها الأخ الكريم، حتى تستطيع رؤية **الله** بقلبك بدلًا من أن ترى نفسك، وأحوالك والمخلوقات، فلتنشغل به وحده، فالمُلك ملكه، والأمر أمره، يقول سبحانه وتعالى: **(إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ** وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ(40)) [مريم: 40] فلن يبقى أحد ولن يبقى شيء، إلا وإلى **الله** يرجع، يقول سبحانه: **(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)** [الأعراف: 54] فكيف ننصرف عنه إلى من سواها؟ بل كيف ينازعه أحد كبرياءه وعظمته؟! إنه إذًا هالك لا محالة، فالكبرياء رداء **الله** عز وجل والعظمة إزاره، لا ينبغيان لأحد من خلقه.

■ أمراض القلوب أشد من الذنوب:



قال ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين» ما معناه: «إن أمراض القلوب أشد من معاصي الجوارح، وذلك لأن أمراض القلوب (كالعُجب والرياء والنفاق والكِبر) تحول دون الرؤية القلبية لله سبحانه وتعالى، وأخطر هذه الامراض الكِبر، فهو يحجب العبد عن ربه عز وجل».

وقد نبه النبيُّ ﷺ إلى خطورته، يقول ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر»**[45]، مع أن الزاني السارق يدخل الجنة رغم ارتكابه الكبائر، إن هو تاب إلى **الله** عز وجل، ففي الحديث الشريف أن أبا ذر رضي **الله** عنه قال: **«أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته، وقد استيقظ فقال: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زَنَى وإن سرق، قال: وإن زنى وان سرق؟**



قلت: وإن زنى وان سرق؟ قال: وان زنى وإن سرق؟ قلت: وإن زنى وان سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر»[46].

فذرة الكبر أسوأ من الزنى والسرقة، لأن الكِبر مرض بالقلب، أما الزنى والسرقة فهما من معاصي الجوارح. كما أن خطورة الكِبر تكمن في أنه لا يأتي إلا عند نسيان مقام الكبير العظيم سبحانه.

إنك إذا نظرت إلى مخلوقات **اللّٰه** وجدت منها ما هو أضخم وأكبر منك، لكنها تطيع **اللّٰه** سبحانه وتعالى، فالشمس مثلاً لا نستطيع النظر إليها، لكنها تشرق وتغرب بأمر **اللّٰه** سبحانه، لا تتخلف يومًا إلا أن يشاء ربنا شيئًا، فهي تدرك أنها مخلوقة، وكل مخلوق يحتاج إلى الخالق عز وجل، يقول ابن عطاء **اللّٰه**: «إن فاقتك ذاتية، والفاقة الذاتية لا



ترفعها العوارض» أي أن الإنسان مخلوق مسكين ناقص يعتمد على المولى عز وجل في كل شيء، بل لا يعرف عن نفسه وما حوله إلا ما شاء ربه سبحانه، وهذا ما أدركته الملائكة عندما اعترفت أنها لا تعلم شيئا إلا أن يعلمها **الله** سبحانه، يقول في كتابه الكريم: **(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32))** [البقرة:31،32].

فالفاقة من فقر وجهل وضعف ذاتية في الإنسان، لا يصرفها عنه إلا **الله** عز وجل، فكيف يتكبر عليه؟!

■ **قتل الإنسان ما أكفره:**



إن الإنسان الكافر يرى نعم ربه عز وجل ثم لا يشكره، بل يكفره، وهو المعني بلفظ «الإنسان» في قوله تعالى: **(قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17))** [عبس: 17] وما ذلك إلا لأنه قد عمي قلبه عن قدر ربه عز وجل، تكبر أن يكون عبدًا مع أنه كان نطفة من ماء مهين، ثم خلقه **الله** فقدر شكله ورزقه وحياته وموته، يقول عزو جل: **(مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (22))** [عبس: 18-22] فهذا تلخيص لحياة الإنسان منذ خلقه حتى يوم القيامة، عندما يقول تعالى: **(لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ)** [غافر: 16] فلا أحد يجيب فيقول تعالى: **(لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)** [غافر: 16] لقد أصبح هذا المتكبر ترابًا، حتى يبعثه **الله**



من جديد، فسيعرف حينها أن الملك هو **الله**، بل هو مَلِك الملوك، قال رسول **الله** ﷺ: « **يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا المَلك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا المَلك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»[47] لقد فنوا جميعا وهلكوا وبقي ربهم وملكهم المتكبر ذو العظمة والجلال.

لذلك كان النبي ﷺ يلجأ إلى **الله** تعالى ويستجير به، يقول: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث. أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**» [48]، فهو يلجأ إلى ربه حتى ييسر له طريق الجنة لأنه يدرك أنه عبد، ولا قبل له بأمور الدنيا وصوارفها إلا أن يهديه **الله** عز وجل.



حقيقة التواضع:

وأخيرًا أحذرك من التواضع الزائف، وهو أن يرى الإنسان نفسه متواضعًا، فهو يسلم على البواب أو العامل مثلًا، وهذا معناه أنه يرى نفسه خيرًا ممن تواضع له، وهذا طريق يؤدي إلى الكِبر - والعياذ بـ**الله** سبحانه - فربما كان هذا الذي تواضعت له وظننت أنك أعلى منه - خيرًا منك عند **الله** عز وجل، فلتركن إلى التواضع الحقيقي، ولتتذكر أنك خُلقت من تراب، وأن الناس سواء أمام **الله** عز وجل إلا بالعمل الصالح، فإياك أن تتفاخر فتكون من أهل النار؛ إذ يروى أن اثنين من زمن سيدنا موسى عليه السلام تفاخرا حتى ذكر أحدهما تسعة جدود له، تكبرًا على الآخر فأوحى **الله** عز وجل إلى سيدنا موسى أن قل له: «لقد افتخرت



بتسعة من أهل النار وأنت عاشرهم» أي عَلَام التكبر والتفاخر؟!

إن الأهل والمال والجاه كل ذلك من عند **الله**، ليس لنا شيء فيما لدينا، بل نحن مستخلفون فيه، فلا يكن مدعاة لازدراء عباد **الله** عز وجل، فلرب فقير محتاج يشفع لك عند **الله** سبحانه وتعالى، كما يقول ﷺ: «رُبَّ **أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**»[49]، فما يدريك لعل **الله** يقبلك بشفاعة أخيك الذي خفضت له جناحك وتواضعت له، عملاً بقوله تعالى: **(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ(88))** [الحجر: 88] واستحضارًا لمعنى أنك العبد وهو **الله** رب العالمين، أنت الصغير وهو الكبير، ذو الجلال والعظمة، حتى تراه بقلبك فتعرف قدره، اللهم لا



تحرمنا رؤيتك في الدنيا ولا في الآخرة، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد.

---

[42] المستدرك على الصحيحين رقم (190) بلفظ: «فمن نازعني ردائي قصمته».

[43]سنن أبي داود باب (ما جاء في الكبر) رقم (3567)، سنن ابن ماجه باب (البراءة في الكبر) رقم (4164).

[44] صحيح البخاري باب (قل يا أهل الكتاب) رقم (4188)، صحيح مسلم باب كتاب النبي ﷺ رقم (3322).

[45] صحيح مسلم، باب (تحريم الكبر وبيانه) رقم (131)، وسنن

الترمذي باب (ما جاء في الكبر) رقم (1922).

[46] صحيح البخاري، باب (الثياب البيض) رقم (5379)، صحيح مسلم، باب (من مات لا يشرك بالله) رقم (138).

[47] صحيح مسلم، رقم (4995).

[48] المستدرك على الصحيحين رقم (1958)، المعجم الأوسط للطبراني رقم (3701)، شعب الإيمان للبيهقي رقم (779).

[49] صحيح مسلم باب (النار يدخلها الجبارون) رقم (5094)،



المعجم الأوسط للطبراني رقم (873)، شُعب الايمان للبيهقي رقم (10094).



الحديث السادس عشر

رؤية الله



الودود



رؤية الله الودود

قال ﷺ، والحديث في الصحيحين، من حديث أبي هريرة: «**لا ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، ينادي على عباده: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟**» **[50]** أي هل من طالب لأي شيء في الدنيا فأعطيه له؟ (وذلك في كل ليلة). لماذا ينزل **الله**؟ نزولا يليق بعظمة ربنا، نزولا



يليق بمقام ربنا، نزولا يليق بملك ربنا سبحانه وتعالى؟ لماذا ينزل ولا يكلفنا شيئا، بل هو الذي يأتي؟!

بداية أضرب لك مثلًا: هب أن أحد الذين لديهم شركة ضخمة، تقدم إليه مائة شخص، فاختارك أنت وأخبرك أن لديه عملًا كثيرًا وأن أولئك المتقدمين جميعا لهم نفس مؤهلاتك، لكنني اخترتك أنت، ولحكمة فضلتك عليهم واصطفيتك من دونهم، فتعال لتعمل عندي. واشتغلت عنده.. وجاء إليك أول يومٍ فوجدك نائمًا، في وقت العمل وفي اليوم الثاني وجدك تتكلم في أمر غير الذي استوظفك من أجله، وفي اليوم الثالث جاءك فوجدك متضجرًا، ولا تريد أن تحضر للعمل، وفي رابع يوم جاءك فوجدك متأخرًا عن الموعد الذي حدده لك، وفي اليوم الخامس جاءك فوجدك



تحرض الناس على إيذائه، وترتكب أشياء تغضبه.. وهكذا كل يوم، وذات يومٍ أرسل إليك شخصًا عزيزًا لديه. ابنه مثلا، فأخبرته أنك منشغل، ولا وقت لديك.. أريدك أن تتخيل لو أنك مكانه، فماذا كنت فاعلاً؟

أريد أن تتخيله وقد دخل عليك يسألك - مع إسخاطك إياه - أتريد شيئًا؟ أتناولت شرابًا أم لا؟ لقد أسخطتني، فهل تود أن تعتذر؟ إنني واقف معك فهل تودُّ لو اعتذرت؟ سل ما شئت. وهو مبقٍ عليكَ في ملكه وقد استوظفك، وهو الذي يسألك كل يوم، ولا يستبعد أن يرفع سماعة التليفون ويطلبك للوقوف بين يديه، فيسألك: هل من حاجة، فأقضيها لك؟ هو الذي يأتيك حيث تكون.. ولله المثل الأعلى، وفي رواية أخرى: «**ينزل ربنا كل يوم في الثلث الأخير من الليل، ينادي على**



عباده من يقول إنه يريد لأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني: فأغفر له؟ من يتوب إلي. فأتوب عليه؟».

مع أن هذا الموظف لو طرد سيجوع، ومع أنه يعلم أنه ليس له إلا صاحب العمل، فلماذا يصدر عنه ذلك؟ ورغم ذلك لا تزال علاقته بصاحب العمل قائمة.. من أهم المعلومات التي يجب على كل بني آدم علمها، خاصة أمة النبي ﷺ، أن علاقتنا بربنا مستمرة، إذ إن ربنا ودودٌ معنا.. علاقتنا قائمة على عطاء ربنا، رغم أننا نستحق الطرَد كل يوم.

وكلنا نذكر المدرس في الزمن الجميل، كان عندما يدخل الفصل لا يضرب أحدًا ولا يمسك عصا ولا خيزرانة في يده، وعندما يجد تلاميذه



غير مجتهدين أو مطيعي أمره في عمل الواجب المنزلي لم يكن يعاقب، بل كان يمهلهم إلى الغد، وماذا كنا نصنع معه؟ من جانبنا لم نكن نصدر صوتًا، لم نكن نتعبه.

(مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) [الانفطار: 6] هل غررت لأنه كريم أم من أجل أنه **(خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)** [الانفطار 17] أم من أجل أنه حليم عليك، وهذا تفسير اسم **الله** الكريم، فأهل العلم يقولون الكريم: هو من يصبر على تجاوزات الناس.

إنك إن ذهبت مرة للصلاة ووقفت خلف الإمام وقرأ بـ**(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)** [الإخلاص: 1] وفرحت لقصر الآيات: فمعنى ذلك أنك لا تحب الوقوف امامه سبحانه، لا تحب مناجاته، ومع ذلك يوفقك للصلاة، ييسرها لك، وما ذلك إلا لأنه كريم.



هل ذهبت للصلاة في مرة أخرى ووجدت الإمام يقرأ (الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ...) [البقرة 1، 2] وبدأ التلاوة من سورة البقرة فشعرت بالضيق من ذلك الإمام هل تفرح إذا كبر بعد أن أنهى خمس آيات؟ إن كنت كذلك فاعلم أنك لا تحب لقاء **الله** ومع كل هذا فإنه يسامحك، يعفو عنك، يوفقك، ييسر لك، يقربك.. ويدعنا نأكل في ملكه، ونعيش في كنفه، إذن هو سبحانه يحافظ لنا على علاقتنا به.

وهنا نذكر قصة أو مثلًا وهو أن رجلا غنيًا ذات يوم وجد طفلا رضيعًا مُلقى في القمامة فرقَّ لحاله، وأخذه ونظفه ورباه مع أولاده العشر، ورغم أنه لم يكن محتاجًا الولد لكثرة أبنائه فقد أصر على أن يربيه بين أولاده، لم يبخل عليه فأطعمه



مثلما أطعم أولاده وألبسه مما يلبس أولاده، وعاش بينهم عزيزًا مكرما حتى كبر الولد فأدخله جامعة خاصة وأنفق عليه حتى تخرّج، فعَينه في مصنع له يملكه وفي مركز مرموق، وفي يوم من الأيام كانت هناك مناسبة سعيدة وهي عيد ميلاد الولد، فأراد الرجل أن يهديه هدية، فقام ليحضر الهدية من أرقى مكان وفي أثناء خروجه من البيت وجد الولد الكبير راكبًا سيارته وقد أعجبه منظره فقال له: هيا ياولدي تعال معي ووصلني إلى المكان الفلاني. والولد لا يدري أن الوالد سيذهب لشراء هدية له، وكانت المفاجأة أن الولد رفض، قائلا: «أنا مش فاضي.. عندي كذا.. رايح أعمل كذا..» فبكى الرجل وتذكر السيناريو القديم الذي بدأ يدور في ذهنه يوم أن وجده بين القمامة، يوم أخذه ونظفه، أيام علّمه ورباه وكبره، ماذا يقول له،



هل يقول له إنه كان سيذهب لشراء هدية له، إنه كان يذهب من أجله، إنه أتعب نفسه لإرضائه.

ولله المثل الأعلى، فالله عز وجل عندما يأمرنا بشيء فهو من أجلنا نحن، لا من أجله هو، فهو الغني عن عباده، **(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** [النحل: 78].

ولي موقف أسوقه إليكم، فعندما أُنجبَت ابنتي، وكنت لحظة الإنجاب موجودًا، وجدت بعض الدم على وجهها وبعض الأشياء التي تكون في الرحم، أخذوها ونظفوها وأحضروها لي لكي أراها، وأخذت أتخيل هل هذه الطفلة الصغيرة التي لا حول لها ولا قوة، هل من الممكن أن تكبر في يوم



من الأيام وتقول لربنا: «لا » لن أصنع كذا، لن أفعله إلا عندما أقتنع، وتذكرت نفسي عندما كنت في سنها، قد كنت على هذه الهيئة وأنا خارج من بطن أمي، أما الآن فهذه هي صحتي، هذه هي ملابسي، هذا هو شكلي، هؤلاء هم أصحابي، وهذه أموالي، ما هذا الود يا ربي، ما هذا الكرم يا **الله**، ما هذا العفو والصفح، وأنا أنساك كثيرا ياربي، وأضيق كثيرًا عندما تطول بي العبادة، وهذا يكون مني بصفة مستمرة؟! أنا عندي 30 سنة أي عندي حوالي 10,000 يوم وما زلت أسيء إليك وأنت تسترني، وأنت تعفو، وأنا أقصِّر.

هل تعلم ماذا يعني نزول ربنا سبحانه وتعالى في كل ليلة في الثلث الأخير من الليل، وذلك كل ليلة؟ انظر كم عمرك، لو عمرك 50 سنة، احسبها أنت، كم ينزل **الله** إنه سبحانه يتودد إليك في كل



لحظة فهل رأيت تودده؟ هل قابلته بتودد منك؟ بطاعة؟ بعودة إليه عز وجل؟ إنه يريد أن يعطيك، فأعط عباده ولا تبخل عليهم بمال **الله** الذي هو عطية منه سبحانه، إن المال عبد **الله** عز وجل كذلك السائل، كما أنك عبد، فيا أيها العبد أطع الرب العلي العظيم في عبديه اللذين أتياك، المال والمحتاج، فأعط المال إلى المحتاج واسأل ربك وربهما ان يخلف عليك، واشكر أن عافاك فلم تكن محتاجًا أو مريضًا أو في محنة تضطرك إلى السؤال، ما أجمل أن ترى مودة **الله** سبحانه في كل امورك، فانت إذا مرضت مثلا رزقك بمن حولك يتحركون من اجلك الأطباء والممرضين، والممرضات، كل هذا من اجلك، ومستشفيات تبنى من أجلك، ويرزقك **الله** الشفاء و يكفر عنك سيئاتك، ويرفع لك الدرجات، ويطهرك كما في



الحديث: «**ابدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه**»، ولو عدنا إلى ربنا لكان خيرًا لنا، فهو الذي يعلم متى يكون الموت خيرًا لنا، ومتى تكون الحياة خيرًا لنا، الآن نشعر أنه ودود في كل شيء.

حتى الشيطان، فإن **الله** عز وجل له حكمة عظيمة في وجوده، إن الشيطان عندما يوسوس لك، ترى **الله** سبحانه وتعالى فتلجأ إليه وتستعيذه منه، وتتوسل إليه أن يقيك شره وأن يصرفه عنك، ما أجمل أن ترى الودود في وجود الشيطان، **﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾** [الذاريات: 150] وحتى لا تركن إلى الدنيا، فالله سبحانه وتعالى جعل فيها بعض المكدرات من مرض وفقر وحزن، ولكن المؤمن يجعل تعلقه بالله عز وجل.



والحسن البصري عندما كان يشرب الماء كان يقول: الحمد **لله** الذي جعله عذبًا فراتًا برحمته ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا. فربنا سبحانه وتعالى يطلب حبك، «يريد قلبك»، لماذا؟

سبحانه وتعالى جلَّ في عُلاه يقول: «**من ذَكَرَني في نفسه ذكرته في نفسي**»[51]. ولذلك عندما تنساه سبحانه فإنه ينزل إلى السماء الدنيا ينادينا، ونحن أولى أن نناديه، وهو معنا أينما كنا برحمته: عبدي أذكرك وأنت تنساني، وأسترك ولا تخشاني وأستحي منك ولا تستحي مني، كم لجأت إلى فكفيتك ما تريد، وكم دعوتني فأعطيتك فوق المزيد، أبخيل أنا فيبخل عليَّ عبدي؟ فينبغي أن نعبد **الله** كأننا نراه، فإن لم نكن نراه فإنه يرانا، فلا ننشغل بالدنيا الفانية، بالحجارة والخشب، ونترك الآخرة، ونغفل عن ذكر **الله**



سبحانه وتعالى، إن الدنيا ليست جميلة حتى نركن إليها ونميل، وننسي ملك الملوك سبحانه وتعالى، هذه وصية، وصية مع **الله** ووصية مع الناس: أتكون عبدًا خلوقًا مع الناس ومع **الله** «لا»؟ وربنا سبحانه وتعالى جل في علاه يتودد إليك وأنت لا تتودد إليه؟! لو أن **الله** سبحانه وتعالى نادى عليك وقال: عبدي لا ينفع أن تقول له سوف ألبي فيما بعد يارب.

لو أنك صاحب شركة وناديت على أحد من الموظفين فستجده يستعد لتلبية ندائك متحسسا رابطة العنق «الكرافتة» هل هي مربوطة أم مفكوكة ويهيئ نفسه بارتداء «الجاكيت» لو كان مخلوعًا ويلمع حذاءه وينظر في المرآة قبل أن يتوجه إليك؛ لكي يظهر أمامك كرئيس له في أحسن صورة.



لكنك حين يقول الداعي حي على الفلاح لا تلبي بنفس القدر من الاهتمام الذي لقيته من موظفك أو الذي كنت ستبديه لو كنت موظفا! قال ﷺ ما معناه: «**ضحك ربنا لعبد كان في رفقة مع بعض أصحابه، فنصبوا الخيام وكانوا مجهدين بسبب السفر، وفعلوا ذلك لكي يناموا بعد التعب. فقام هذا العبد يتقرب إلى الله بركعتين طمعًا في حب الله. فربنا يضحك لهذا العبد بسبب أنه طلب الود مع الله. فتصور يا أخي كيف يكون إقبال الله على هذا العبد! وينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا - كما جاء في الحديث الشريف - فيقول: «هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»**[52]

فكن يا أخي من أهل الليل الصالحين، واجتمع بحبيبك سبحانه وتعالى، وكن مع **الله** في مناجاته



يكن معك. ولا تستحي أن تطلب من **الله** طلبًا مهما صغر شأنه في نظرك، فالله يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

وقديمًا قالوا: فيا بائعا سعادته العظمى والنعيم المقيم، ويا مستبدلا جنة ربه بالعذاب الأليم، إنما هي لذة فانية وشهوة منقضية تذهب لذتها ويبقى بعدها الحساب الأليم، في وقفة يتحسر فيها كل من كان عاصيًا، ويتوب **الله** على من تاب، إنه التواب الرحيم.

فهيا نتبادل الود مع **الله** فالودود يحب كل من عنده ود، قال ﷺ: «**ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «كل ودود ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى**» [53].



فعليكِ أيتها الأخت الكريمة بالود مع زوجك ليتودد إليك.

وكذلك أقول للرجل: كن حنونا مثلما كان النبي ﷺ يتودد إلى زوجاته، وأيضًا إلى أصحابه.

نسأل **الله** الودود أن نراه بقلوبنا في الدنيا ونشهده يوم القيامة في الجنة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وصلى **الله** وبارك على إمام المحبين والحمد **الله** رب العالمين.

---

[50] صحيح مسلم باب (الترغيب في الدعاء) رقم (1263)، ومسند أحمد (مسند أبي هريرة) رقم (8616).



[51]مسند أحمد (مسند أبي هريرة) رقم (8296)

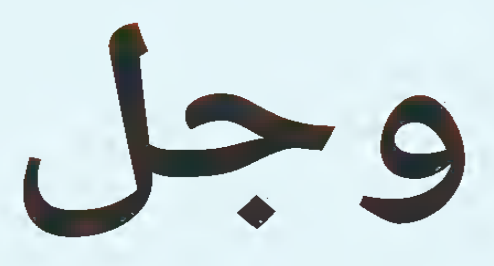
[52]تقدم تخريجه.

[53]المعجم الأوسط للطبراني (باب من اسمه أحمد) رقم (1810).



الحديث السابع عشر

الستر منه عزّ





الستر منه عز وجل

إن الستر من أعظم نعم **الله** عز وجل على عباده، فمنهم من يعصي ثم يعود إليه من قريب، فيكون الستر من أقوى المحفزات على الرجوع، لأنه لم يزل حسن الصورة بين الناس، بسبب ستر **الله** سبحانه وتعالى، فتجده يبكي ويغسل قلبه بدمع عينيه، فإن البكاء يطهر قلوب العباد فيعيشون مع الخالق، وهناك اناس آخرون يعيشون



مع المخلوقات في سجن المعصية، وهناك من يعيش مع الكنز المفقود في مقام العبودية ويعرف قدر نعم **الله** عليه.

من الناس من يشترطون على **الله** سبحانه وتعالى: لو أنا أطعتك لا بد أن توفقني وتكرمني. أنت من أمة النبي عليه الصلاة والسلام، قدر **الله** عز وجل أن تكون منها، فتلك نعمة تستحق الشكر، لأن أمة النبي مرحومة حيث يشفع النبي فيها، ويخرج من النار عصاة هذه الأمة. يشفع فيهم ﷺ ويقول: «**يارب أمتي، فيقول سبحانه: يا محمد إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**» [54]. فاحمد **الله** أن كتبك من أمة النبي ﷺ.

فعندما نطيع **الله** فلا يجوز أن نشترط عليه شيئًا، فنحن نعيش في كنفه، مع اننا نبارزه



بالمعاصي. إن المخلوقات تتعجب من معصيتنا لله، وهو يغفر لنا، فالسماء تقول: يارب ائذن لي ان الطبق على ابن آدم، والبحار بما على شطآنها من معاص تريد أن تغرق ابن آدم، ذلك العاصي ربه، والله ربنا يقول: لو خلقتموهم لرحمتموهم، لعلهم يتوبون في يوم من الأيام: فحينما تطيع ربك فلا تنتظر مقابل عبادتك، فإن نعم **الله** عليك لا تحصى. كما قال رب العالمين:

(**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ** حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ) [الحج: 11]. إن **الله** تعالى هو الذي وفقنا إلى طاعته، فالإنسان بطبعه كسول عجول. قال تعالى: (**وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا**) [الإسراء: 11].

فالله - سبحانه وتعالى - هو الذي وفقك لكي تقف بين يديه تصلي، فكل صفة إيجابية من صفات البشر مستمدة من صفات ربنا، قال ﷺ في



صحيح البخاري: «**إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمةٍ فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكُل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار**»[55]. كل الرحمة التي في الأرض جزء من رحمة ربنا - عز وجل -

إن **الله** سبحانه وتعالى عندما يأمرنا بأمور يجب ان نقوم بها على أكمل وجه، فالصلاة مثلًا عبادة قلب، وعبادة جوارح؛ فعندما يخشع القلب تخشع الجوارح. فالصلاة تعلم القلب والجوارح الخشوع والسكينة والاطمئنان. ولكننا نخرج بالصلاة عن الهدف المنشود منها فنؤخرها عن وقتها ونؤديها بلا خشوع أو سكينة، فنخرج منها كما دخلنا فيها، فلا نحسن الركوع ولا السجود، فنحن نصلي فقط



قضاءً للغرض، لا نشعر بحلاوة الإيمان في صدورنا حينما نصلي، ولكن **الله** يجبر كسرنا ويغفر تقصيرنا.

واعلم أن **الله** - سبحانه وتعالى - لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فهو أمرنا بالصلاة وخففها علينا وجعلها في استطاعتنا بخلاف الأمم السابقة، ومع ذلك فنحن نؤخرها عن وقتها ولا نؤديها كما ينبغي.

قال ابن عطاء **الله**: لولا جميل ستره لم يكن عملٌ أهلًا للقبول. فإن صلاتنا مهما تكن ناقصة بالنظر إلى جلال **الله** وقدره، فهي مهما تكن لا تليق بعظمة **الله**؛ ولذا فإن النبي ﷺ علمنا الاستغفار بعد الصلاة: لأنها لو كانت كاملة الخشوع فهي لا تليق بالله؛ وهذا أيضًا لا فضل لك فيه، فإن **الله** هو الذي ييسر لك أداء هذه العبادة. وكان من



الممكن ألا ييسر ذلك، قال تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾** [البقرة: 220] ولكن **الله** رءوف رحيم سبحانه وتعالى، ومع ذلك فإننا في الصلاة ينصرف تفكيرنا إلى غير **الله** سبحانه، نقول: «سبحان ربي الأعلى» ونفكر في غيره سبحانه وتعالى. فلولا جميل ستره لم يكن عمل أهلًا للقبول.

إننا نجد شخصًا يصلي في المسجد وعندما يخرج يجد سيارته قد أصابها سوء فإذا به يسخط ويقول: أنا أصلي وأعبد **الله** وأجد سيارتي هكذا، وغيري مقيم على المعاصي ولا يحدث له شيء، هل هذا هو جزائي؟!

يا أخي لا تسخط واحمد **الله** أن وفقك إلى الطاعة ووفقك أنت بالذات. إنك حينما تقابل شخصا ملكًا أو غيره فإنك تستعد أتمَّ استعداد



وتحاول أن تكون في أبهى صورة. والله حينما يطلبك في الصلاة فهو ينادي عليك في الأذان فهو حريص على لقائك ولا يكلفك سوى الوضوء وأنت مع ذلك قد لا تلبي نداءه، أما الشخصيات المهمة في الدنيا الزائلة: فأنت تسعى حثيثًا لمقابلتهم.

أنت في صلاتك يتيح لك **الله** أن تتحدث إليه وتشكو له همومك. نحن الآن ندفع أموالًا طائلة للأطباء النفسيين والخبراء حتى نتحدث معهم ونلقي همومنا، والله سبحانه وتعالى أتاح لك هذا مجانًا، وتستطيع أن تفعل هذا في أي وقت تشاء.

هناك أناس عندما رأوا ربنا سبحانه وتعالى نظروا وراءهم وقالوا إننا كنا مستورين جدًا. أكمل علينا الستر يارب ولا تفضحنا، هأنذا في وسط الناس محترم يحبونني ويحترمونني وينادونني



بالألقاب، هؤلاء الناس عندما رأوا الستير عاشوا في ستر الستير، فيجب عليك أن تعبد **الله** كأنك تراه.

وإليكم نموذجا عن ستر ربنا تبارك وتعالى:

«أنا اسمي أحمد أبلغ من العمر تسعًا وعشرين سنة، تعبت في أول حياتي، والذين من حولي تعبوا معي كثيرًا، أردت أن أخرج من مسمى «الطالب المجتهد» الذي يلتهم ما في الكتب إلى مسمى «خفيف الظل» الذي يأتي كل ما يحلو له من سهر وخروج مع أصحابه وقضاء وقت جميل معهم، أعجبتني جدًا هذه الحياة، أعجبتني الشهرة في المعصية، لكن **الله** أكرمني فتبت إليه وفارقت أصدقاء السوء وعدت إلى **الله** عز وجل، أما هم فقد افتضح أمرهم وماتوا على فضيحة والعياذ



بالله، فمنهم من مات وهو يشرب الخمر، ومنهم من مات على غيرها من المعاصي. هناك من سألني: ما ظنك بالذي كنت تفكر فيه ساعة المعصية؟ إن **الله** هو الذي نجاني، وأصحابي الذين رحلوا، فقد رحلوا ولم يكن لديهم هذا التفكير، كنت أنطق الشهادة دائما وأقول لو أن **الله** قبض روحي وأنا أرتكب المعصية أكون على الأقل قد نطقت الشهادة. وهذه من الأمور التي أكرمني **الله** بها في أول توبتي. وزوجتي كانت واثقة بي ولا تزال واثقة بي، وهي ابنة عمي من العائلة، وحينما فكرت أن أتقدم لها، كنت أقول هل سترضى بي بعد كل هذه المعاصي التي ارتكبتها، لقد سخر **الله** لي أشياء كثيرة سترتني في دنياي وسيسترني إن شاء **الله** في قبري فهو أهل الستر، ومنه كل خير سبحانه وتعالى».



أحدنا يصلي ويطيع **الله** سبحانه وتعالى ويشترط عليه ويقول حفظت أموالي من تجارة حرام ولم يوفقني **الله!** وأنا لا أكذب ولا أحب الأذى لأحد ولا أعرف لماذا انا ضائع في الدنيا هكذا! ويحاسب ويعاتب ربنا سبحانه، وقد نسي الكنز الكبير، ألا وهو أن **الله** عز وجل ستره وجعله من أمة محمد ﷺ وأن ما أصابه من خير أو شر فهو من عند **الله**، ومن أجل هذا يا إخواني أرجوكم ألا يقول أحدكم يارب أنا «غلبان» ولا يشترط على **الله** لأنه يعيش في الستر ولا يكون كمن يعبد **الله** على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، مثل هذا ليس عنده الكنز ذلك الذي يتمثل في أنه يعيش في ستر من **الله**.



إنك إن أسديت معروفًا إلى أحد فإنه يشكرك فلا ينبغي أن تغفل عن شكر **الله** عز وجل على كل خير يأتي إليك؛ فإنه منه سبحانه، ولا تْنسَ شكر الناس كذلك، فمن لم يشكر الناس لم يشكر **الله** عز وجل، خاصة أنك من أمة محمد ﷺ الذي بُعث ليتمم مكارم الأخلاق ويزكي أنفسنا وقلوبنا، يقول عز وجل: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾** [آل عمران: 164]. فهو يطهرهم بإذن **الله** سبحانه وتعالى من صفاتهم البشرية؛ فلهذا عندما يسدي إليك الحد الناس معروفًا اشكره وقلبك مطمئن بأن ذلك رزق من عند **الله** عز وجل، وكذلك إذا جاءك من الناس من يشكرك فقل له: إن الشكر لله إنما أنا مجرد سبب، لكن **الله** هو الرزاق ذو القوة المتين.



وأقول إن معنى الستر الحقيقي هو أن تقع عامدًا متعمدًا في معصية ولا يكشف **الله** أمرك، فهذا هو الكنز الحقيقي الذي يجب على الناس إدراك معانيه وشكر **الله** عليه.

ولقد خلقنا **الله** في أحسن تقويم مستورين وذنوبنا مستورة، لا يعلمها إلا **الله** فانظر إلى أبي بكر الصديق الذي أراد أن يشكر **الله** فكان يقول: **«اللهم اجعلني خيرا مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون»**.

ويقول سبحانه وتعالى: (**وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ**



شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (22)﴾ [فصلت: 19-22]

وأنصح القائمين على أمر الصحافة والتليفزيون بألا يتتبعوا أخبار الناس التي تهز مشاعرهم وتسيء إليهم وإلى المجتمع؛ لأن في ذلك فضحًا لعورات الناس وهذا ليس من الإسلام في شيء، فقد نهانا **الله** تعالى عن مثل هذا في أكثر من موضع قد تحدثنا عنه سابقًا، وقد نهانا ﷺ عن فعل هذا المنكر قائلًا في حديثه الشريف: «**من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحل**» [56] صدق رسول **الله** ﷺ.



اللهم اكفنا شر تتبع العورات، واجعلنا من المستورين، وصلِّ وسلم على رسولك الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[54] صحيح مسلم باب (دعاء النبي ﷺ) 465/1 رقم (301).

[55] صحيح البخاري باب (الرجاء مع الخوف) رقم (5988).

[56]سنن الترمذي باب (ما جاء في تعظيم المؤمن) رقم (1955)، ومصنف عبد الرازق رقم (20251).



الحديث الثامن عشر

الله واسع



المغفرة



الله واسع المغفرة

قال ﷺ: «إن رجلاً قال والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان فإني غفرت لفلان وأحبطت عملك» [57].

وفي رواية أخرى أن أحد أخوين كان عاصيًا والآخر يدعوه كثيرًا إلى الله عز وجل وهو يرفض، حتى قال له: «والله لا يغفر الته لك، فقال الته عز



وجل: من ذا الذي يتألى عليَّ؟! قد غفرت له وأحبطت عملك».

إن هذا الحديث يعلمنا أن **الله** عز وجل هو «الواسع» وهذا كنز ينبغي أن نحافظ عليه ولا نفرط فيه أبدًا؛ فهو سبحانه وتعالى الواسع الذي يستوعب كل عباده فيغفر لهم ذنوبهم، لا يعجزه شيء، ولا يبالي أن يغفر لك وله.

لعلنا نذكر حديث المرأة الزانية التي سقت كلبًا فشكر **الله** عز وجل صنيعها فغفر لها، وهي زانية، فقد رحمت هذا الحيوان فرحمها **الله**، فهو الرحيم وهو الواسع، لكن من العجيب ان تجد الناس تلعن مثل هذه المرأة، وكأن ذنبها أعلى من أن تُرحم، او يسعها **الله** الواسع العليم. فهو القائل في حديثه القدسي: **«عبدي إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت**



لك على ما كان منك ولا أبالي، عبدي لو جئتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة».

إننا نستطيع أن نحافظ على هذا الكنز إذا رأينا ربنا سبحانه وتعالى في كل ما حولنا، وعرفنا انه الواسع سبحانه وتعالى الذي يعلم اسرارنا ويظهر ما في قلوبنا ليعالجه ويساعدنا على التخلص منه. وإن **الله** سبحانه وتعالى يتكرم على من يسعى إليه ويحاول أن يتخلص من ذنوبه ومعاصيه، فالرجل الذي قتل مائة نفس ثم طلب الهداية وفقه **الله** إلى من أرشده لترك ارض المعصية، والبحث عن أخرى يكثر فيها أهل الصلاح، ثم لما مات قرب جسده من أرض الطاعة، وبَعَّدَه عن أرض العذاب إكرامًا له. فليكن في هذا النموذج قدوة لك أخي المسلم، ولتبحث عن اسباب الهدى واكتساب



الطاعات، ولتسأل علماء القلوب عن علاج لما يعتري قلبك من امراض كالعجب والحسد والتكبر وحب المعصية وما إلى ذلك، فإن لهذه الأمراض حُجُبًا تحجب رؤية العبد ربه، والتخلص منها يساعد كشف هذه الحجب، وييسر رؤية **الله** عز وجل بالقلب، فتصدر أفعالنا عن قلب سليم بإذن **الله**، وهذا يظهر في مجرد كلام العبد، يقول ابن عطاء **الله**: كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز، فإذا كان في القلب حب خرج الكلام بحب وإذا كان فيه كبر والعياذ بالله فكبر، وهكذا، فإن هذا الحديث يدعونا إلى السعي الدائم لتطهير قلوبنا.

■ الهداية رزق:



إننا إذا كنا نشكر **الله** على أرزاق الدنيا فإننا ينبغي علينا أن نشكره كذلك على رزق الآخرة، وهو الهداية إلى العمل الصالح، والله سبحانه يحب منا ذلك، فلنشكره على ما وفقنا إليه من معروف، ولنسأله المزيد دائمًا، ولنوقن أنه لا نجاة إلا بفضله سبحانه، يقول عز وجل: **(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** [النور، 21]، ويقول سبحانه: **(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا)** [النساء: 83]؛ فمن أطاع **الله** فإنما بتوفيقه اطلاعه، وإذا نظر الطائع إلى قلبه لرأى **الله** الذي اعانه على الطاعة، لا الطاعة نفسها، وبهذا يحتقر نفسه ولا يعظمها، ومن ثم كان خطأً عظيمًا أن يتألى عبد على **الله** بانه لن يغفر لعبد اخر مهما تكن ذنوبه، لان طاعتنا إنما هي



بفضل **الله** سبحانه، ولا ينبغي ان نفخر بها على الآخرين، إن معرفة فضل **الله** في الطاعة لهي كنز عظيم، فلنساله دوام هذه الطاعة، ولنعلم انها منه سبحانه وان الذي اكرمنا بالطاعة في الدنيا فإنه سيكرمنا بالجنة في الآخرة رحمة منه، لا بطاعتنا، كالرجل الذي عبد **الله** سبحانه وتعالى ستمائة سنة، ثم قال **الله** تعالى له: ادخل الجنة برحمتي، فقال: بل بعملي يارب، فحاسبه على بعض النعم فلم يوفِّ شيئا منها، فأدرك أن الذي أعانه على الطاعة إنما هو **الله** عز وجل، الذي وهبه بقية النعم الدنيوية!

فلا يجوز أن يتألى أحد على **الله** سبحانه، فكم من عصاة كنا نراهم أقل مناء ثم بدلهم **الله** من حال إلى حال، متمنين أن نكون مثلهم.



وإليكم هذا النموذج الشاب هداه **الله** عز وجل إليه، فعرفه واتبع هدي نبيه ﷺ بعد أن كان تائهًا:

«أنا محسن محيي الدين، سني تسع وأربعون سنة، أكرمني **الله** بمحاولة الاهتداء ومعرفة **الله** عز وجل، وأنا مدرك أن البحث عن الهدى هو البحث عن السعادة الحقيقية، بل هو الكنز الحقيقي الذي يحقق لنا «لا إله إلا **الله**» يقول بعض المثقفين إن السعادة نسبية حسب تصور كل إنسان لمفهوم السعادة، لكن **الله** سبحانه جعلها في شيء واحد يناله كل من أقبل عليه، وهو ذكر **الله** سبحانه **(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)** [الرعد: 28]، وقال ﷺ: «**المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد**»[58]. وقال تعالى: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)** [العنكبوت:



69]؛ فهذا وعد من **الله** سبحانه وتعالى بان يكافئ المجاهدين طالبي الهداية بأن يهديهم طريقه سبحانه وتعالى، رحمة منه عز وجل وجزاء لاجتهاد عباده فيه، حتى يكون بينه وبينهم محبة وعلاقة واتصال، والحب منك لا بد أن يرتبط بالتضحية لإرضاء **الله** سبحانه وتعالى.

■ «من هذا الذي يتأليَّ عليَّ؟!» [59].

لا نزال مع الحديث القدسي، لا يجوز لك أن تتخطى حدودك فتقول هذا مرحوم وهذا مؤاخذ، أو هذا محبوب وهذا ملعون، فلعل **الله** سبحانه وتعالى اطلع على قلوب عباده فوجد فيها محبة وخشية، واطلع بسابق علمه على مستقبلهم فوجد أنهم سيؤمنون؛ فلا يجوز أن نلعن أحدًا، وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف، حيث يروى أن أحد



الصحابة كان مبتلى بشرب الخمر، وكان كثيرًا ما يؤتى به إلى الرسول ﷺ، فقال له أحد الصحابة: لعنك **الله**، ما أكثر ما يؤتى بك مخمورًا، فقال الرسول ﷺ: «**لا تلعنه إنه يحب الله ورسوله**» [60]، فلقد كان محبًّا، لكنه كان ضعيفًا أمام هذا الذنب، فلا تحتقر أحدًا، فها هو ذا عاصٍ لكن قلبه محب لله ورسوله. ولا تفخر بطاعتك، فإنها تفضل من **الله** عز وجل عليك ومنة منه سبحانه، يقول تعالى: (**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**) [آل عمران: 164] تبين الآية أن الرسول ﷺ وشريعته وآيات **الله** عز وجل منة منه سبحانه، وكذلك تبين أن هؤلاء المؤمنين كانوا في ضلال مبين، قبل تلك المنة، وأنهم لولاها لما صاروا



مؤمنين. فلا تتعدَّ وتحكم على العاصي بأنه لن يُغفر له: لأنك رأيت نفسك وسعَتَك أنت ولكن يجب عليك أن ترى **الله** الواسع سبحانه الذي يسع كل العصاة، والذي وسعت رحمته كل شيء.

■ أقل إنسان:

إن أحد الناس كان يشكو قسوة القلب، فذهب إلى أحد العلماء، فأشار عليه أن يقبل يد أقل إنسان، فأخذ يبحث حتى وجد إنسانًا بسيطًا فأراد أن يقبل يده، فقال له: لِمَ تريد أن تقبل يدي؟ قال: إن الشيخ أمرني أن أقبل يد أقل إنسان، فقال ذلك الرجل البسيط: انت أقل إنسان، فقبل يدك ففَعل، وذهب إلى الشيخ، وأخبره بما دار بينه وبين الرجل، فقال الشيخ: عرفت فالزم، ولا تحتقر أحدًا.

فلتتذكر أخي دائمًا قوله تعالى:



﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 194]

فما أنت فيه من طاعة إنما هو منة تستوجب شكر المولى عز وجل. إذا كنت في صلاة أو خشوع أو ذكر أو تعلُّم فانت في نعمة من **الله**، هو هداك إليها.

■ انشغل بعيوبك:

يقول ﷺ: «**يرى أحدكم القذاة في عين أخيه ولا يرى الجزعة في عينه**» [61]. والقذاة هي القشة، والجزعة هي الفرع من الشجرة، فهو يرى أدق شيء من عيوب أخيه، ويغفل عن عيوب نفسه رغم أنها عظيمة.

إن صاحب السيئات الذي تحتقره وربما رأيت أنه لن يُرحم ولن يُقبل - قد يغفر له **الله** عز وجل الذي يقول في كتابه الكريم:



﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: 70] فتكون السيئات قد تحولت إلى حسنات وأصبح ميزانه أثقل بسبب الحسنات الإضافية التي انقلبت عن سيئاته الكثيرة. ولا عجب؛ فإن **الله** يحب التائب من عباده، يقول سبحانه: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** [البقرة: 222] فضلًا عن أنه من أمة محمد ﷺ، يقول تعالى: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** [آل عمران: 110]، ويقول ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**، فلعل من تؤذيه - لأنه عاصٍ - يكون ممن سينالون شفاعة النبي ﷺ فلتنشغل بنفسك وعيوبك ولتسأل **الله** أن يهدي الناس أجمعين.

فالكنز المفقود في هذا الحديث أن ترى **الله** «الواسع» سبحانه وتعالى في كل المواقف حولك،



وتعلم انه وسعت رحمته كل شيء، فهو يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار.

---

[57] صحيح مسلم باب (النهي عن تقنيط الإنسان) رقم (4753)، والمعجم الكبير للطبراني رقم (1657).

[58] الإبانة الكبرى لابن بطة رقم (220). وانظر المعجم الكبير للطبراني رقم (1320) بلفظ: «له أجر شهيد.

[59]سبق تخريجه

[60] مصنف عبد الرزاق رقم (17082)، شُعب الإيمان للبيهقي رقم (529).



[61]رواه البيهقي في الشعب.



الحديث التاسع عشر

الإنـــفـــاق



الإنفاق

قال النبي ﷺ: «**قال الله عز وجل: يابن آدم أَنفق أُنفق عليك**» [62].

نتعلم من هذا الحديث رؤية **الله** في الإنفاق، فكما سأنفق سوف ينفق عليّ سبحانه وتعالى، فينبغي عليّ أن أُحسن النفقة وأزيدها ولا أبخل فيضيّق عليّ، قال النبي ﷺ للسيدة أسماء بنت أبي بكر: «**يا أسماء أعطي ولا تُوكي فيوكَى عليك**» [63].



فلا بد أن أراعيه سبحانه وتعالى في معاملة الخلق وفي عطائهم فيكون ابتغاء وجه **الله**؛ اي عند تعاملي مع الناس ارى **الله** سبحانه وتعالى فلا أبخل؛ لأنه لا يجوز لي البخل على الكريم سبحانه، لكن لا بد ان اجتهد في العطاء قدر الإمكان؛ فقد اعطاني **الله** عز وجل بغير حساب. وقد قال العلماء: إن الخلق باب كبير يوصلك إلى ربنا عز وجل؛ إكرام الخلق والتجاوز عنهم، والتعب من أجلهم وخدمتهم؛ لذلك كان الصالحون يقولون: ربنا لا يحلو الليل إلا بمناجاتك، ولا يحلو النهار إلا بخدمة عبادك.

«أنفِق أُنفق عليك»: إذا كنت تريد أن ينفق **الله** عليك من كل شيء ليس من المال فقط، وإذا كنت تظن أن الإنفاق هو إنفاق المال فقط فأنت واهم؛ صحيح أن هذا جزء كبير من الانفاق، لكنك تحتاج



إلى حنان ورحمة وكرم وتسامح، فكل ما تحتاجه إنفاق منه الان حتى ينفق **الله** تعالى عليك منه.

هل تذكرون الحديث الذي يقول: «**أنا أولى بذلك منك**»، هل تذكرون أن عبدًا كان يتجاوز عن الناس عندما يقرضهم إذا كانوا مُعْسرين ويقول لعل **الله** يتجاوز عني، فقال له رب العالمين: «انا اولى بذلك منك».

إذا كنت أيها العبد، وأنت فيك ما فيك من نقصان، ستتجاوز عن العباد فأنا سأتجاوز عنك، فأنا أولى بذلك منك؛ لذلك كان النبي ﷺ يقول للسيدة أسماء بنت أبي بكر: «**يا أسماء أنفقي يُنفق عليكِ، ولا توكِي فيوكَى عليك**»: إذا كنت اليوم بليلٍ يا أسماء أنفقتِ ولم تنتظري إلى الصبح وقلتِ ليس كل يوم سيطلع الصبح،



إن ربنا ينزل النعم ليل نهار، ويسترنا ليل نهار، ويبسط يده ليتوب المسيء سواء بالليل أو بالنهار.

رؤية **الله** في الإنفاق، رؤية **الله** في التضحية، ليس من الضروري أن يعلم الناس بإنفاقي او على من أنفق، او يستحق ام لا، ولكن أنفق بحب كما اعطانا **الله** عطاياه بحب وبرحمة، وما دمت أتعامل مع الناس فلا بد ان ابعد الخلق عن حساباتي وأتعامل مع **الله** وحده.

والأصل يا إخواني أن أنفق ولا أرى إلا **الله** وأن أعترف بفضل **الله** علّ وأن أضع في اعتباري أنني أرد الحقّ لصاحبه؛ ألا وهو **الله** عز وجل.. فكل ما لدينا إنما هو فضل ربنا أنزله إلى الناس ويرد إليه في الناس أيضًا.



ذكرنا سابقا ذلك الرجل الصالح الذي أراد أن يتصدق على رجل فقال له: «**خذ لا لك**» : هو يعطيه الصدقة ويريد أن يعلمه أن الرزق من **الله** سبحانه وأن هذه الصدقة ليست لك إنما هي **الله** عز وجل وأنا أعطيها لك حتى تصل إلى **الله**، ولكن المحتاج كان يفهم هذا جيدًا؛ لذلك قال: «**هات لا منك**»، أي أن **الله** سبحانه هو الذي أرسلها إليَّ عن طريقك؛ فالخلق يتعاملون مع الحق لا مع الخلق، لا نرى إلا **الله**، أن تعبد **الله** كأنك تراه، لكن هذه الوصية ليست للآخذ، فقد تكلمنا في موضوع سابق عن الرزق أن ترى أن **الله** هو المعطي، اليد الوحيدة التي تعطي يد **الله** كما قال ﷺ: « **يد الله ملأى سحاء**» من ينفق على الأرض هو **الله** بل على الكون كله، ولكن هذه الكلمة للمعطي، أعد حق ربك إليه عن طريق عباده، واحرص على الا ترى



إلا **الله** في إنفاقك ولهذا لا تستغرب من ان الصالحين كانوا يجودون تمامًا صدقاتهم لأنهم يعلمون أنها ذاهبة لربنا، قال رب العالمين: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ)** [البقرة: 267] أي أنفقوا من أجود ما تملكون فلا تأتِ بالشيء الرديء الذي لا يؤكل والملبس الرديء الذي لا يلبس وتتصدق به بدلًا من أن يلقى به في القمامة او لأنه عديم الفائدة فسأعطيه لمن يحتمل ان ينتفع به، او هذه الملابس بدلاً من أن تمسح بها المطبخ أعطها فقيرًا يلبسها في العيد، سبحان **الله**!!

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ



وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [البقرة: 297].

اعلموا أن الفقراء أغنياء عندما يعطيهم ربهم. لا تنظر إلا لله، أخرج القميص مكويًا. كثير من أهل الفضل إذا أرادوا التصدق بملابس قديمة فإنهم يرسلونها إلى المغسلة أو يغسلونها بأيديهم، ويكوونها كما يصنعون بملابسهم ثم يبعثون بها إلى الفقراء؛ فهم يدركون أنها ذاهبة إلى ربنا عز وجل. ولا تنس أن السيدة عائشة كانت تعطر الدنانير وتقول لأني أعلم أنها تقع في يد **الله** أولًا قبل أن تسقط في يد الفقير. لقد كانت رضي **الله** عنها مثالا يُحتذى به في الإنفاق، وأنا قبل أن أسرد قصة السيدة عائشة أريد أن أحدد محورًا من محاور موضوع الإنفاق وهو أن الإنسان يحب التملك، ويحب بقاء النعمة معه ويجمع ويجمع.



هذه صفة الإنسان أما صفة **الله** سبحانه وتعالى فهي الكرم والعطاء دون انتظار المقابل؛ لذلك يقول العلماء: اخرج من وصفك إلى وصفه، اخرج من حب التملك إلى حب العطاء مثلما يفعل ربنا جل وعلا.

لقد قال إبليس لسيدنا آدم عليه السلام - كما جاء في محكم التنزيل – **(يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ)** [طه: 120] هل أخبرك عن شيء لو فعلته لبقيت في الجنة وبقي ملكك معك أبدًا؟ لو ذكَّرتني لفعلت. لقد دخل إبليس لسيدنا آدم من جهة بشريته لذلك فحينما يتخلص العبد من صفة حب التملك واتصف بما يتصف به ربنا عز وجل من حب العطاء يكون بذلك عبدًا ربانيًّا، وقتها لا يرى إلا **الله**.



قيل إن السيدة عائشة رضي **الله** عنها كانت قد جاءتها غنائم أو أموال فأنفقت مائة وثمانين ألف درهم وهي جالسة مكانها.

أتتها الأموال فجاءت بالأكياس ورتبتها ثم أرسلتها إلى أصحابها، وكانت صائمة ذلك اليوم فقالت إحدى الجالسات إلى جوارها وكانت تسمى أم ذرة: يا أم المؤمنين، ألم يكن من الأفضل أن تتركي درهمين لتأتي بما نفطر عليه؟ فقالت: لو ذكرتني لفعلت. ما هذا؟ سبحان **الله!**

هل نحن صائمات؟ نحن جائعات! نعم، ونريد أن نفطر، لكنْ هناك شيء آخر مع **الله**، مع ربنا كلنا نعرفه.. ولا تستغربوا فنحن نعيش هذا الشيء في الدنيا، ألا وهو الفناء. ما هذا الفناء؟ ألا تسمع من يقول: أنا أتفانى في عملي؟ ماذا يعني ذلك؟ يعني



أنه مضيع حق بيته وحق صحته ووقته ولا يتمكن من الطعام بسبب تفانيه في عمله.

يتفانى في حق الوطن أي يموت شهيدًا ويحارب من أجل الوطن.

الفناء: أنا لست شيئًا، وليس لي متطلبات ولا رغبات، فإنني لا أرى غير ربي حبيبي؛ لا أرى إلا رضاه. لقد أنفقَت المائة والثمانين ألف درهم وكانت صائمة، ما ذاك إلا لأنها قد خرجت من وصفها (حب الأكل وحب التملك) لحب رضا الملك.

لقد أعطى الخليفة المأمون (أحد كبار الخلفاء العباسيين) واحدًا من الناس مائة ألف درهم، فحينما خرج الرجل وزع الدراهم خارج القصر فغضب الخليفة وظن أن الرجل تقالَّ الأموال أو



تكبر أن يأخذ من الخليفة، تناوبته الشكوك، ثم بعث إليه فجاء الرجل ووقف امام الخليفة فسأله الخليفة: لماذا صنعت هذا الصنيع؟ فقال يا امير المؤمنين: منع الموجود سوء ظن بالمعبود أنا متأكد من أنه: **(وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ)** [سبأ: 39] فلن أنشغل بهذا الأمر لأنه وعدني. لو أنك يا أمير المؤمنين وعدتني إذا عملت عندك يومين أو ثلاثة ستتخذني وزيرًا، أمير المؤمنين وعدني، فما بالك حينما يعد في **الله** ويقول لي: **(وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ)** [سبأ: 39] سبحانه وتعالى، فلو أني منعت الذي معي كنت مانعًا له عن ربنا، وشاكًّا في وعده؛ فمنع الموجود سوء ظن بالمعبود. آنا ارى وعد **الله** اراد بقلبي سيعوضني. انا عندي ثقة بالملك سبحانه وتعالى.



وإليكم هذا النموذج: أنا الدكتور أحمد عادل نور الدين أستاذ جراحة التجميل بكلية الطب - جامعة القاهرة – وبجمعية الدكتور مصطفى محمود، أنا نائب رئيس مجلس الإدارة والمشرف العام على لجنة الخدمات خلال السنوات العشر الأخيرة للجمعية التي انشاها الدكتور مصطفى محمود عام 1976، حينما كانت مبادرة فردية آنذاك، الجمعية في الوقت الحالي لها سمعة طيبة والحمد الته، والخدمات فيها على أعلى مستوى، ومن حيث التكلفة فقد أنفق عليها الدكتور كل مدخراته. ولم يكن أحد يتصور قيمة الخدمات، ففيها ما يقرب من 100 مليون جنيه تقريبا، وقد علمنا الدكتور مصطفى محمود أن قيمة الإنسان تقاس بما يقدمه من يوم مولده حتى مماته. وقد اقتبست منه هذه الأريحية من خلال عملي في الجمعية فمنذ سنة



1983 حتى اليوم تعلمنا الانفاق بمعناه الواسع فقد كان الدكتور مصطفى يعلمنا الآية الكريمة. **(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُل ِالْعَفْوَ)** [البقرة: 319] والعفو في كل شيء هو الزيادة. تعلمنا أنه ما دام الهدف موجودًا وواضحًا فلا تحمل همًّا: إذ ليس عليك التدبير، وأذكر حاجتنا إلى شراء جهاز أشعة مقطعية بالكمبيوتر، حيث أسرع الدكتور مصطفى وكان من أوائل من أدخلوا هذا الجهاز، وما زال حتى هذه اللحظة، وكذلك كان هناك جهاز آخر ثمنه أكثر من مليونين من الجنيهات، فبادر الدكتور مصطفى بدفع المقدم وهو حوالي ربع مليون جنيه، فتسلَّمنا الجهاز بفضل **الله** عز وجل، ودفعنا القسط الأول، وقبل أن يحل ميعاد القسط الثاني رزقنا التله بمتبرع دفع بقية ثمن الجهاز فكان



للإنفاق دور كبير في إنشاء وتدعيم هذا الصرح الطبي ولله الحمد.

■ إنفاق الصالحين:

دخل عبد **الله** بن جعفر رضي **الله** عنه بستانًا ليشرب منه ماء، فوجد بالبستان عبدًا أسود شابًّا صغيرًا يأكل ومعه ثلاثة أرغفة هي عشاؤه، فجاءه كلب يهز ذيله فرمى إليه رغيفًا فأكله الكلب بسرعة، فرمى إليه بالثاني فأكله الكلب بسرعة، فرمى إليه بالثالث فاكله الكلب بسرعة وهز ذيله ومشى، فسأله عبد **الله** بن جعفر: كان هذا عشاءك فماذا ستفعل؟ قال العبد: سأبيت طاويًا يا مولاي، فإن هذه الأرض ليست أرض كلاب، وكأنه جاء من سفر بعيد، فأشفقت عليه من شدة جوعه. وذهب عبد **الله** ابن جعفر وهو يقول: يلومني الناس على



كرمي، والله إن هذا العبد الأكرم مني. فاشترى البستان كله واعطاه للعبد وقال له: خذ هذا البستان بكل ما فيه.

لقد قال عبد **الله** بن المبارك رحمه **الله** كلمة مأثورة: «ليس العلم ما حفظ إنما العلم ما نفع». وقد كان يجاهد سنة ويحج أخرى، فتوجه سنة للحج ومعه ثلاثون ألف درهم، وفي الطريق رأى امرأة تبحث في القمامة فأخرجت دجاجة ميتة فأكلتها لتسد بها غائلة الجوع، فقد كادت تموت هي وأسرتها. ففكر قليلاً فهداه **الله** سبحانه لان يحتفظ في جيبه بخمسمائة درهم فقط من الثلاثين ألف درهم تكفيه للذهاب والعودة والباقي 29500 درهم يعطيها هذه المرأة وقد كان.



وقابلت امرأة الليث بن سعد رحمه **الله** وطلبت إليه «برطمان» عسل فدخل المنزل وأعطاها «برميل» عسل، ثم قال: لقد سألتني على قدر حالها وحاجتها، لكني أعطيتها على قدر نعمة **الله** عليَّ **(مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)** [البقرة: 245].

■ أعط كل ذي حق حقه:

والإنفاق يا أخي ليس إنفاق مال فقط، فهناك بيتك وأسرتك، أعط وقتًا لبيتك وأسرتك، والله سوف يبارك لك في عملك ورزقك، فتجد الأمر الذي يحتاج في قضائه ساعة من الزمن ينقضي في نصف ساعة؛ لأنك أعطيت وادخرت وقتًا لتربية أبنائك وراعيت أهل بيتك وزوجتك وأمك



وأباك، واعمل بحديث سلمان رضي **الله** عنه: «**إنَّ لبدنك عليك حقًّا وإن لدينك عليك حقًّا وإن لأهلك عليك حقًّا فأعط كل ذي حق حقه**»، فقد عرض هذا الحديث على حبيبك محمد ﷺ فقال: «صدق سلمان»[64]. فلا تجعل عملك يطغى على وقت أسرتك وأهلك. فالله سوف يبارك لك في صحتك ورزقك بسبب رعايتك إياهم.

أذكرك اخي الكريم بأدب الإنفاق والتصدق وهو ان تعلم ان ذلك مال **الله** وسيقع في يد **الله** عز وجل قبل يد الفقير، فقدمه في أحسن صورة، متواضعًا به لله سبحانه. فانت تحتاج إلى الفقير أكثر من احتياجه إليك؛ لان المحتاج في جميع الاحوال سيرزق منك أو من غيرك، فسارع أنت واكسب الثواب، وتصدق على الفقير والمحتاج



وقل له وانت تعطيه الصدقة: فرج على نفسك فالعطية من **الله**.

كان الفضيل بن عياض يقول: «**يرحم الله الفقراء، نسأل الله أن يبقيهم لنا، فهم يحملون أموالنا حتى يقابلونا بها عند عرش الرحمن**».
فكن يا أخي كريمًا مع الفقير على قدر كرم **الله** معك واعلم يا أخي أن أكبر خزينة هي خزينة الإنفاق في سبيل **الله** عز وجل.

كن كريمًا مع ربك ولا تكن بخيلًا، فقد أعطاك من فضله واستخلفك في ماله.

واعلم أخي الكريم أن لله أيامًا يستحب فيها الإكثار من العمل الصالح كالعشر الاوائل من ذي الحجة، وشهر رمضان، فأنفق وزد واسال **الله** سبحانه القبول واقتد برسول **الله** ﷺ: فقد كان



جوادًا وكان أجود ما يكون في رمضان فكأنه الريح المرسلة.

نريد أن نكون قريبين من تعاليم النبي ﷺ ونسير على هديه؛ فهو الذي يقول لما أبصر أحدًا: **«ما أحب أنه تحول لي ذهبًا يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث إلا دينارًا أرصده لدين»** [65].

فهيا لنعيش مع النبي ﷺ وأخلاقه حتى نفوز بالقرب من **الله** سبحانه وتعالى وننجح في ألا نرى غيره في تعاملنا، وصلى **الله** تعالى وسلم وبارك على حبيب المساكين والحمد لله رب العالمين.

---

[62]متفق عليه.

[63]سنن أبي داود رقم الحديث 1448 باب (في الشح).



[64] صحيح البخاري باب (من أقسم على أخيه ليفطر) رقم (1832).

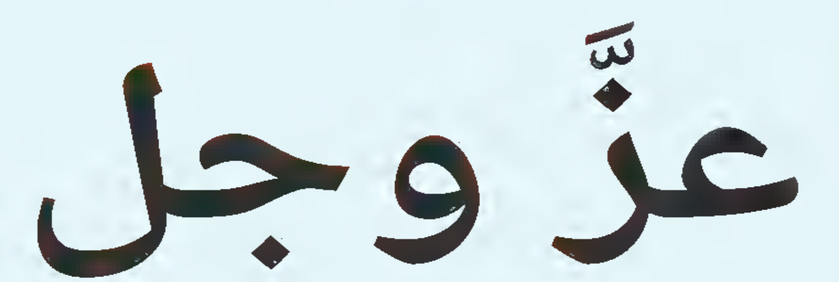
[65]صحيح البخاري باب (أداء الدين) رقم (2258)



الحديث العشرون

الحُبُّ في اللهِ




عزَّ وجل



الحبُّ في اللّٰه عز وجل

قال رسول **اللّٰه** ﷺ: «**قال اللّٰه: أين المتحابّون بجلالي اليوم أُظِلّهُم في ظِلِّي يوم لا ظل إلا ظلي**» [66]

يقول علماء القلوب: إن الحب شعور يوجد بالقلب فيزيد عطاء صاحبه، وإن الإنسان إذا أحب بقلبه فإنه يسخر سائر جوارحه في خدمة من أحب؛ لذلك تجد من أحب **اللّٰه** عز وجل جعل كل



كيانه في خدمته سبحانه وجاهد فيه بالنفس والنفيس، وآثر رضاه على هواه، فحبه أشرف حب، فهو يعيش على الطاعة الموصلة إلى جنة الرضوان التي يكافئ بها **الله** الصالحين من عباده.

وإذا كنت من المحبين له سبحانه وتعالى فأحببت عباده وأحسنت إليهم فهم من أمة محمد ﷺ مؤمنون بالله، يحبونه كما أنك مؤمن به وتحبه، انتماؤكما واحد، إلى خير أمة أخرجت للناس، ألا ترى أن من صادق إنسانًا كان من السهل أن يصادق صديقًا له، وأن من أحب إنسانًا أحب ما يحب، فما ذاك إلا لاتفاقهما وتلاقى ذوقهما، فكيف بك إزاء مسلم مؤمن بالله عز وجل الذي آمنت به وامتلأ قلبك حبًا له وشوقا إلى لقائه؟! كيف بك إزاء من أحب رسول **الله** ﷺ، فصار نور عينه ومهجة فؤاده، تمامًا كما هو بالنسبة لك؟! لا شك



أنكما متفقان، فلتحبه حتى تفوز بتلك الجائزة الكبرى؛ ألا وهي محبة **الله** عز وجل التي يسترك بها في الدنيا ويؤمنك بها في الآخرة، يكفي انه بمجرد أن يقف الخلائق للحساب يسارعك فيظلك في ظله، من بين الخلائق من لدن آدم عليه السلام حتى آخر الخلق، فكأنه يقول: هذا عبدي، حبيبي، أكرموه، أظلوه في ظلي، إنه كان يحب الصالحين من أجلي، إنه كان يحب المرء لا يحبه إلا من أجله. إنها والله جائزة أن يرضى عنك ويكرمك بين الخلائق.

■ أكرمه لله:

بل إن من حب **الله** أن تحسن إلى جميع عباده مسلمين وغير مسلمين، وتعفو عنهم، تخفف عنهم؛ لأنهم خلق من خلقه تعالى؛ ولأن الإسلام دين



الإحسان، يقول ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**» [67]" فلذلك فأحسن، يقول الإمام الشعراني رحمه **الله**:

«إني لأعفو عن الناس كرامة لله عز وجل؛ فهم من خلقه». وإن الشعراني إذ يقول هذا فإنما هو مقتدر بحبيبه وحبيبنا محمد ﷺ؛ فقد روي أنه كان جالسًا إذ مرت جنازة يهودي فوقف ﷺ فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «**أو ليست نفسنا؟!**» [68]

■ حب العلماء:

وهناك مستوى آخر من الحب أخي المسلم، ألا وهو حب العلماء، فإذا كنت تحب رسول **الله** ﷺ المعلم الأول، فينبغي عليك حب ورثته من أهل العلم، فلقد قال ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[69]



فإذا كنت تحب النبي ﷺ فأحب ورثته الذين حملوا علمه إليك وإلى الأمة كافة، وتحملوا في سبيل ذلك مزيدًا من الصعاب والمشاق، حبًا لله عز وجل ووفاء لدين نبيه ﷺ.

■ حب الصالحين:

إن حب الصالحين في كل زمان ومكان لهو حب في **الله** عز وجل، خاصة إذا كانوا يدعون الناس إلى الصلاح ويعلمونهم الخير، فإن حبيبك المصطفى ﷺ يقول: «**إن الله وملائكته واهل السماوات واهل الارض حتى الحوت في الماء والنملة في جحرها ليصلون على معلمي الناس الخير**» [70] وما ذلك إلا لصلاح مذهبهم وحسن مسلكهم وارتباطهم بالله عز وجل في افعالهم واقوالهم: فإنك إذا احببتهم احبك **الله** عز وجل



بحبهم وأحبك رسول **الله** ﷺ وأحبك أهل الصلاح جميعهم.

■ **«أظلهم بظلي يوم لا ظل إلا ظلي» [71].**

إن من ثمار الحب في **الله** عز وجل أن يظلك في ظله يوم القيامة، والناس في حر الشمس التي دنت من الرءوس بأمر ربها عز وجل، فتكون على بعد شبر واحد، حتى يستغيث الناس من هول الموقف، إننا في هذه الدنيا نشكو حرارة الشمس وهي على بعد مائة وخمسين كيلومتر، فكيف بنا يوم الموقف العظيم، يوم لا ظل إلا ظل **الله**، نرى من سيدخل فيه ومن سُيحرم منه؟ تستطيع أن تكون ممن سينعم تحت ظل **الله** عز وجل إذا أحببت فيه، أنت تحب والديك، وإخوتك، وسائر أهلك، تحب جيرانك وأصدقاءك وزملاءك، تحب



زوجتك وأبناءك، فهلا جعلت كل ذلك لله عز وجل، أحبَّهم في **الله**، تنل ما وعد **الله** به، وتذكر دائما أن **الله** إذا وعد وفَّى وزاد، يقول عز وجل: **(وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ)** [التوبة: 111] أي من أحسن منه وفاءً، فإنه يفي ويزيد ويبارك، اللهم ارزقنا هذا الفضل العظيم ان تظلنا في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك.

ومن ثمار الحب في **الله** كذلك أن يسدَّ فراغات كثيرة بينك وبين الناس، ويسد فراغات التقصير، فإن للحب في **الله** عز وجل جاذبية عجيبة، لعل في أساس هذا الحب، الا وهو الإخلاص، فإنك متى اخلصت **الله** عز وجل كنت صادقًا، والصدق أقرب نفاذًا إلى القلب؛ لذلك يسد الفراغات ويجعلك تدرك الكثير من حب الناس بأقل القليل



من أفعالك، لأنها محملة بالحب في **الله** والإخلاص له عز وجل.

إن حبًّا قوامه العطاء لا الأخذ لهو حقيق بأن يدوم؛ خاصة إذا كان لله عز وجل فإن المتحابين على هذا الأساس إنما يرون **الله** لا العباد، يرون **الله** قبل كل شيء وبعد كل شيء، هدفهم الوحيد نيل رضاه، والفوز بمحبته سبحانه وتعالى، فتجد الواحد منهم لا يغضب لأخذ، بل يفرح، ويصبر على العطاء؛ لثقته ان من احب في **الله** وأعطى لله فإنما قد وقع أجره على **الله**، فلا يزعجه سوى شيء واحد، يعدُّه خطيرا جدًا، ولا يهنأ ولا يهدأ حتى يزول، ألا وهو مخالفة أمر **الله** أو البعد عنه والعياذ بالله، فإنه لا يزال يحاول مع من يحب حتى يعالجه من هذا الداء المميت، الذي قد يميت القلب عافانا **الله** وإياكم، فإنه المحب في **الله** يعلم



جيدًا حديث النبي ﷺ: «المرء على دين خليله» [72] فإذا كان حبيب من المتقين الذين يحبهم **الله** عز وجل كان ذلك خيرًا له فلعل **الله** ينظر لأحدهما نظرة رحمة فيصيب الآخر فضلها فيرحمهما جميعًا بفضله ومَنِّه، ويعلم جيدًا معنى حديث رسول **الله** ﷺ: «المرء مع من أحب» [73] فستكون معه يوم القيامة، وفي ذلك بشرى عظيمة؛ لأنك إذا أحببت من هو أعلى منك عملاً وتدينا وأكثر التزامًا، فإنك ستكون معه، بل المفاجأة السارة أنك إذا أحببت النبي ﷺ فإنك معه في الجنة بإذن **الله**، ما دمت احببته فأطعته.

■ أفشوا السلام بينكم:

من أسباب الحب في **الله** عز وجل أن تفشي السلام، يقول ﷺ: «**لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا**



ولن تؤمنوا حتى تحابوا، الا ادلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلام بينكم» [74] فإفشاء السلام يورث المحبة التي هي شرط للإيمان الذي لا جنة إلا به، وإفشاء السلام إلقاؤه: «السلام عليكم ورحمة **الله** وبركاته» وكذلك فعل أفعال فيها سلام، أي تسالم الناس، يقول رسول **الله** ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**. سلموا من لسانه فلا يسمعون منه إلا الخير، إلا السلام. وسلموا من يده فلا يرون من أفعال ذلك المسلم إلا المسالمة والسلام والخير. اللهم اجعلنا من المسلمين حقًّا الذين يتحابون فيك.

فائدة: ينبهنا هذا الحديث النبوي الشريف إلى أن كثرة السلام لا تقلل المعرفة بل تزيد من



المحبة، وتؤدي إلى الإيمان وتورث الجنة في الآخرة بإذن **الله** عز وجل.

■ منابر من نور:

لقد بشرنا رسول **الله** ﷺ بأن جزاء الحب في **الله** سبحانه أن المتحابين فيه سيكونون في الآخرة على منابر من نور بإذن **الله** عز وجل، إن رسول **الله** ﷺ لما قضى صلاته اقبل إلى الناس بوجهه فقال: «**يا أيها الناس اسمعوا و اعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله، فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس، وألْوى بيده إلى نبي الله** ﷺ **فقال: يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على**



مجالسهم وقربهم من الله انعتهم لنا - يعني صفهم لنا - فسُرَّ وجه رسول الله ﷺ لسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ: هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافَوا، يضع الته لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورًا وثيابهم نورًا، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» [75].

ما أجمله من جزاء وما أعظمه، فإن المتحابين في **الله** لما تسابقوا في إكرام بعضهم ابتغاء مرضاة **الله** عز وجل وحاول كل واحدٍ أن يقدم أفضل ما عنده جازاهم **الله** سبحانه بأن يكونوا على منابر من نور، وجوههم وثيابهم من نور.. جعلنا **الله** وإياكم منهم.



■ ومن الحب ما قتل:

نعم، قد يقتل الحب صاحبه، فأنعم بمن كان حبه لله وفي **الله** عز وجل، فكان ما يلقاه من سوء أو إيذاء تاج كرامة على راسه. لعل من ذلك ما لقيه أبوبكر الصدِّيق رضي **الله** عنه وأرضاه، عندما اجتمع عشرة من الكفار على رسول **الله** ﷺ هذا يضربه وهذا يدفعه وهذا يجذبه، فتصدى لهم الصدّيق، وقال لهم معنفًا إياهم: أتقتلون رجلا أن يقول ربي **الله**؟! فكان من أولئك المشركين أوسعوه ضربًا، حتى جاء بنو تميم (أهل أبي بكر رضي **الله** عنه) فحملوه، فلما أفاق الصديق رضي **الله** عنه قال: ماذا فعل محمد؟ فقالت له أمه ولم تكن قد أسلمت: خلِّ محمدًا وشأنه، يكفيك ما لقيت، ما هذا الدين الذي تضحي بنفسك من أجله؟ لا شأن لك بمحمد، فقال: والله لا أطعم طعامًا ولا



أشرب شرابًا حتى أراه وأعلم أخباره فاذهبي إلى فاطمة بنت الخطاب فاسألي عن محمد ﷺ، فذهبت وكانت فاطمة تخفي إسلامها، فخافت من أم الصديق فقالت لها: لا أدري شيئًا عن محمد، ولكن أذهب معكِ لأساعدك في تطبيب أبي بكر، فلما وصلت إليه سألها: كيف حال محمد ﷺ؟ فقالت: أمك معنا!! فقال: لا عليك، كيف حال محمد؟ فقالت: هو بخير، فقال: والله لا آكل حتى أراه، فحُمل إلى النبي ﷺ فحضنه بشدة واطمأن على حاله، فحزن النبي لما اصاب ابا بكر، فقد تورم وجهه وتورمت عيناه، فكان من ابي بكر ان قال: فداك ابي وأمي يا رسول **الله**، هون عليك فإنما هما عيناي، يقصد إصابة بسيطة جدًا، تورم وجهه، وكان من الممكن ان يفقد بصره، وكاد يُقتل، والامر



بسيط عنده، ما دام رسول **الله** بخير!! صدق من قال: ومن الحب ما قتل!

لم يكن ذلك الحب والتفاني على مستوى الصحابة والنبي ﷺ فحسب، فهذا إبراهيم بن أدهم رحمه **الله**، كان من التابعين، وخرج مع جماعة من أصحابه في سفر، فوجدوا مسجدًا من غير باب، فصلوا واستراحوا، ثم لما أرادوا النوم اقتربوا من بعضهم البعض حتى يتقوا شدة البرد، ولكن هيهات، فالرياح في الصحراء شديدة والبرد قارس، فتسلل من بينهم إبراهيم بن أدهم ووقف في الباب يسده بجسده، يرد الرياح ويصد البرد صدًا عن أصحابه، حتى أصبح الصباح فوجدوه يرتعد من شدة البرد، فسألوه: ما حملك على هذا يا إبراهيم؟! قال: وجدت البرد شديدًا والرياح عاتية، فخشيت أن ينالكم شيء من الأذى!!



إن هؤلاء قوم اتبعوا سبيل النبي ﷺ وأصحابه رضي **الله** عنهم فكانوا بهذه الأخلاق، فعلينا أن نلحق بهم لنكون معهم في صحبة حبيبنا محمد ﷺ، قبل أن يأتي يوم يندم فيه من خالف وضل عن السبيل **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (29)﴾** [الفرقان: 27-29] نعوذ بك اللهم من الشيطان الرجيم، ونسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، والفوز بالجنة والنجاة من النار والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم وأن تظلنا تحت عرشك مع المتحابين في **الله** فإننا نحبهم بحبك يا رب العالمين، وصلِّ وسلم على سيدنا محمد.



---

[66] موطأ مالك باب (ما جاء في المتحابين في **الله**) رقم (1500). صحيح مسلم باب (في فضل الحب في **الله**) رقم (4655).

[67] صحيح مسلم باب (الأمر بإحسان الذبح) رقم (3615).

[68] صحيح البخاري باب (من قام لجنازة يهودي) رقم (1229).

[69] سنن أبي داود باب (الحث على طلب العلم) رقم (3157).

[70] سنن الترمذي باب (ما جاء في فضل الفقه) رقم (2009).

[71] سبق تخريجه.

[72] مسند أحمد رقم (7685).

[73] صحيح البخاري باب (علامة حب **الله** عز وجل) رقم (5702)

[74] صحيح مسلم باب (بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) رقم (81).

[75] مسند أحمد رقم (21832)



الحديث الحادي والعشرون

أيــن



الجبـارون؟!!



أين الجبارون؟!!

قال ﷺ: «**يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيمينه ويقول: أنا المَلِك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون**» [76]، ومعناه أن **الله** سيطوي يوم القيامة السماء والأرض، هذه بيمينه وتلك بشماله ثم يسأل وهو الأعلم: أين من يرى أنه يملك شيئًا هنا؟ وفي رواية: «**أنا المَلِك أين ملوك الأرض؟**» [77] **لمن المُلك اليوم؟**» فيرد رب



العالمين على نفسه - لأنه ليس هناك من يستطيع أن يتكلم يوم القيامة - «لله الواحد القهار» [78].

قال ﷺ عندما جاءه وفد اليمن يسأله السؤال الذي يخطر كثيرا على بال الناس: هل كان هناك أحد مع ربنا سبحانه وتعالى منذ قديم الأزل؟ متى كانت بداية الخليقة؟ قال ﷺ: «كان **الله** وحده ولم يكن معه أحد» [79]. كان ربنا وحده ولم يكن هناك شيء يقال له الدنيا، فلم تكن موجودة أصلا، فقد كان ربنا موجودًا ولم يكن على الكرة الارضية أحد من الناس، ولم يكن في السماء ملائكة، لم تكن هناك مخلوقات. كان **الله** وحده وهذه معلومة من معلومات الغيب فقد افتتح **الله** القرآن بقوله تعالى: **(الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (3))** [البقرة: 1-



3]، ولم يقل الذين يقتنعون ويفكرون في الغيب. فلابد لعقلي أن يستسلم لهذه المعلومة. كان **الله** وحده ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. ثم بدأ عز وجل تقدير الخلق فخلق الأرض أولًا قبل أن يخلق سيدنا آدم. وفي هذا قال النبي ﷺ: «خلق **الله** التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل» [80]. حتى إن بعض العلماء يقولون: إن ساعة الإجابة في ذلك اليوم هي التي خلق فيها سيدنا آدم، ما بين العصر والمغرب.



وقد جاء سيدنا آدم بعد خلق الدنيا، فقد وُضع كل شيء فيها وتهيأت له.

قال ﷺ: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي**» [81].

■ **كل ذلك يشهد أنه الملك:**

تعرف أن الملك لله عز وجل إذا رأيت تصرفه في الكون فقد خلقه وسيره، فعن خلقه يقول تعالى **(ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)** [فصلت: 11] فالسماء والأرض تأتيان طائعتين لأنهما تعرفان قدر **الله** عز وجل وعظمته، لذلك لا تتعجب عندما تسمع سورة الانشقاق: **(إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (1) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3))** [الانشقاق. 1-3] أذنت: أي قالت



نحن في طاعتك يارب. مدت: أي تتمدد يوم القيامة وتخرج الأموات **﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (4) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5)﴾** [الانشقاق: 4، 5]، كذلك **﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾** [يس: 40] فالكل عبيد لا أحد يتكلم، كله مستعبد لمَلِك الملوك سبحانه وتعالى.

خلق ربنا سيدنا آدم وحدث الموقف المشهور للشيطان برفض السجود لآدم عليه السلام ثم أنزل ربنا سيدنا آدم إلى الأرض وقال له يا آدم أنا المَلِك، وأنا أريدكم عندي في الجنة كي أفرحكم وأمتعكم، أما عبادتكم فأنتم المستفيدون منها ومن الجنة، ستنعمون بجواري ونعيم كثير فإذا أردتم العودة للجنة ثانية وعدم الذهاب للنار فعليكم بالتقوى والاهتداء.



﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: 123] لا تضل في الدنيا، قد تعيش تعيسًا تبحث عن السعادة ولا تجدها: **﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾** [طه: 123] في الآخرة **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾** [طه 124] فالسعادة ليست بيد أحد إلا المَلِك، هل تعلم أن ربنا عندما يأذن للقلب - الذي هو عبد **الله** أيضا - أن يبقى سعيدًا، سيعيش سعيدًا، ولو لم يأذن للقلب بذلك لن تتحقق سعادته أبدًا مهما بحثنا نحن عن كل أدوات الترفيه **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾** [طه 124] الملك لم يأذن له بالسعادة **﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾** [طه 124].



إذن مُلك الدنيا والآخرة بيد المولى جل وعلا وحده، ولا بد أن يعلم العبد أين يعيش، من يملك مأكله ومشربه وملبسه؟ فكل ذلك ملك **الله** عز وجل وهو الذي سمح له أن يلبسه. فلو أن شخصًا عنده مائة بعير فهي في الأصل ملك لله عز وجل إلا أن **الله** سمح له أن يمتلكها ويعيش في خيرها ويأكل من لحمها ويشرب من لبنها.

وقد خلق **الله** الإنسان وجعل الأصل فيه النقصان حتى يرى الإنسان في نفسه صفات النقص، فعندما يرى ضعفه يعرف قوة خالقه سبحانه وتعالى، وعندما يرى نقصه البشري يعرف كمال خالقه سبحانه وتعالى، والعكس عند ما ترى كمال **الله** عز وجل تعرف احتياجك ونقصك، فإننا في حاجة دائمة لله عز وجل، محتاجون إليه في كل احوالنا.



وقد ينسى الإنسان نفسه أحيانًا ويظن أنه يملك كل شيء أو أنه يستطيع اتخاذ كل القرارات المصيرية الخاصة به وحده وهذا الإنسان الذي يظن ذلك من نفسه مخطئ بالطبع ألم يقرأ قوله تعالى: **﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾** [البقرة: 255] الحي القيوم: حي لا يموت وهو قائم على الدنيا، أي هو الذي يمدها بمدده سبحانه وتعالى.

ولو قطع **الله** المدد عن الدنيا فسنضيع جميعًا، فإذا قُطع الهواء عن الناس فسيموتون، وإذا تأخر المطر مثلاً على قرى كاملة فستموت من الجفاف، إذن فهو القائم علينا ونحن محتاجون إليه في كل لحظة.. كيف تدق دقات قلبي؟ كيف تبقى روحي بداخلي؟ إذا نحن عباد ضعفاء فقراء لا نملك أي



شيء من أمرنا وأنت لست قائمًا بذاتك بل بعونه سبحانه لك، فإنه حي قيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم.

لقد سأل سيدنا موسى ربنا: يارب كيف لا تنام؟ قال يا موسى أمسك قارورتين وقف. فظل سيدنا موسى ممسكًا بالقارورتين واقفًا، ومرت ساعة واثنتان حتى نام، فوقعتا. قال **الله** يا موسى: هكذا انا، فلو نمت لسقطت السماوات والارض. وليس من صفات ربنا أن ينام لأنه عظيم سبحانه فهو المَلِك صاحب النعم أما نحن فعباد نعيش في مُلكه نأكل من خيره، فينبغي ألا ننسى هذا أبدًا. **(لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** [الشورى: 49] جلَّ في علاه، كما قال سبحانه: **(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي**



بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83) [يس: 82، 83].

كنز اليوم هو ألا ترى إلا المَلِك الذي يملك كل شيء فتعيش عبدًا في مُلكه.

من أجل ذلك عرَّفوا العبودية فقالوا: ألاَّ تحرِّك ساكنًا ولا تسكن متحركًا إلا بأمر من رب العالمين.

لكن ما المشكلة التي يقع فيها البشر؟ هي أننا ننسى.. أننا عبيد في مملكة المَلِك، فيبدأ الواحد منا في التصرف وكأنه الملك مع أنه لا شيء له.

لقد خلقنا **الله** في هذه الدنيا مخيرين في التصرف: **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) أَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9))** [الشمس: 7-9] طهر الصفات الدنيئة التي فيها، وذكرها دائمًا



بعبوديتها لله ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (10)﴾ [الشمس: 10] تركها للكبر، وتركها لحب رؤية النفس وحب الشهرة والتملك، فظنت النفس أنها رب، ولذلك لمَّا ترك فرعون لنفسه العنان قال: **﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾** [النازعات: 24] ولما ترك إبليس لنفسه قال: **﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾** [الأعراف: 12] كيف تقول لي يارب اسجد لمخلوق أقل مني في المستوى؟ أنا.. أنا.. ليس هناك شيء اسمه أنا، بل هو سبحانه ونحن جزء من ممتلكاته عز وجل. كيف يحجبك عنه شيء؟ كيف يكون هناك حاجز بينك وبينه؟

ظننت نفسي أمتلك شيئًا فحجبت عنه. وهو الذي خلق لي كل شيء؟ إذن هو الخالق وأنا أستخدم الأشياء التي أذن لي فيها مَلِك الملوك.



إن مصر في إحدى الفترات الزمنية - على سبيل المثال - كانت تريد بناء السد العالي وكان في منطقة البناء معبد، فاستعانت مصر بسبعين شركة بمعداتها لأداء هذا العمل ونقل الطوب في مكان ما حتى يمكن بناؤه.

مع أن سيدنا سليمان وهو مَلِك نبي نقل عرش بلقيس بغاية السهولة بعون **الله** عز وجل فقد أعطاه **الله** من ملكه سبحانه وتعالى قال ذات يوم: **(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)** [النمل: 38] من يأت لي بعرش بلقيس ملكة سبأ؟ (قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ) [النمل: 39] أحد الجنود يعمل في خدمة سيدنا سليمان **(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)** [النمل: 39] أي قبل انقضاء مجلسك



هذا، دون زيادة أو نقصان. و(**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ**) [النمل: 140] شخص عنده قدر أكبر من العلم وقيل: يعلم اسم **الله** الأعظم الذي إذا دعي به أجاب: (**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**) [النمل: 140] اي قبل ارتداد طرفك إليك سيكون عندك. وفجأة وجد سيدنا سليمان العرش أمامه بمجرد أن تحركت أجفانه، (**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي**) [النمل: 140] فسيدنا سليمان يقول: أنا لم أفعل شيئا، بل **الله**. ولا أستطيع أن أفعل شيئا. بل **الله** المَلِك يحكم بما يشاء في مُلكه ويفعل ما يريد، لست أنا ولا إمكانياتي بل هذا تفضل منه سبحانه (**لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**) [النمل: 40] فالله لا



يحتاجني ولا يحتاج لملكي بل هو الذي أعطاني مُلكي.

كل هذا يؤكد لنا أن الإنسان ينبغي عليه ألا يتكبر لمجرد أن **الله** رزقه شيئًا من فضله وكرمه.

فما رأيك أن تخرج عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبًا ومن حضرته قريبًا، اخرج من صفات البشرية في حب التملك وحب الذات وحب الهوى، اخرج من أوصاف بشريتك من أجل أن تسمع ربنا عندما يكلمك.. انتبه إذن فلو ظن الإنسان أنه يملك شيئًا فسيطرده ربنا؛ لأنه لا يحب الملوك ولكنه يحب العبيد، وليس المقصود ملوك البلاد أو شخصًا يمتلك شركة وإنما المقصود أن **الله** لا يحب من يرى نفسه ملكًا، فمن الممكن أن يكون شخص ملك



بلد أو صاحب شركة أو مليارديرًا وهو عبد مطيع لله عز وجل مع ذلك، عندها يعرف **الله** ويفتح له سبحانه ابواب القرب منه لكن إذا رأى نفسه ملكًا لشيء فإنه إذا يحرم كل هذا الفتح وذاك النور الرباني. فهذا لا ينفع. وهل يصح ملك وملك؟: **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّه لَفَسَدَتَا)** [الأنبياء: 22].

ومن أعظم صفات الملك - الربوبية - أنه بيده كل شيء فهو يملك سبحانه وتعالى: **(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)** [الأعراف: 54] ومن هنا فلو صرنا عبيدًا لله لأصبحنا سادة في الدنيا والآخرة. ويكفي أن تكون غاليًا عند **الله** فيجعلك تراه بقلبك حين يرى في قلبك كلمة: أنا عبد أعيش في مُلكك يارب لا أملك من أمري شيئًا، ألا تعلم أن **الله** علم نبيه هذا التسليم؟ قال رب العالمين للنبي ﷺ **(قُل**



لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّه) [الأعراف: 188]، النبي الذي لم يكن محتاجًا لأن يقول يارب، والذي كان ينظر إلى السماء فيقول له سبحانه: **(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا)** [البقرة: 144] يقول له ربه عز وجل: أنت لا تملك لنفسك شيئا. فلنتخذ النبي ﷺ قدوة: فهو سيد الدنيا والآخرة وأكثرنا عبادة وطاعة، فكلما كنت عبدًا رفعك **الله** في المراتب العالية وكلما كنت مسيطرًا ومهيمنًا وترى نفسك مالكًا لكل شيء أذلك **الله** وأخزاك.

فسيدنا يوسف كان عبدا لكنه كان يملك شهوته فقد كان عبدًا لله فنصره **الله** على شهوته وسيَّده عليها. فلما قالت امرأة العزيز **(هَيْتَ لَكَ)** [يوسف:



23] قال: **(مَعَاذَ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ)** [يوسف: 23] لا لن أعمل هذا. وهي المَلِكة كانت أَمَة لشهوتها. فماذا حدث بعد ذلك؟ لقد أصبح سيدنا يوسف هو المَلِك اما هي فلم يعد لها ذكر ولا مكانة. لذا قالت عندما رأته: سبحان من صيَّر العبيد ملوكًا بطاعته. وسبحان من صير الملوك عبيدًا بمعصيته.

وخلق **الله** الإنسان ليكون عبدًا، وقال سبحانه: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)** [التين: 4] وذلك إن لم يكن عبدًا لشهوته **(ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)** [التين: 5] إذا أصبح عبدًا لشهوته، وأكثر شيء يجعل الإنسان ذليلًا أن يتذلل للمعصية، وأن يحاول مرارًا أن يكلم أي فتاة، ويصبح مكتئبًا إن لم ينل مراده، ويشعر بضيق شديد إن لم يبد



الناس إعجابهم بكلامه او بشخصيته، إنه عبد ذليل؛ ذليل للشهرة، ذليل للجنس الأخر، ذليل لنفسه، وذليل للمال. **الله** عز وجل هو الذي يملك كل شيء، انشغل بالَمِلك يسخر لك كل شيء في الدنيا، انشغل بالمَلِك يفتح لك الخزائن.

عندما نعيش بهذا الكنز لا نرى إلا **الله** عز وجل، لا نرى لأنفسنا أي حق في أي شيء، ولذلك فعندما نأتي امام ربنا عز وجل يوم القيامة، سينزع منا املاكًا كنا نظنها ملكنا. يقول **الله** عز وجل: **(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ)** [يس: 65] لن تتكلم، لكن لو كنت من الصالحين ستتكلم كما قال رب العالمين في سورة النبأ **(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ)** [النبأ: 38] فسيدنا جبريل،



والملائكة واقفون، والبشر، والنار موجودة، والملائكة مصطفون، والجميع في صمت، ولكن جبريل لم يعص، والملائكة لم تعص. البشر هم الذين عصوا فقط، ولذلك يقول سبحانه: **(الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ)** [يس: 65] فستتكلم يداك بالمعاصي التي اقترفتها، فالست ملكًا على أحد ولست مَلِكًا حتى على يديك، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فهذه اليد ملك لله وهو صاحبها ومسخرها.

وقال سبحانه: **(وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ)** [فصلت: 21] والحقيقة ان جوارحك تحب **الله** عز وجل ولكنك انت الذي أجبرتها في الدنيا على فعل المنكرات، فيدك تحب **الله** عز وجل ورجلك تحب



السعي إليه سبحانه وكذلك بقية جوارحك. إن الله هو الخالق المالك، يقول عز وجل:

﴿هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [فصلت: 21] فلا تتحرك إلا بإذنه، فأنت عبد في مملكة المَلِك، لا تفعل إلا ما يرضيه، هَبْ أن شخصًا دخل بيتك فما المكان الذي سيتحرك فيه، هل تحب أن يدخل في مكان لا ينبغي له أن يدخله، ماذا لو دخل حجرة نومك، وجلس فيها، هل تحب أن يفتح الثلاجة ويشرب ولو قليلًا من الماء بدون إذنك أتحب أن تقتصر حركته في المكان الذي حددته له؟

والنبي ﷺ علمنا أن نطرق على الباب، ولا نقف في مواجهته بل أن نجعل ظهورنا للباب حتى لا نكشف ستر المنزل، لان هذا ليس مِلْكنا فمن علّمنا هذا الخُلق والأدب أولى أن نتأدب معه.



ويقول المصطفى ﷺ: «**من كانت الدنيا همه شتت الله شمله، وجعل فقره بين عينيه، ومن كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل الله غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**» [82]، وهذا الصنف الأول الذي يجعل **الله** فقره بين عينيه كلما فتح عينيه رأى نفسه محتاجًا فقيرًا.

إن القلب لا يحمل إلا همًا واحدًا فلتجعله رضا **الله** عز وجل وحب **الله** وتمني رؤيته، ولا تكن عبدًا للدنيا، عبدًا لمديرك، عبدًا لامرأتك، عبدًا لصاحبك، عبدًا لمن يعطيك مالًا، عبدًا لشهواتك. فلن يأتيك بعد ذلك كله إلا ما قد قدر لك.

أما الصنف الثاني وهو من جعل **الله** غايته فإن **الله** سبحانه وتعالى يملأ فؤاده بالغنى، وتأتيه الدنيا لأنها جزء من ملكوت **الله**، ونحن يوم القيامة



سندخل بها الجنة إن شاء **الله** تعالى بشفاعة النبي ﷺ، والله عز وجل في الآخرة سيجعل النبي غاية يشفع لنا وهو القائل: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» [83] وقد أعطاك **الله** النبيَّ ﷺ في الدنيا والآخرة.

يجب ألا نرى إلا ملكا واحدًا، مَلِكًا لكل شيء، وفي يوم القيامة سنرى قدرته العظيمة، سيأخذ السماوات بيمينه ويقول انا المَلِك اين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يأخذ الأرضين بشماله ويقول أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ولا أحد يقول أنا! أين من كان متكبرًا عتيًّا في الدنيا؟ أين من كان يملك السيارات؟ أين من كان يقول أنا الدكتور الفلاني؟ لكنني يارب عبد أحتاج إليك آتي إليك فقيرًا ذليلاً، وإذا أتينا عبيدًا بإرادتنا فسيقال



لنا عند الموت: **﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾** [الفجر: 27–30] وهنا نستحق التهنئة فذلك فوز كبير.

لن يبقى أحد إلا الملك عز وجل، فالموت مكتوب على كل مخلوق، يقول سبحانه: **﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (93) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95)﴾** [مريم.93-95].

الفوز في ألا نرى في الدنيا إلا المَلِك عز وجل، فلا نتحرك إلا بأمر منه هيا تساعد بعضنا لنتقرب من المَلِك، لا أحد يتكبر على أحد، ولا أحد يمنع خيره عن أحد، لأنك لو منعت خيرًا تراه مِلْكَك فهو ليس كذلك فقد يسلبه **الله** منك ويعطيه غيرك،



فلتنفقه عن رضا فذلك أفضل وأحب إلى **الله** من أن يكون بغير إرادة منك، فهو مال **الله** عز وجل وليس مالك ولذلك فلا بد أن نعطي مال **الله** للناس.

ورسولنا الكريم يقول: «**من كان معه فضل ظَهْر فليعد به على من لا ظَهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له**» [84] قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منا في فضل، والظهر أي الدابة.

أي من كان له سيارة فليحمل أخاه فإنها مِلكٌ لربه، ومن كان عنده مال يزيد على حاجته فليعد به على الفقير والمسكين واليتيم والمحتاج والسائل، وبهذا نرى **الله** عز وجل في أفعالنا كلها وتتجسد العبودية فينا خير تجسيد والله من وراء



القصد وهو يهدي السبيل وصلى **الله** على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

[76] صحيح مسلم رقم (4995)، سنن أبي داود رقم (4107).

[77] صحيح البخاري رقم (6038).

[78] المستدرك على الصحيحين رقم (3595).

[79] رواه الشيخان.

[80] رواه مسلم رقم (18203).

[81] صحيح البخاري باب (وكان عرشه على الماء) رقم (6872).



[82] سنن الترمذي رقم (2389)، مسند أحمد رقم (20608).

[83] سنن أبي داود رقم (41 14).

[84] صحيح مسلم رقم (3258).



الحديث الثاني والعشرون

الله اللطيــف



الله اللطيف

يقول ﷺ: «إن الله ملائكة يطوفون في الطرقات يبحثون عن مجالس الذكر أو حلق الذكر. فإذا ما وجدوا أقوامًا يذكرون الله. تنادوا. هلموا إلى بغيتكم. فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء. فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: يا ملائكتي كيف وجدتم عبادي. قالوا: يارب وجدناهم يحمدونك ويكبرونك ويهللونك. قال: هل رأوني. قالوا: لا يارب لم يروك. قال: فكيف لو أنهم رأوني؟! قالوا: لو رأوك كانوا أشد تحميدًا وتهليلاً وتكبيرًا. كانوا أشد لك ذكرًا.



قال: ماذا يطلبون؟. قالوا: يارب يطلبون الجنة. قال: هل رأوا الجنة؟ قالوا: لا يارب لم يروا الجنة. قال: فكيف لو رأوا الجنة؟ قالوا: يارب لو رأوا الجنة كانوا أشد لها طلبًا. وأشد عليها حرصًا. قال: مم يتعوذون؟ قالوا: يارب يتعوذون من النار، قال: هل رأوا النار؟ قالوا: لا يارب لم يروا النار. قال: فكيف لو رأوا النار؟ قالوا: يارب لو رأوا النار كانوا أشد منها هربًا وخوفًا. قال: أشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول مَلِك: يارب. منهم فلان الخطاء. إنما جاء لحاجة. قال: وله غفرت. هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. اشهدوا أني قد غفرت لهم» [85].

إن معرفة لطف **الله** عز وجل كنز مهم للغاية، وهو كنز يجعلنا نشعر بقرب ربنا. وهذا الكنز هو كنز اللطف. والمقصود باللطف الحنان والرقة.



اللطف الذي سيجعلنا نجد يوم القيامة في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إن هناك لطفًا خفيًّ لربنا علينا، يقول الشاعر:

وكم للّه من لطف خفيًّ يدق خفاه عن فهم الذكيَّ

وكم يسر أتي من بعد عسر ففرج لوعة القلب الشجيَّ

وكم أمر تُساء به صباحًا وتعبه المسرة في العشيّ

إذا ضاقت بك الأحوال يومًا فثق بالواحد الأحد العليّ



هناك أمور كثيرة يعملها **الله** لنا ويكون فيها نفعنا. أحيانا يكشف ربنا الغيب لنا. فيعلمنا بعض الأشياء والتي نتعجب منها ونقول: سبحان **الله**. وهذه الأمور تحدث كثيرًا ونحن غير واعين.

إن **الله** هو الذي يخبرنا بما يفيدنا، فقد عرفنا منه عز وجل أن الملائكة سجدت لسيدنا آدم وربنا عظم بني آدم بهذا.

وقد عرفنا منه أيضًا أن هناك عدوًا لنا اسمه الشيطان يحاول أن يوسوس لنا ليخرجنا من النور إلى الظلمات.

وقد عرفنا من **الله** كذلك أن الجنة مجهزة لنا وأن الملائكة في انتظارنا وفي استقبالنا وأن جهنم لا تحب العصاة وهي أيضًا مجهزة لتعذيب الكفار



والعصاة. وكل ذلك كشفه لنا **الله** بلطفه وبكرمه سبحانه وتعالى.

وهكذا يمكن القول إن الملائكة هي لطف **الله** الخفي. فهي مخلوقات كريمة وشريفة جدًا تسعى من أجل خدمتنا.

فنعم **الله** ليست في الطعام والشراب والزوجة وغير ذلك فقط، وإنما هناك نعم لا نراها، ومنها الملائكة.

فالحديث يقول: إن لله ملائكة خلقهم يطوفون في الطرقات. لم نكن نعلم أننا ونحن جالسون في مجالس الذكر سيقول ربنا للملائكة: أشهدكم أني قد غفرت لهم. الملائكة المحيطون بنا يخدموننا. هناك مَلَكٌ عظيم اسمه ميكائيل. موجود من أجل المطر والرزق. وهناك ملائكة تصعد بالأعمال حتى



يرى ربنا سبحانه وتعالى أعمالنا الصالحة. وملائكة حافظون **﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾** [الانفطار 10-11] وملائكة وجوههم كالشمس وعلى رأسهم ملك على وجهه نور أجمل من الشمس. وهناك ملك الموت. وهناك ملائكة الرحمة يأتون عند قبض أرواح المؤمنين. كما قال ﷺ وجوههم كالشمس منورة **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ﴾** [النحل: 132]. الملك يقول لك السلام عليكم قبل أن يأخذ روحك، وهناك ملائكة آخرون يخدموننا في الجنة. منهم رضوان خازنها عليه السلام. كما في صحيح مسلم. النبي يطرق فالملك يفتح الباب. وبعدها قليلًا **﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (23)**



سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد: 23-24] يخدموننا في الجنة.

هل الإنسان الذي يرتكب المعاصي لا يراه **الله**؟ أهو غير قادر عليه؟

لا هذا ولا ذاك، وإنما ربنا رحيم ولطيف. هل من الوارد أن **الله** لم يعاقبه لأن هناك ملائكة تستغفر له. **(تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ)** [الشورى: 5] فالسماء ستقع من كثرة معاصي الناس ومن كثرة تعظيمها لربنا يقول سبحانه: **(وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ)** [الشورى: 5] ما هذا؟ هل من الوارد أنني عندما نمت عن صلاة الفجر لأنني غير قادر أو عندي عمل أو غير ذلك، فايقظني **الله** سبحانه ان هناك ملكًا ظل يقول يارب سامحه. أعطه فرصة



أخرى ليعيش يومًا آخر وتنعم عليه بنعم أخرى لعله يتعظ ويقول لن أؤخر صلاتي ثانية؟ هل من الممكن ان نعيش هكذا باستغفار الملائكة؟

نعم فقد أخبرنا القرآن بذلك: **﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾** [الشورى: 5] هل تعلم أمة محمد أن هناك ملائكة ما بين شحمة أذنهم إلى عاتقهم. مسافة يطير الطائر فيها سبعمائة عام؟ إنهم حملة العرش، عددهم ثمانية، ترى ماذا يعملون؟ إنهم يسبحون كما قال رب العالمين: **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾** [غافر: 7]. إنهم يستغفرون لنا، وكأنهم يقولون لله: معذرة، فهذا



يشرب مخدرات وهذا يشرب خمرًا. وهذا يشتم أمه! وكأنهم يقولون: سامحهم يارب لقد تابوا عن هذه المعاصي، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [غافر: 8] هل من الممكن أن ندخل الجنة بدعوة المَلِك؟ هل من الممكن أنني لو دعوت لواحد من الناس بأن يكرمه **الله**، هل من الممكن أن يدعو لي الملك بمثلها؟ نعم وقد أخبرنا النبي ﷺ بذلك. فكل هذا موكل به مَلَك. فإذا دعا لأخيه قال له الملك: «ولك بالمثل». ما هذا اللطف الخفي وما هذه الرحمة الخفية يارب؟

إن **الله** كريم جدًا والملائكة تقول: **﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ﴾** [غافر: 8]. يارب أدخلهم مع أسرهم حتى لا يبقوا في الجنة وأسرهم في جهنم،



فكما كان هناك حب بينهم في الدنيا جعلهم في الجنة مع بعضهم يارب العالمين.

ما هذا اللطف؟ وما هؤلاء الملائكة؟ إن الإنسان لم يعلم بهؤلاء الملائكة ولم يفكر فيهم أصلًا. هناك إذن لطف خفي ومغفرة. ومن ذلك الملائكة التي تخدمنا وتحفظنا وتستغفر لنا وتصعد بأعمالنا إلى السماء.

وهذا جزء مما نفهمه من قوله تعالى: **(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)** [النحل: 8]. وقوله سبحانه: **(وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** [الإسراء: 85].

ومن هنا فنريد أن نتخيل أنفسنا يوم القيامة. وأمامنا جيش من الملائكة، أقدامهم كبيرة للغاية، ضخام جدًا، ذوو أجنحة. من هؤلاء؟ هؤلاء من قيل لهم أشهدكم أني قد غفرت لهم. هؤلاء هم



الملائكة الشهود. ففي يوم القيامة هناك قواعد للحساب. ومن قواعد الحساب أن هناك شهودًا. ومن الشهود **الله** سبحانه وتعالى. **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا)** [النساء: 33]. والملائكة شهود. «**أشهدكم أني قد غفرت لهم**» [86] أي ساعدوا البشر يوم القيامة.

وذلك لأن الملائكة كان رأيهم في البشر منذ بداية الخلق أنهم أهل معصية وأنهم سيفسدون في الأرض. فقال **الله** لهم: لا ليسوا كذلك كلهم. **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)** [البقرة:30]. وكأن **الله** بعد ذلك يقول: إنكم



قلتم هذا منذ زمن بعيد، ما رأيكم فيهم الآن؟ هل وجدتموهم يفسدون في الأرض؟ أم وجدتموهم صالحين في أمة محمد ﷺ؟ فهؤلاء لهم مقام كبير عند ربنا سبحانه وتعالى. «**شاب يؤمن بكتابي ويرضى برزقي ويحبس شهوته من أجلي، هو عندي كبعض ملائكتي**».

هذا هو الكنز المفقود. إن عبادك رأوك في كل مكان بقلوبهم يارب، رأوا المنعم، ورأوا الرزاق، ورأوا اللطيف، ورأوا الحكيم في تصريف شئونهم. وهم بذلك لا يستطيعون أن يبعدوا عنك. فهم يذكرونك دائما. فيكرمهم بأجمل ما في الجنة. رؤية **الله**، كما قال رب العالمين: **﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)﴾** [ق: 35] أي في الجنة. يعني لهم ما يشاءون والمزيد رؤية ربنا عز وجل.



نعم كل المنافع الشهوانية المادية جميلة، لكن النفسية والروحانية أجمل بكثير. فكثير من العبيد غير مدرك أن رؤية ربنا في الجنة أجمل من الحور العين، ومن الأكل، ومن الشرب. سنرى ربنا.. فمن لم يدرك قيمة رؤية ربنا عز وجل يوم القيامة فذلك لأنه لم يذق حلاوة رواية ربنا بقلبه في الدنيا، كما قال رب العالمين: **(فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ)** [الفتح: 18]؛ فمن لم يعرفه لم يدرك قيمة القرب منه. ومن رآه فسيدرك قيمة القرب من ربنا فيقول يارب نرجو رؤيتك في الجنة. شعرنا بك ورأيناك بقلوبنا في الدنيا؛ ولذلك نرجو رؤيتك في الاخرة.

«**هل رأوا الجنة**؟ إن أحلى ما في الجنة جوار الملك ورؤيته عز وجل فكيف لو أنهم رأوها؟» [87]



إن بالجنة نعيمًا عظيمًا، يقول سبحانه: **(وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا)** [الإنسان: 20] إذا رأيناها فلن نترك الذكر، وسنظل جالسين في دروس العلم ونقرأ القرآن ونخدم المسلمين. ونعمل ونحن نذكر **الله**. كل هذا ذكر، كل هذا لله. نعيش من أجل ذلك. **(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** [الأنعام: 162]. «قال: مم يتعوذون؟ قالوا: يارب» [88]، يتعوذون من النار. قال: هل رأوها؟ قالوا: لا يارب». لقد عرفوا فيها أمرين. الأول: أنهم لن يروك. فهناك حجاب في النار. **(كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)** [المطففين: 15]. وأسوأ ما في النار من العذاب وجود الحجاب. لن تروه. ليس من حقكم رؤية ربنا. ليس من حقكم



الكلام مع ربنا وإن اعتذرتم. (**رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108)**) [المؤمنون: 106-108] لا كلام هناك (**يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ**) [غافر: 52] لا مجال للاعتذار (**هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ**) [المرسلات: 35] أسوا ما في النار الحجاب عن **الله**، كما ان اسوا ما في الدنيا الحجاب أيضًا، فالعاصي في الدنيا لا يحس بقربه من **الله** لأنه في حجاب عنه.

أما الأمر الثاني فهو العذاب في النار، أي الحريق للأجساد. ولكن يظل أسوأ ما في الدنيا والاخرة البعد عن مَلِك الملوك. سبحانه وتعالى، جل في علاه.



«قال: أشهدكم أني قد غفرت لهم». تذكر أن الملائكة معنا الآن. فالله قد أخبرنا بذلك وكلامه سبحانه وتعالى صادق

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 187] فيأتي مَلَك من الملائكة ويقول: هناك شخص يقترف معاصي كثيرة. وهو لم يأت من أجلك يارب. قد يقول شخص لماذا تعترض يا مَلَك، ألست ملكا طيبًا وحنونًا؟ لماذا تعترض؟ إن ما جعله يعترض أن **الله** أراد أن يعلمنا شيئا، فهناك أناس بعد حضورهم درسًا في المسجد وانصرافهم إلى منازلهم يقولون هل سيغفر لنا **الله**، فنحن عصينا **الله** كثيرًا. بل إنني لم آت إلى المسجد من اجل **الله**. او إنني كنت أشاهد التليفزيون فوجدت من يتكلم في الدين فقلت أستمع له ولو لفترة صغيرة ما دمنا في رمضان. إن من جعلك تستمع لدرس



العلم في المسجد أو في البيت هو **الله** الذي يريد أن يغفر لك. هو من جعل قلبك ينجذب لكلامه. هو من جعلك تمر أمام المسجد وتجد الشيخ يلقي خطبة ولو لمدة خمس دقائق. إن **الله** هو الذي جعلك تمكث في المسجد لتسمع الخطبة أو درس الدين، بل هو الذي دفعك إلى ذلك دفعا كما قال رب العالمين: **﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾** [هود: 5]، فالله متحكم في كل مخلوقاته، سواء في الدنيا أو في الآخرة. فقد جعلك ربك تستمع للدين وللعلم حتى يغفر لك.

لقد قال العلماء إن كل الأعمال يشترط فيها النية. إلا مجلس العلم والذكر. لو جلست معهم فزت، فالله سبحانه وتعالى يقول: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» [89]. ومن هنا فلا بد أن



نحضر في كل يوم دروسًا في المساجد أو نسمع برامج دينية في التليفزيون. لا في رمضان فقط إن استطعنا، وإنما كل يوم؛ أشهدكم أني قد غفرت لهم.

فالقلب مثله مثل الأرض. تخيل اثنين اشترى كل واحد منهما أرضًا، أحدهما اهتم بها، استمر كل يوم ينقيها من الحشائش والحشرات. فأصبحت صالحة للزراعة، فبمجرد أن يرويها بالماء تنمو فيها أحلى أنواع الزروع وهذا مثال القلب الصالح لاستقبال رسائل ربنا، ومنها قرآنه وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام. اما الآخر فاشتراها وتركها فبدأت الحشرات تنتشر فيها وبدأت الحشائش تنبت فيها ونما فيها الشوك، فأصبحت بذلك مكانا للأفاعي والحيات والثعابين. وبالتالي كلما يريد أن يزرع فيها يجدها مليئة بالثعابين والحشرات. فدروس



الدين والعلم، والذكر والقرآن أيضا مثل الماء الذي يغسل تراب القلب بسبب كثرة المعاصي في الدنيا، وكلما تقترب القيامة تكثر الذنوب وتكثر الفتن. ومن هنا فمجلس العلم ومجلس الذكر بمثابة طبيب لقسوة القلوب. **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ)** [الحديد: 16] تركوا أنفسهم للمعاصي والشهوات. **(فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (16) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)** [الحديد: 16] فالأرض التي لم يكن فيها أمل وكانت بورًا وعبارة عن حفنة تراب، احياها **الله** سبحانه وتعالى بعد موتها.



فما رأيك أخي المسلم أن تصلح قلبك لربك سبحانه وتعالى. فإنه محل نظر ربنا عز وجل. فما بالنا لو نظر ووجد به أمراضًا وشهوات فعند ذلك سنندم ندمًا شديدًا **(يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)** [الشعراء: 88،89].

إن ربنا منَّ على الأمة الآن، فأصبحت الدروس والبرامج كثيرة في الإعلام. فمنذ خمسين إلى ستين سنة مضت كان من الصعب أن تجد شيخًا على التليفزيون. لكن من فضل ربنا على هذا الجيل هذه الصحوة التي نجدها في المساجد وفي البرامج، وأصبحت البنات والنساء يذهبن إلى المساجد. قال ﷺ. كما في الصحيحين من حديث ابن عمر: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**» [90] فالمسجد غير مختص بالرجال فقط وإنما يصح



للنساء والبنات الذهاب إليه للصلاة وسماع دروس العلم والدين.

فربنا سبحانه وتعالى يساعدنا ويأخذ بأيدينا دائمًا. فربنا رب لطيف. ونحن غير منتبهين لذلك ولا نرى هذا اللطف لقصر نظرنا، لذا ينبغي على كل مسلم أن يأخذ بيد أخيه المسلم ويخبره دائمًا بمواعيد الدروس في المساجد وفي التليفزيون؛ وذلك حتى تملأ الملائكة الأماكن التي نتذكر فيها **الله** ونتدبر آياته فنفوز بمغفرته فهو الذي قال: **«أشهدكم أني قد غفرت لهم»**.

---

[85] صحيح البخاري باب (فضل ذكر **الله**) رقم (5929).

[86] صحيح البخاري رقم (5929).



[87] صحيح البخاري رقم (5929).

[88]سبق تخريجه.

[89] صحيح مسلم باب (أفضل مجالس الذكر) رقم (4854).

[90] صحيح البخاري رقم (849)، صحيح مسلم رقم (668).



الحديث الثالث والعشرون

ذكـــــر الله



ذكر الله

قال ﷺ: قال الله: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**» [91].

إن أقصر رحلة هي الذكر، وأسهل عبادة تملأ قلبك بالله هي الذكر، انتبه فإن الذكر عبادة تملأ القلب بالقرب من ربنا سبحانه وتعالى وتطرد أي شيء من القلب سوى **الله**.



فعلى قدر كثرة ذكر **الله** يمتلئ قلبك بالله، وعلى قدر الغفلة عن ذكر ربنا سبحانه وتعالى، يملأ القلب بما تسمعه الآذان وتراه العيون، إذًا يمكننا الاتفاق على قاعدة، وهي أن القلب هو الملك. هذا الملك يستوعب الأجهزة والجنود والقنوات توصلها له، العين توصل للقلب وتملؤه، والأذان توصل للقلب وتملؤه، فالقلب مليء بالآثار، كلما أرى سيارة جميلة أفكر فيها، أرى حذاء يعجبني، إذن سأصلي وفي قلبي حذاء أتمنى شراءه، وربنا يرى قلبي، وأنا أفكر في الحذاء، فالله يرى في نفسي وقلبي هذه الأمور.

ليس الذكر مجرد عبادة بل هو حياة، ليس دعاء الخروج من المنزل مثلًا إلا بداية، وهو ما يسمى ذكر الخروج من البيت، وهناك ذكر أثناء اللبس، ذكر عند دخول الحمام، وهكذا كان النبي ﷺ إذا



دخل الخلاء قال: «**بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»، فالذكر يكون في كل موقف وفي كل مكان حتى يمتلئ القلب بحب **الله** من كثرة الذكر، وهذا اجمل ما يحدث لبني آدم، وهذا ينبهك إلى رواية المنعم في النعمة، فتجد من يشترى سيارة فيتكبر ويقول هذه سيارتي، وآخر يرى سيارته فيقول: إنها من المنعم، وشخص يرى الكرسي، يجلس عليه ويقول: أنا صاحب عمل، والثاني عندما يرى هذا الكرسي يقول: الحمد لله.

الفارق بين الاثنين أن القلب الثاني مليء بالذكر، ولسانه كذلك، وكان بعض الصالحين قديمًا من كثرة ذكره لله يبكي إذا سمع كلمة «أحبك» فقد أصبح كل شيء يذكره بحب **الله** في قلبه، وأول ما سمع شخصا يقول: (أحبك) يذكره بالله ويجعله منشغلًا به.



كان سيدنا بلال واقفًا ذات يوم يشاهد سباق خيل فمرّ به رجل فسأله: من الذي سبق؟ فقال: سبق المقربون. فقال له: أنا لا أسألك في الدين الآن. بل أقصد أي حصان فاز؟ أي فارس كسب؟ فأنت تقول لي: سبق المقربون، أنا لا أريد شيئًا. أين الطريق؟ فأشار إلى السماء وقال: من هنا؟ إنه واقف في السباق يشاهد أكثر من حصان يجري ولكن قلبه يذكر قوله تعالى: **(وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)** [المطففين: 26]، **(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ)** [الأنبياء: 90] ما الذي صرف عينيه عن الدنيا هكذا؟

إنه لا يرى إلا ربنا والسباق إلى **الله**، من أجل ذلك فأنا أصلي ولكن لا أشعر بربي في الصلاة، أقف بين يديه. أقرب ما يكون العبد من ربه وهو



ساجد ولكني أشعر بضيق الصدر إنه أمر محزن جدّا فمن المفترض أنه قريب من ربنا، ولكنه بعيد جدًا، فالساجد لله قريب منه بجسده ولكنه قد يكون بعيدًا بقلبه، فهيًا نقترب بقلوبنا ونشعر به في الركوع والسجود ونستشعر ما نقرؤه من القرآن فإن له عظيم التأثير في القلب، كيف لا يخشع القلب والله تعالى يقول: **(لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)** [الحشر: 21] لا يعصي، فليس في الذكر إلا علاج القلب، ولذلك قالوا: إن الذكر مثله مثل الشخص الذي يلبس بأناقة دائمًا حتى يكون جاهزًا لمقابلة المَلِك. دائما ينفض التراب عن قلبه فهو جاهز لاستقبال المَلِك أو الدخول على المَلِك، ولله المثل الأعلى.



إن الذكر بنوعيه (ذكر اللسان وذكر الأعمال كالصلاة والزكاة) مهم جدًا فهو يربطك بالله سبحانه وتعالى ويجعل قلبك دائم الصلة به سبحانه وتعالى، فإذا أتيت ذنبًا ثقل عليك وكان همًا وغمًا فتلجأ إلى **الله** عز وجل وتصلح ما وقعت فيه.. كما أن ذكر **الله** يورثك حسن الخلق ومعاملة الناس بإحسان، ويعينك على رؤية **الله** عز وجل في كل شيء.

إن الذكر يحفظك من عدوك وهو الشيطان، ويحفظك من الدنيا، فإنها - كما يقال - بنت إبليس، يرسلها لمن أراد إغواءه، فأنت بالذكر تنتصر عليه، وتطلق هذه الدنيا، كما قال علي بن أبي طالب كرَّم **الله** وجهه: «يا دنيا غُرِّي غيري فقد طلقتك ثلاثًا».



إن القلب الذاكر لله عز وجل قلب حي يقبل كل رسائل **الله** عز وجل إليه، أما القلب الغافل فكأنه قلب ميت لا يريد أن يسمع شيئا عن رب العزة سبحانه، يقول تعالى:

(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) [الزمر 45]. اللهم

أحيي قلوبنا، فأنت القادر على ذلك، وأنت القائل: **(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)** [الحديد: 17] فكما أنك تحييها بالماء فأحيي قلوبنا بالذكر، آمين.

يقول تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى)** [النساء: 43] فلها معنى فقهي وهو أن السكران لا يستطيع أن يصلي. ولها معنى آخر جميل جدًا في التفسير وهو: أن من



يفكر في الدنيا لا يستطيع الصلاة، فهذا نهي تنزيه كما يقولون.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» [92]، ان من يذكر **الله** إنسان مراد، أي أن **الله** يريده قريبًا منه، وهذه هي أعلى المراتب فأنت غالٍ جدًا، ولو لم تكن كذلك لشغلك بالمخلوقات عن الخالق. هؤلاء هم أهل القرآن، هم أهل **الله** وخاصته، فمن يذكرون ربنا ويقرءون قرآنه سمّاهم النبي في سنن النسائي أهل **الله**:

أعيش وقد ختمت على فؤادي   بحبلك أن يكون به سواكا

فلو أستطع أغمضت عيني   فلا أبصر بها حتى أراكا



أحبك لا ببعضي بل بكلي وإن لم يبق حبك لي حراكا

أحبك يارب ولا أستطيع الابتعاد عن الحب، عن الذكر، عن الخشوع، أريد ألا أرى غيرك في قلبي، لأني أفضل ذلك فأنا محروم من رؤيتك في الدنيا ولذلك أرجو رؤيتك في الاخرة.

ولكي يتحقق ذلك لابد من الذكر الكثير لله **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)** [آل عمران: 190] العقول والقلوب المستيقظة **(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّه قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ)** [ال عمران: 191] فالتسبيح تعظيم لربنا



عندما رأت العيون السماء الزرقاء والأرض أرادت التسبيح لله، من دعا دعاء السوق وهو: «لا إله إلا **الله** وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير» [93]، أخذ مليون حسنة - ألف ألف حسنة - ويغفر له ألف ألف خطيئة، لا تتعجب فقد دخل مكانًا لا يتذكر فيه كثير من الناس ربهم، كل الناس يريدون الأكل والشراب والشراء.

قال ﷺ كما في الصحيحين: «**مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله كمثل الحي والميت**» [94]، قال أحدهم: فلابد ألا يتوقف اللسان عن ذكر **الله**.

قال بعض الصحابة لرسول **الله**، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، وأرجو عمل شيء يثبتني على الإسلام، فقل لي شيئًا أتشبث به. فقال: «**لا**



يزال لسانك رطبا بذكر الله» [95]. ولم يقل: لا يزال قلبك. فما أرحمه وأرأفه ﷺ!

لأن الذكر باللسان يشغل اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب، فسبّح وصلّ على النبي ﷺ، قال: لا إله إلا **الله**، أستغفر **الله** العظيم، والحمد لله فإنها تملأ الميزان. إن الصلاة على النبي ﷺ، (اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد)، كانت سببًا في إسلام مائة ألف كما فُتحت القدس بها، قال ﷺ: «**من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا**»[96] وصلاة ربنا رحمة ورفعة لشأنك، إذًا أفعالنا كلها لا تساوي صلاة واحدة من ربنا علينا، فعندما نصلي على النبي، اللهم صلّ على سيدنا محمد وآله، فإن ربنا يصلي علينا عشر مرات، حاول إذا اخي المسلم ان تصلي على النبي مائة



مرة في الصباح ومائة مرة بالليل، خمس دقائق في الصباح، خمس دقائق في الليل ربنا يصلي علينا ألفي مرة في اليوم، انظر كم تكون الواحدة في ميزان الحسنات: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**»، اللهم اجعلنا من الذاكرين **الله** كثيرا والذاكرات فهذا هو طريق الكنز المفقود.

---

[91] صحيح البخاري رقم (6856). صحيح مسلم رقم (4849).

[92] مسند أحمد رقم (8296).

[93] سنن الترمذي رقم (3350).

[94] صحيح البخاري رقم (5928).

[95] مسند أحمد رقم (17037).



[96]صحيح البخاري رقم (1237).



الحديث الرابع والعشرون

حُب اللهِ



تبارك تعالى للعفو



حب الله تبارك وتعالى للعفو

ونبدأ بحديث للسيدة عائشة تظهر فيه محبة **الله** - تعالى - للعفو عن عباده، فعن السيدة عائشة - رضي **الله** عنها - قالت: يا رسول **الله** أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي:



«اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني».

فهل أحسسنا بقلوبنا محبة **الله** تعالى للعفو والمغفرة؟! وهل نحن على ثقة ويقين بأن **الله** سيغفر لنا بعد أن طرقنا بابه، وطلبنا منه الصفح والمغفرة؟! أم نحن في شك من هذا الأمر؟!

أقول: لابد للمؤمن أن يكون لديه تصديق بوعد **الله**، وقد وعد ربنا بالصفح والمغفرة والتوبة لكل من طرق بابه ورجع إليه، وذلك في قوله تعالى: **(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ)** [طه: 82] فهذا وعد **الله** **وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّه)** [التوبة: 111] لا أحد.

ويقول ﷺ - مخبرًا عن رب العزة وعن مضاعفته الحسنات لعباده -: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ذلك فمن هَمَّ بحسنة فلم**



يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هَمّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هَمَ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هَمّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة».

فمجرد التفكير في الحسنات يُكتب حسنات، ومجرد التفكير في السيئات لا يُكتب في السيئات، بل قد يكتب في الحسنات إذا تركها العبد من أجل **الله**.

المولى تبارك وتعالى يرضى بالقليل منا ويضاعفه لنا، مجرد التفكير في الحسنة يُكتب حسنة، وفعل الحسنة يضاعف بعشر حسنات إلى



سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، أليس ذلك دليلًا على حب **الله** لنا وفرحته بتوبتنا ورجوعنا إليه؟!

وكذلك الخوف من عظمة الوقوف بين يدي الته والسؤال عن القليل والكثير، مجرد التفكير فيه يكون سببًا في عفو **الله**، وهذا الحديث يوضح ويبين هذا الأمر. قال ﷺ: «**كان رجل كثير المال لما حضره الموت قال لأهله إن فعلتم ما أمرتكم به أورثتكم مالاً كثيرًا. قالوا: نعم، قال: إذا مت فأحرقوني ثم اطحنوني فإذا كان يوم ريح فارْقَوا فوق قمة جبل فذروني، فإن التة إن قدر علي لم يغفر لي ففعل ذلك به فاجتمع في يد الله، فقال: ما حملك على ما صنعت، قال: يارب مخافتك، قال: فاذهب فقد غفرت لك**» [97] انظر مجرد التفكير في مخافة الوقوف بين يدي **الله** يكون سببًا في عفو **الله**!!



ألا يستحق هذا الرب أن نفكر فيه، وأن نترك المعاصي من أجله، وابتغاء مرضاته؟! وأن نشكره على نعمه؟! بلى، والشكر يكون سببًا في مضاعفة النعم والثواب، قال تعالى: **﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾** [الزمر: 7]، ويقول سبحانه: **﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾** [إبراهيم 7].

إنه لكنز عظيم وهو عفو **الله** ومغفرته ومحبته لعباده، وإعطاؤهم الأجر والثواب بمجرد نية العمل دون القيام به.

فمن نوى الحج ولم يقدر عليه أعطاه **الله** سبحانه وتعالى أجر الحج دون أن يحج، والرسول الكريم ﷺ يوضح هذا الأمر في حديثه الشريف:



«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرى ما نوى» [98]، ثم يفصل الرسول هذا الأمر ويوضحه أكثر في حديثه الذي يقول فيه: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فاجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقّا. فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالًا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء**» [99].



فالرسول ﷺ يبين هنا أن المؤمن الذي لم يرزقه **الله** مالًا، وكان يتمنى هذا المال لينفقه في وجوه الخير كالحج وبناء المساجد والتصدق على الفقراء والمساكين له من الأجر والثواب ما للمؤمن الذي رزق المال فعلًا وينفقه في سبيل **الله** «**فهما في الأجر سواء**».

إن حب **الله** للعفو والمغفرة أمر مؤكد، ولكن ليس معنى ذلك أن نتواكل ونترك العمل، بل لابد ان نأخذ بالأسباب ونعمل ونحسن العمل.

من منا يذكر حديث: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، فيحمده عليها، أو يشرب الشربة، فيحمده عليها**»؟![100]، من منا حمد **الله** على نعمة الإفطار بعد الإفطار؟! هل حمدنا **الله** أم نسينا؟! تعالوا بنا نتذكر بعض الأحاديث وبعض



الأعمال التي تكون سببًا في مغفرة ذنوبنا كلها، يقول ﷺ. «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [101]، فمن وفقه **الله** لصيام رمضان بنية صادقة ومحتسّبا الأجر عند **الله** يغفر له ما تقدم من ذنبه.

ويقول – أيضًا - «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه**» [102]، فمن حافظ على صلاة «التراويح» بنية صادقة وطمعًا في ثواب **الله** غفر له **الله** ما تقدم من ذنبه.

ويقول - أيضا -: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» [103]، فحافظ على قيام هذه الليلة فَيَمنُّ **الله** عليك بفضلها وبركتها ويغفر لك ما تقدم من ذنبك.



ويقول أيضا: «**الصلوات الخمس كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**» [104]، فإذا صليت الظهر غفر لك ما بين الفجر والظهر، وإذا صليت العصر غفر لك ما بين الظهر والعصر، وهكذا إلى آخر صلاة، حتى تخرج من يومك بغير ذنوب، وقد غفر **الله** لك.

ويقول كذلك: «**لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة، إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة التي تليها**» [105]، فانظر إلى هذه الرحمة وهذا العفو ولا تحرم نفسك من عطاء **الله**.

ويقول ﷺ: «**من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه**» [106]، انظر إلى هذه الرحمة؛



مجرد الوضوء وصلاة ركعتين يكفر **الله** عنك سيئاتك.

ويقول أيضًا: «**من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت له ذنوبه، وإن كانت مثل زيد البحر**» يا لها من نعمة ويا له من فضل أن تغفر لك ذنوبك بفضل هذه الكلمة التي لا يستغرق ذكرها - مائة مرة - ثلاث دقائق.

فحاول أن تحافظ على هذه الكلمة مائة مرة بالليل ومائة مرة بالنهار حتى تأخذ عظيم الأجر والثواب، وتنال العفو والمغفرة من **الله**.

وفي الحديث الذي يرويه سعد بن أبي وقاص: «**كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة»** [107]، فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة



يا رسول **الله**؟ قال: «**يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة**» تسبيح **الله** - تعالى - مائة مرة لا يستغرق دقيقتين فيعطيك **الله** ألف حسنة او يحط عنك ألف خطيئة، يا له من فضل عظيم!

وعن أبي هريرة عن رسول **الله** ﷺ أنه قال: «**من اغتسل يوم الجمعة، واستاك، ومس من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد، فلم يتخط رقاب الناس، حتى ركع ما شاء ان يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام، فلم يتكلم حتى فرغ من صلاته، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها**» [108] وكان ابو هريرة يقول: وثلاثة ايام زيادة، إن **الله** جعل الحسنة بعشر امثالها.



تذهب إلى المسجد يوم الجمعة قبل أن يصعد الإمام على المنبر وتصلي تحية المسجد، وتجلس فتستمع إلى الخطبة ثم تصلي الجمعة مع الإمام وتنصرف يكون ذلك كفارة للذنوب التي ارتكبتها من الجمعة الماضية إلى هذه الجمعة، بل وزيادة ثلاثة ايام، اي إلى يوم الاثنين، فيا له من كرم وَجُودٍ من **الله!**

ويقول أيضا: «**صلاة الرجل في جماعة، تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجة، وذلك ان احدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لا ينهزه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط بها عنه خطيئة، حتى يدخل المسجد...**» [109].



تخيل وأنت تخرج من بيتك للصلاة كل قدم ترفعها يرفعك **الله** بها درجة، وكل قدم تحطها يحط **الله** عنك بها خطيئة، فما احوجنا إلى هذا الجود والكرم والعطاء من **الله** عز وجل، لعل حسنة من هذه تكون سببًا في دخولنا الجنة، وبعدنا عن النار.

ويقول أيضا: «**من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً غفر الله له ذنوبه**»[110].

ويقول ﷺ: «**ما يصيب المؤمن من نصب، ولا وصب، ولا هَم، ولا حَزن، ولا أذى ولا غَم حتى**



الشوكة يشاكها إلا كَفَّر الله بها من خطاياه» [111].

فالشوكة التي تصيبك وأنت تظن أنها بلاء ونقمة عليك، يجعلها **الله** سببًا في تكفير ذنوبك وخطاياك.

ويقول - أيضا -: «**إذا أَمَّنَ الإمام فأمّنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**» [112]، نعمة وفضل من **الله** عندما يمتن عليك بمغفرة ذنوبك بكلمة واحدة لا تتعدى الحروف الأربعة، وهي كلمة (آمين) التي تقولها خلف الإمام عندما ينتهي من قراءة الفاتحة.

ويقول - أيضًا -: «**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا ربنا لك الحمد فإنه من وافق**



قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» [113].

فهذه نعمة أخرى داخل الصلاة عندما تحمد **الله** يعطيك مكافأة فورية قبل أن تفرغ من الصلاة وهي تكفير الذنوب.

فكل هذه النعم تستحق منا أن نسرع وأن نبادر بالرجوع إلى **الله** تعالى، الرجوع إلى هذا الإله الحليم العظيم الذي يحب العفو.

وللرسول حديث يبين فيه أن الذي يتجاوز عن بعض حقه في البيع والشراء يتجاوز **الله** عن سيئاته يوم القيامة، يقول تقنية: **«إن رجلا مات، فقيل له ما عملت، قال: إني كنت أتجوز في السكة والنقد وأنظر المعسر فغفر الله له»** [114].



فتسامح الرجل مع الناس في البيع والشراء وتجاوزه عن بعض من حقه وإمهاله المعسر كان سببًا في عفو **الله** عنه ودخوله الجنة.

وأخيرًا ليس معنى هذه الأحاديث أن نركن إلى عفو **الله** دون عمل، بل لابد من الاخذ بالأسباب التي تقربنا من عفو **الله**، لان المولى تبارك وتعالى كما يحب العفو ويعفو عمن رجع إليه واناب، فإنه شديد العقاب لمن اعرض عنه وترك بابه، وفي ذلك يقول **الله** - تبارك وتعالى -: **(نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ)** [الحجر: 49].

فلتعلن توبتك إلى **الله**، سائلاً إياه العفو والغفران، ولتدع بهذا الدعاء: «اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا» آمين.



[97] صحيح البخاري رقم (3219). صحيح مسلم رقم (4952).

[98] صحيح البخاري رقم (1).

[99] سنن الترمذي رقم (2447).

[100] صحيح مسلم رقم (4915).

[101] صحيح البخاري رقم (37).

[102] صحيح البخاري رقم (230).

[103] صحصح البخاري رقم (1768).

[104]صحيح البخاري رقم (61).

[105] صحيح البخاري رقم (155).



[106] صحيح البخاري رقم (155).

[107] صحيح البخاري رقم (4628).

[108] صحيح البخاري رقم (832).

[109] مسند أحمد رقم (7121).

[110] صحيح مسلم رقم (579).

[111] صحيح البخاري رقم (1476)

[112] صحيح البخاري رقم (738).



[113] صحيح البخاري رقم (680).

[114] سنن ابن ماجه رقم (2411).



الحديث الخامس والعشرون

الشـوق إلـى



رؤيـــة الله



الشوق إلى رؤية الله

نعلم جميعا أن العلاقة بيننا وبين **الله** سبحانه وتعالى مبنية وقائمة على المحبة، وليس على انتظار العوض والمقابل، ونحن بأعمالنا لا ننفع **الله**، ولا نضره بمعاصينا، فالطائع ينفع نفسه والعاصي يضر نفسه، قال تعالى: **(مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)** [فصلت: 46]، ويقول عز وجل: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ**



وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) [الجاثية: 15]، ويقول في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني**» [115].

فكل من يطلب منك عملًا فإن فيه منفعة له، إلا المولى - تبارك وتعالى - فكل عمل يطلبه منك فيه منفعة لك.

فالمولى - تبارك وتعالى - أنعم عليك وأكرمك ووفقك للعمل الصالح، ومع ذلك لا يريد منك أي شيء، بل هو الذي يعطيك أفضل شيء، وهو دخول الجنة ورؤيته تبارك وتعالى، يقول تعالى: **(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22)**

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)) [الحاقة: 19-24].

فكأن المولى - تبارك وتعالى - يقول لنا في هذه الآيات كما أحسنتم في الدنيا بالأعمال الصالحة، فنحن نحسن إليكم وندخلكم الجنة، فمع ان المولى - تبارك وتعالى - هو الذي شرح صدورنا للإسلام وللعمل الصالح **(فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ)** [الأنعام: 125]، **(أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ)** [الزمر: 22] فإنه يجازينا على هذا العمل بدخولنا الجنة، أليس ذلك دليلاً على حب المولى - تبارك وتعالى - لنا؟! بلى.

هل تعلمون ما أعد **الله** لنا في الجنة؟! تعالوا نتعرف عليه من خلال كلام ربنا - تبارك وتعالى -



من خلال الحديث القدسي الذي يقول فيه: **«اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»** [116]، فكل ما رأيت في الدنيا من نعيم وجمال فالذي عند المولى - تبارك وتعالى – أفضل وأجمل، وكل ما سمعته في الدنيا فما عند المولى - تبارك وتعالى - أفضل منه وكل ما خطر على بالك وتمنيته في الدنيا، فما عند **الله** - تبارك وتعالى - أعظم منه؛ لأن ما عنده لم يخطر على قلب بشر.

فكل ذلك من حب **الله** - تبارك وتعالى - لنا، هذا الحب الذي وُجد قبل أن نُخلق، منذ أن خلق **الله** القلم وأمره أن يكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، قال ﷺ: **«إن أول ما خلق الله القلم**



فقال له اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر، ما كان وما هو كائن إلى الأبد» [117].

فهذا يدل على أن محبة **الله** لنا قديمة قدم الخليقة، وقبل أن نولد. ولم يكتف المولى - تبارك وتعالى - بحب الصالحين، بل حبب فيهم الخلائق ووضع لهم القبول في الأرض، وأعطاها أفضل شرف وهو شرف الانتساب إلى أمة محمد ﷺ.

والانتساب إلى أمة المصطفى له ميزات عظيمة، منها الدخول في شفاعة المصطفى ﷺ، فقد قال ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»** [108] بل من يدخل النار من أمة الحبيب يشفع له المصطفى فيأخذه من النار إلى الجنة، وهذا الامر ذكره الرسول ﷺ في حديث الشفاعة الطويل الذي ورد فيه: «... فأقول: أي رب أمتي، أمتي، فيقال: أخرج



من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، قال: فأخرجهم» [119].

ومن حب **الله** لنا أنه يرسل لنا ملك الموت في أفضل صورة وبأطيب كلام، قال تعالى: **(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** [النحل: 32]

وكذلك من حب **الله** - تبارك وتعالى - لنا انه يتلطف بنا في قبورنا عند سؤال المَلَكين لنا: من ربك؟ وما دينك؟ وما الرجل الذي بعث فيكم؟ فمن رحمة **الله** بنا في هذا الموقف أنه يطلق ألسنتنا بالأجوبة السديدة التي تضمن لنا النجاة، يقول تعالى: **(يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...)** [إبراهيم: 27]



كذلك من رحمته بنا وحبه لنا أنه يفسح لنا في قبورنا مد أبصارنا، ويرينا موقعنا من الجنة، قبل ان تقوم القيامة، ويتمنى الواحد منا ان تقوم الساعة الآن ليرى أهله ما هو فيه من النعيم والعطاء والجزاء.

ثم يتجلى حب المولى - تبارك وتعالى - يوم القيامة عندما ينعم علينا بدخول الجنة التي لا تعب فيها ولا نصب ويجزل لنا العطاء والثواب.

وتعالوا بنا إلى صورة حية تبين لنا عظم عطاء **الله** - تبارك وتعالى - لأهل الجنة، مع هذا الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولاً فيها، يقول ﷺ: «إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل مر به ربه عز وجل، فقال له: قم فادخل الجنة، فأقبل عليه



عابسًا فقال: وهل أبقيت لي شيئا؟ قال: نعم لك مثل ما طلعت عليه الشمس أو غربت» [120].

فالعامل عندما يعمل في شركة قد يحصل على مكافأة نهاية الخدمة على المدة التي قضاها في العمل، وقد تكون هذه المدة اربعين سنة أو أقل او أكثر، وفي نهاية هذه المدة يحصل على أربعين شهرًا أو خمسين شهرًا، أما المولى تبارك وتعالى فإنه يعطيك مكافأة أكبر من ذلك وهي الجنة خالدًا فيها أبدًا، على الرغم من أن سنين عملك لم تتجاوز الأربعين عامًا؛ لأن أعمار أمة الرسول ﷺ ما بين الستين والسبعين، فإذا اخرجت منها سنوات الطفولة حتى البلوغ واخرجت منها ساعات النوم فإن المجموع لا يتجاوز الثلاثين أو الأربعين عامًا، ولكنه مع ذلك ينعم عليك بهذه النعمة العظيمة، وهي نعمة دخول الجنة.



وأعد لنا المولى - تبارك وتعالى - في الجنة نعيمًا عظيمًا يختلف عن نعيم الدنيا كما قال ابن عباس: «**ليس في الدنيا مما في الاخرة إلا الاسماء**» تشابه في اسماء الاشجار والثمار ولكن اختلاف عظيم في الشكل واللون والطعم.

في الجنة قصور عظيمة، وذلك أن الرجل من أهل الجنة له قصر، في ذلك القصر سبعون قصرًا، في كل قصر سبعون بيتًا، كل بيت من لؤلؤة مجوفة طولها في السماء فرسخ وعرضها فرسخ.

وكل رجل في الجنة له ألف من الخدم، على الرغم من أن نعيم الجنة بالتمني فإذا تمنى واحد من أهل الجنة شيئا وجده أمامه في الحال.

والجنة مخلوقة قبل أن نُخلق، فعن السيدة عائشة رضى الله عنها: «**إن الله خلق الجنة وخلق**



لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم» [121]، فانظر منذ متى والجنة مخلوقة والمولى - تبارك وتعالى - يجهز لنا فيها النعم؛ لتعلم مقدار الجنة وتتشوق إليها وإلى رؤية رب العزة ورؤية النبي ﷺ.

والذي يشرف على نعيم الجنة هو المولى تبارك وتعالى، قال ﷺ: **«من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح»** [122].

وثمة نعمة عظيمة لا تحرم نفسك منها وهي نعمة النظر إلى المولى - تبارك وتعالى - فلا تضيع هذه النعمة بالمعاصي والبعد عن طريق المولى عز وجل.

ونحن عندما نحافظ على الطاعات كالصلاة - مثلا - لا بد أن نحافظ عليها بحب، وكذلك



الحجاب للمرأة لابد أن يكون بحب لا إرضاء للزوج أو للناس، بأن يكون موافقًا للشرع وليس حسب الموضة والأهواء، وأن تتوافر فيه شروط الحجاب الشرعي.

وعندما نسعى إلى الصلاة لابد أن يكون هذا السعي عن تعلق بالله وحب له تبارك وتعالى فتكون قلوبنا مشغولة بالله وبعظمته سبحانه، حتى يتحقق فينا قول الرسول ﷺ: «**ورجل قلبه معلق بالمساجد**» [123].

وانظر إلى هذا الحديث وتدبر في معناه جيدًا لتعرف عظمة نعيم الجنة، قال ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا ما**



لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا» [124].

ونطرح سؤالا: هل أنت راضٍ عن المولى تبارك وتعالى؟ لا تتعجب من هذا السؤال، فالذي يرضى عن **الله** يرضى **الله** عنه، وصدق المولى إذ يقول: **(رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)** [البينة: 8] فهل أنت راضٍ برزقك وعملك وحياتك أم أنت ساخط وقانط؟!

وسأل رجل الشافعي: هل ربنا راض عني، قال: لو كنت راضيًا عنه فإنه راضٍ عنك، لأن المولى - تبارك وتعالى - لن يوفقك لنعمة الرضا هذه إلا إذا



كان راضيًا عنك، أما الساخط وتارك الرضا، فهذا دليل على سخط **الله** عليه.

وستكلم **الله** يوم القيامة وجهًا لوجه، قال ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان**» [125]، فالمولى - تبارك وتعالى - لا يُشغل عن أحد من خلقه في الدنيا ولا في الآخرة، بل سيكلم الجميع الصالح والطالح، ولكن شتان ما بين الحديثين حديث **الله** مع اهل طاعته وحديثه مع أهل معصيته.

ختامًا أذكركم بالشوق لرؤية المولى - تبارك وتعالى - ورؤية ما أعده **الله** لعباده الصالحين، وأذكركم أن كل ذلك لا ينال إلا بحب **الله** وطاعته وطاعة رسوله ﷺ.



وأختم بهذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ به (23)﴾ [القيامة، 23، 24].

---

[115] صحيح مسلم رقم (4674).

[116] صحيح البخاري رقم (3005).

[117] سنن الترمذي رقم (2081).

[118]سبق تخريجه

[119] صحيح البخاري رقم (6886).

[120] رواه الطبراني.

[121] سنن أبي داود رقم (4090).



[122] صحيح البخاري رقم (622).

[123] صحيح البخاري رقم (620).

[124] صحيح البخاري رقم (6067).

[125] صحيح البخاري رقم (6889).



الخاتمة

عزيزي القارئ.. هيا بنا نجتهد ونقف على باب ربنا ندعوه أن يقبلنا إلى آخر لحظة، فنحن لن نراه في الدنيا.. ولكن سنراه في الجنة، وإن آيات ربنا ظاهرة في الكون، وهو ظاهر ظهور صفات في الكون ولم يظهر ظهور ذات، لماذا لا نرى صفاته بقلوبنا؟ نريد أن نرى المنعم في النعمة، نريد أن نرى العظيم في مخلوقاته، نريد أن نرى ربنا حين نلاقي شدة أو ضيقا، نريد أن نرى **الله** عندما نشاهد قويًا في حالة عجز عن التصرف، نريد أن نرى الغفور الذي صبر علينا، والعفو الذي سامحنا



وأكرمنا بطاعته، وقد علّمك النبي ﷺ أخي المسلم أن تعبد **الله** كأنك تراه ولم يقل وأنت تراه، فهذا يعني أننا لن نرى **الله** في الدُّنيا، وإذا كان **الله** قد قال: **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)** فيجب علينا أن نقترب من **الله** سبحانه وتعالى والا نبعد.

«كل عمل ابن آدم يُضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي».

لقد توقفنا مع جملة من الأحاديث القدسية، نذكر منها: قول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه: **«كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي»** [126]. وقلنا: إن **الله** العظيم يقول لنا: أنتم تتركون الأكل

والشرب والشهوة من أجلي، وقلنا إن **الله** الشكور الذي تعطيه على قدرك فيعطيك هو على قدره.

وقد تعرضنا لقول النبي ﷺ: «**أربعون خصلة من فعلها رجاء ثوابها وتصديق موعودها أعطاه الله الجنة أو أدخله الله بها الجنة**» [127]، الأربعون خصلة هذه أعلاها منيحة العنز هل تعطيني عنزتك أحلبها ثم أرجعها مرة أخرى، لن أكل منها شيئًا، ولن آخذ منها شعرة ولكن سآخذ قدرًا من اللبن، أعلى خصلة في الأربعين خصلة منيحة العنز، فقال الصحابة: ما هذا؟ هل منيحة العنز تدخل الجنة وهذه أعلى خصلة؟، فظل الصحابة يعدون فوجدوا أن أقل من منيحة العنز من الممكن أن يدخل الجنة: تشميت العاطس، قولك: «يرحمك **الله**» فهذا أقل، وإلقاء السلام ورده وعليكم السلام ورحمة **الله**، فعدوا خمس

عشرة خصلة، ولكن كلها أقل من منيحة العنز، فانظروا إلى **الله** الشكور الذي يقبل القليل.

كما ذكرت قصة العبد الذي كان عنده تسعة وتسعون سجلًا كله سيئات وُضِعت في مِيزان ذلك العبد ثم وضع **الله** له بطاقة مكتوبًا فيها أنه قال في يوم من الأيام: لا إله إلا **الله**، بقلبه، فوضعت هذه البطاقة في مقابل السيئات فطاشت كفة السيئات، لأنه لا يثقل مع اسم **الله** شيء.

وسقت لكم كذلك حديث: «**عبدي مرضت فلم تعدني، قال: كيف أعودك، قال: مرض عبدي فلان، اما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، عبدي استطعمتك فلم تطعمني، قال: يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين، قال: استطعمك عبدي فلان، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت**



ذلك عندي، عبدي استسقيتك فلم تسقني، قال: يارب كيف اسقيك وانت رب العالمين، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، اما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي» [128].

أيها الإخوة، إن **الله** يتكلم بالنيابة عن الفقراء والمساكين ويدافع عنهم، فربنا معنا يا فقراء، ربنا معنا يا مساكين، ربنا معنا يا عطشى يا جوعى، فإياكم أن تغضبوا وتقولوا: لماذا فعلت بنا هذا يارب؟

وسئل ابن القيم عن الشكر فقال: أن ترى المنعم ولا تنشغل بالنعمة.

ثم تطرقنا إلى حديث: «**إني حرمت الظلم على نفسي**» وقلنا إن **الله** لا يظلم، لأن الظالم هو الذي يحكم في مُلك غيره، ولكن كل الدنيا والأخرة ملك



ربنا عز وجل: **﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾** [الزمر 62] **﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾** [الأعراف: 54] فالله متصرف في مُلكه، وكما قيل: «**من حكم في ملكه فما ظلم**»، ثم ان ارادة **الله** خير لنا، كل ما ينزل من عند **الله** جميل، وليس عند **الله** صفة عكس الجمال، ولكن المشكلة في جهلنا نحن كبشر بحكمة **الله**، كما جهلت الملائكة الحكمة من خلق آدم فقالت: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾** [البقرة: 30].

ثم تناولنا حديث الحب: «**إن الله إذا أحبْ عبدًا نادى في السماء يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبه، فينطلق جبريل، فيقول: يا أهل السماء أحبوا فلانًا، ثم يوضع له القبول في الأرض**»



[129]، وقلنا إن **الله** - سبحانه وتعالى - حين يحب عبدًا يجعل كل المخلوقات تحبه.

وأختم هنا بتذكيركم بمفتاح الكنز المفقود وهو الذكر في قول **الله** تعالى في الحديث القدسي: «**وأنا معه حين يذكرني**».

هذه هي الوصية التي سأتركها لكم ولنفسي، فاذكروا **الله** كثيرًا، لأن الإنسان يذكر حبيبه ولا ينساه، وينبغي ألا تتوقف عن ذكره عز وجل «لا إله إلا **الله**»، ولا ينساه، «اللهم صلّ على سيدنا محمد» «سبحان **الله** وبحمده سبحان **الله** العظيم»، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد **لله** رب العالمين..



---

[126] صحيح البخاري رقم (1945).

[127] صحيح البخاري رقم (2438).

[128] صحيح مسلم 12 / 440 رقم (4661).

[129] صحيح البخاري رقم (6931).